بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الملك عبد العزيز
بمكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا
قسم التاريخ الإسلامي



غزو بني هلال وبني سليم للمغرب

بحث مقدم

من الطالبة : فايزه محمد صالح أمين سجيني

للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد حمدي المناوي

١٤٠٠/١٤٠١هـ — ١٩٨٠/١٩٨١م



بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

شكر وتقدير

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي •

اللهم لك الحمد والمنة فمنك العون ، وبك نستعين •

اشكرك يا الهي فقد هديتني ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله •

ثم اتقدم بجزيل الشكر ، ووافر الثناء لاستاذي الجليل سعادة الدكتور محمد حمدي المناوي • فقد استطاع بصبره الطويل وعلمه الغزير وحسن توجيهه أن يضعني دائما على الطريق الصحيح •

واشكر كل من عاون أو ساهم أو قدم يدا حتى خرج هذا البحث على هذا النحو •

والله لا يضيع أجر من أحسن عملا •

تقديم

تقــــــــديم

لعب المغرب الاسلامى ، ولازال ، دورا فى تاريخ البشرية بعامة ، والعالم الاسلامى بخاصة . واذا كانت فتوحات المغرب أستمرت سبعين عاما ، من نصر وهزيمة وتقدم وتقهقر ، الا أن البربر ما أن فتحت بلادهم حتى حملوا راية الجهاد ، وعبروا البحر ناشرين دين الله فى ربوع أوروبا ، وهو ما لم يحدث فى أى بلد آخر من البلاد المفتوحة .

وحفل تاريخ المغرب الاسلامى بالكثير من الأحداث الخطيرة التى كان لها طابعها الخاص ، نظرا لوضع المغرب الخاص بالنسبة للعالم الاسلامى . وهذا ما جعله يموج بمختلف التيارات المذهبية والسياسية ، وجعله ملجأ لكثيرين من الفارين بمذاهبهم وآرائهم أمام سلطان الخلافة فى المشرق . ووجدوا فى المغرب الأرض الخصبة لهذه الآراء والتيارات . ويكفى أن نذكر أن المغرب هو أول جزء من العالم الاسلامى ظهر فيه تيار الانفصال السياسى ، وتجاورت فيه الدول المختلفة مذهبيا وسياسيا .

من أهم الأحداث التى كان المغرب الاسلامى مسرحا لها الغزوة الهلالية ، أو التغريبة الهلالية كما قد يقال أحيانا . وقد كان ذلك فى حوالى منتصف القرن الخامس الهجرى ، عندما بدأت دولة

بني زيرى الصنهاجية تحاول الأستقلال والخروج على الخلافة الفاطمية في مصر ، بل وتحاول القضاء على المذهب الاسماعيلي لتحل محليه المذهب السني وتعترف بالخلافة العباسية .

ولم يجد الخلفاء الفاطميون ، بعد أن عجزوا عن ارسال جيوش الخلافة أن يطلقوا العنان لقبائل بني سليم وبني هلال التي كانت تثير الاضطراب في مصر والشام ، وأن يوجهوها الى المغرب لتأديب المعز بن باديس الذى جهر بعداء الفاطميين وشجع على قيام المذابح لأتباعهم في المغرب بل وأعترف بالخليفة العباسي القائم بأمر الله .

أنطلق بنو سليم وبنو هلال الى المغرب ، وأشفوا صدور الفاطميين من عدوهم ، وتملكوا أفريقية والمغرب الأوسط . ولقد كان لهذه الغزوة نتائج هامة وخطيرة ، بعضها كان سريع الأثر وبعضها لم تظهر نتائجه الا على المدى الطويل . وحفلت المصادر بالكثير عن هذه الأحداث ، ولكنها للأسف كان يحيطها الكثير من الأضطراب ، فالأحداث كانت سريعة ومتلاحقة .

وقد أخترت الغزوة الهلالية لتكون موضوع البحث الذى أتقدم به للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي تحت اشراف سعادة الدكتور محمد حمدى المناوى ، وبعنوان :

" غزوة بني هلال وبني سليم للمغرب "

وقد جهدت أن أجد اجابة لكثير من التساؤلات والتناقضات التى وقع فيها كثير من المؤرخين ، وحاولت أن أوضح النتائج لهذه الغزوة ، القريبة منها والبعيدة .

وكان على أن أستعين بالعديد من المصادر الأصلية وأرجع الى بعض المراجع الحديثة لأتعرف على آرائها . وأحمد الله أننى وفقت للحصول على معظم المصادر ، والقليل منها التى لم أستطع الحصول عليه لظروف ليست فى مقدورى ، أستعنت بمعلوماته كما أوردتها المراجع الحديثة ، متوخية أن أوضح ذلك فلا أنسب لنفسى شيئا لم أقم به .

وأجد صعوبة هنا فى ذكر المصادر التى رجعت اليها فهى كثيرة ، وأكتفيت باثباتها فى ثبت المصادر والمراجع فى آخر البحث وان كان من المهم أن أشير الى بعض هذه المصادر والتى أعتمدت عليها كثيرا فى بحثى فمنها مثلا :

- الكامل فى التاريخ لأبن الأثير
- رحلة التجانى ، ولها أهمية خاصة ، اذ أنها مدونة بقلم أحد كبار رجال الدولة الحفصية . وقد قام برحلته هذه بين سنتى ٧٠٦ ، ٧٠٨ هـ ، وكانت رحلة عمل وتفقد . وقد أعطى التجانى صورة لما كانت عليه هذه البلاد فى ذلك الوقت ومواطن العرب بها ، مع اثبات كثير من الحقائق التاريخية

التي كانت هذه المنطقة مسرحا لها وبذلك جاءت رحلتـــه
جامعة شـــاملة ٠

من المصادر أيضا البيان المغـرب لأبن عـذارى وهو مؤرخ مغربي
دقيق علـى علـم بتاريخ المغــرب ٠

- والحـلة السـيراء لأبن الآبـار ٠
- والمعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي ٠
- والعـبر لأبن خـلدون ٠
- واتمـاظ الحنفـا للمقـريزى ٠

وغـيرها كثير يمكن الرجوع اليها في ثبـت المراجــع ٠

على أنني أعترف أن هناك مصادر هامة لم يقـدر لي الاطلاع عليهـا
منها مثـلا : نزهـة المشـتاق للأدريسـي ٠

ورغم الجهد الكبير الذى بذلته ، لم أوفق في الحصـول عليه ، وهو
ما آسف عليـه فعـلا وأرجـو أن أجده فـي وقـت آخـر ٠

أما خطـة البحـث التى أتبعتهـا ، فقـد قسـمت الموضـوع الى
مدخل وأربعـة فصـول وخاتمـــة ٠

أما المدخل فقد حاولت أن أبين فيه مواطـن العـرب في المغرب
والأندلس قبل الغزوة الهلالية ٠ وأعـترف بادئ ذى بـدء أنني غـير
راضـية تماما عمـا أوردتـه ، لا عن تقصـير مني ، ولكـن عن قصور فـي

المصـــــــادر •

ومع ذلك أمكنني الى حد كبير أن أبين مواطن العرب فـــي المغـرب والأندلس خاصـــة •

الفصـل الاول : بنو هلال وبنو سليم قبل غزو المغـرب •

وقد خصصته للتعرف على مواطن بني هلال وبني سليم فـــي شبه الجزيرة العربية والبلاد المفتوحة • مع محاولة التعرف عليهم وعلى خصائصهم وايامهم ومواقفهم قبل الاسلام وبعده • ثـــم أوضحت انضمامهم لقرامطة البحرين وقيامهم بالهجوم على الشـــام ومصر في عهد الفاطميين • ثم استمالة العزيز بالله الفاطمي لهـــم وتوطنهم بمصر •

الفصـل الثانـي : بعنوان : غزو بني هلال وبني سليم للمغرب •

وكان لابد أن أتطرق الى علاقة دولة بني زيري الصنهاجيـة بالفاطميين ومحاولتها الأستقلال • حتى جاء المعز بن باديس وعمـل على الأنتقام من الشيعة الأسماعيلية • واظهار المذهب الســـني • والدعوة للعباسيين • وقطع الخطبة للفاطميين •

وبينت محاولات الفاطميين في استمرار علاقة المغرب بمصـــر • ولما فشلوا في ذلك عملوا على الانتقام من المعز بأرسال بني هـــلال وبني سليم للمغرب • وتعرضت لأحداث الصراع بين العرب والمعـز

واضطراره للهروب للمهدية ، واستقرار العرب بالمغرب .

الفصل الثالث : عن علاقات بني هلال وبني سليم بالقوى المعاصرة في بلاد المغرب .

وقد تعرضت فيه عن علاقة العرب بقبيلة صنهاجة ممثلة في دولتي بني زيري وبني حماد وقبيلة زناته .

وفي النقطة الثانية علاقة العرب بالموحدين وأشتراكهم في ثورة بني غانية .

ثم تكلمت عن علاقة العرب بالدولة الحفصية وبني عبد الواد وبني مرين .

أما الفصل الرابع : وهو من أهم فصول البحث وعنوانه " آثار الغزوة الهلالية على بلاد المغرب " . وهذه الآثار ظهر بعضها على المدى القريب والبعض الآخر على المدى البعيد .

والنقطة الأولى في هذا الفصل الأثر السياسي لهذه الغزوة ،وأنها دفعت بني زيري للعودة الى الاعتراف بالخلافة الفاطمية ، كما أنها دفعتهم الى الاتجاه نحو البحر بعد أضمحلال ممتلكاتهم في البر مما أدى الى الاهتمام بالأسطول والدخول في صراع مع المسيحيين ، وكانت النتيجة أن عمل المسيحيون على أحتلال سواحل أفريقية والمهدية .

وكذلك أدى وجود العرب الى قيام الصراعات السياسية بين الدول الموجودة ومحاولات العرب ضرب هذا بذاك ، ومحاولات هذه الدول الاستعانة بالعرب ضد بعضها البعض أو ضد غيرها من الدول مما جعل المغرب مسرح اضطراب سياسى الى وقت طويل .

أما الأثر الاقتصادى والاجتماعى ، فله أهميته الكبيرة اذ أن هذه الغزوة كان لها أثرها السريع فى الناحية الاقتصادية كما كان لها أثرها البعيد من الناحية الاجتماعية والعرقية ، اذ تكون شعب مسلم جديد تمتزج فيه الدماء العربية بالدماء البربرية .

وثالثا الأثر اللغوى والأدبى ، وهو أثر له خطورته من حيث نشر اللغة العربية وظهور أشعار وآداب كان لها ولازال بصماتها فى تاريخ الأدب فى هذه البلاد . ولا ننسى قيام الملاحم ممثلة فى سيرة بنى هلال التى لها مكان بارز فى الأدب الشعبى فى فى تونس وليبيا ومصر والسودان .

أما نتائج البحث فأرجو أن أكون قد وفقت فى عرض كثير من الأحداث والقاء الضوء على بعض الجوانب الغامضة . وأرجو أن أكون قد وفقت فى الأتيان بجديد فى كل فصل من فصول البحث وخاصة فى الفصلين الثالث والرابع .

....

وأرجو أن أكون عند حسن الظن وأعتذر عما يكون هناك من نقص أو خطأ . فالخطأ والصواب هما جناحا التجربة .

وحسبى أن أكون قد بذلت جهدى وحاولت ما أمكننى .

والله الموفق وهو الهادى الى سواء السبيل

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ،،،

****

مدخل

مواطن القبائل العربية في المغرب والأندلس قبل الغزوة الهلالية

تميزت فتوح المغرب عن غيره من الفتوحات الاسلامية ، فاذا كانت الأمبراطورية الساسانية لم تستغرق سوى سنوات قلائل لتصبح جزءا من الدولة الاسلامية ، واذا كانت الشام ومصر قد فتحتا فى سنتين أو ثلاث ، فان فتح العرب للمغرب أستمر طوال سبعين عاما بين مد وجزر انتصارات وهزائم ، حتى لقد بدا فى وقت من الأوقات استحالة اتمام الفتح .

ولقد بدأ فتح العرب للمغرب على يد عمرو بن العاص سنة ٢١هـ وانتهى سنة ٩٠ هـ على يد موسى بن نصير ، ومن ثم حمل البربر أنفسهم راية الجهاد عابرين البحر الى الأندلس . وهكذا بعد سبعين عاما أو يزيد أمتدت حدود الدولة الاسلامية غربا الى المحيط وشمالا الى قلب بلاد الغال (١) .

واذا نحن حاولنا تتبع مناطق استقرار العرب فى المغرب والأندلس ، قد نجد فى ذلك صعوبات جمة نظرا لاغفال المصادر العربية هذه الناحية ، اللهم الا بعض الاشارات القليلة فى ثنايا هذه المؤلفات . على أنه يكاد أن يكون من المؤكد استقرار العرب فى برقة منذ حملة عمرو بن العاص ، فالمصادر (٢) تشير الى بقاء عقبة بن نافع فى هذه المنطقة مع قواته منذ شارك فى حملة عمرو الى أن ولاه

---

(١) فرنسا الحالية

(٢) الطبرى تاريخ الطبرى جزء ٤ ص ١٤٤ - ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب ص ٢٦٢ - ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٢٣٤ - ياقوت ، معجم البلدان مادة القيروان .

معاوية بن أبى سفيان ولاية افريقية سنة ٥٠ هـ وبناءه القيروان (١) .

ويعتبر بناء القيروان نقطة تحول فى فتوحات المغرب ، اذ بدأت الفترة التى يطلق عليها المؤرخون مرحلة الفتح المنظم أو مرحلة الاستقرار . ولقد كان هدف عقبة من بناء القيروان أن تكون مركزا لانطلاق جيوش الفتح بدلا من مصر ، وأن تكون منطلق الأشعاع الاسلامى فى المغرب ، كما تؤكد الوجود العربى فى هذه البلاد . وعلى ذلك فان القيروان أصبحت مدينة عربية اسلامية خالصة .

وبعد القيروان نشأت عواصم عربية أخرى مثل تونس التى بناها حسان بن النعمان سنة ٨٢ هـ ، وتاهرت التى بناها عبد الرحمن بن رستم سنة ١٤٤ هـ لتكون عاصمة الدولة الرستمية الأباضية ، وفاس التى بناها ادريس بن ادريس أو ادريس الأصغر ثانى أئمة دولة الادارسة سنة ١٩٣ هـ (٢) .

وأصبحت هذه العواصم وغيرها من مدن المغرب تموج بعرب الفتح والعرب الوافدين من المشرق الاسلامى ، وخاصة الساخطين والفارين من بطش الأمويين والعباسيين ، فى حين ظلت القيروان مركزا لجند الخلافة (٣) .

---

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق — ابن عذارى ، البيان المغرب ج ١ ص ١٩ .

(٢) دكتور السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير صفحات ، ٢٤٨ ، ٤٨٧ ، ٥٤٢ .

(٣) أنظر عبد الرحمن باغى ، حياة القيروان ص ٢٨ — ٢٩ — الميلى ،

وهكذا أخذت أعداد العرب تتزايد فى المغرب بمرور الوقت ولقد عرف العرب الأوائل أو عرب الفتح ونسلهم بالعرب البلديين ، فى حين عرف الوافدون بعد ذلك بالشاميين (١) . وكان الغالبية من العرب البلديين يمنيين ، فى حين أن أكثر الشاميين كانوا قيسيين . ولعل هذا هو الدافع لأشتعال نار العصبية القبلية التى أغرقت عرب المغرب كما أغرقت العرب فى كل الجهات فى دوامة من الصراع أدت الى تفتت وحدة الصف العربى ، فى وقت كان العرب فيه فى حاجة الى الوحدة أمام الصراع العنصرى الذى أشعله البربر ، والذى أضرم كما يقول ابن عذارى المغرب نارا (٢) .

ولعل الاضطرابات التى عاناها المغرب دفعت الكثيرين من العرب الى العودة للمشرق ، فيذكر ابن خلدون (٣) أن العرب لم يكن المغرب لهم بوطن قبل الغزوة الهلالية . كما يذكر أنه لما قامت الدولة الفاطمية وانتزعت أفريقية من يد الأغالبة « رجع العرب الى مركز ملكهم بالمشرق ، ولم يبق لهم فى نواحى المغرب دولة ، ووضع العرب ما كان على كاهلهم من أمر المغرب ووطأة مضر بعد أن رسخت الملة فيهم وخالطت بشاشة الايمان قلوبهم » (٤) .

= تاريخ الجزائر جـ ٢ ص ١٤٧ — ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، المجلد الأول ص ١٠٧

(١) ابن الخطيب ، الاحاطة فى أخبار غرناطة ص ١٠٨

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ص ٥٢

(٣) العبر ، جـ ٦ ص ٤ و ص ١٢

(٤) ابن خلدون جـ ٧ ص ١٠ — وأنظر الميلى المرجع السابق ص ١٤٧

ولا يمكن أن نأخذ قول ابن خلدون على علاته ، فلعله يقصد أن العرب لم يعد لهم بالمغرب دولة منذ قيام الفاطميين الذين قامت دولتهم على أكتاف قبيلتى كتامة وصنهاجة البربر يتين . فالمعروف أن دول المغرب المستقلة التى قضى عليها الفاطميون ، مثل الدولة الرستمية الخارجية الأباضية ، ودولة الأدارسة العلوية ، ودولة الأغالبة ، كانت دولا مشرقية ، فى حين أن الدول التى قامت فى المغرب بعد رحيل الفاطميين الى مصر كانت كلها بربرية . وليس يعنى ذلك أن العرب رحلوا من المغرب ، فقد بقى فى المغرب الكثيرون الذين اختلطوا مع البربر وخاصة فى عهد الأغالبة (١) . يؤيد ذلك ما ذكره ابن خلدون نفسه من أن بقية عرب الفتح خذلوا المعز بن باديس وانحازوا الى العرب الهلالية ، بل أنه يذكر أنه كان ببرقة بطون من بنى هلال استقرت هناك قبل قدوم العرب الهلالية فى عهد المستنصر (٢) .

ويذكر صاحب الاستبصار (٣) وهو يتكلم عن كورة قسطيلية من بلاد الجريد أنه يسكن بها مع الروم الذين أسلموا والبربر العرب الذين أقاموا فيها منذ الفتح . أما التجانى فيذكر فى رحلته (٤) ، أنه بعد خروجهم من طرابلس فى ٢٦ ذى الحجة سنة ٧٠٧ هـ مروا على قرية تاجورة التى عمرها

---

(١) حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضى والحاضر ص ١٣٥ – الميلى المرجع السابق ص ٣٩ – محمد الهادى العامرى ، ص ١٤١ ، د . السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ص ٤١٥ – ٤١٦

(٢) ابن خلدون ، المصدر السابق ج ٦ ص ١٥ وص ١٧

(٣) كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ص ١٥٥

(٤) التجانى ، رحلة التجانى ص ٣٠٧ – ٣٠٨

حميد بن جارية من بنى سليم سنة ٥٥٠ هـ ، وأنه نقل اليها سكان أرض هناك تعرف بأرض عبد رب (١) ، وأن هؤلاء من العرب الذين ينتسبون الى قبيلة تميم الذين سكنوا هذه الأرض منذ الفتح الاسلامى • كما كان بنو محارب بن فهر — من قريش — بجهة طرابلس (٢) •

ويذكر الدكتور حسين مؤنس (٣) ، أن العرب الأفارقة « البلديين » كانوا يقيمون فى جماعات ، كل جماعة فى ناحية ويرأسهم شخص منهم يخضع لوالى القيروان وأنه كان منهم جماعات قوية فى طرابلس وسبرت وقابس والقيروان •

ويذكر الميلى (٤) ، أنه لما فتح العرب المغرب ، اختلطوا بالبربر ، وتصاهروا وجاوروهم فى سكنى المدن والضواحى • وقد احتفظ العرب بشئون الحكم لخبرتهم ، وان أقروا بعض زعماء البربر على رئاستهم • وأتبع العرب مع البربر سياسة الأخاء والمساواة وتركوا لهم أراضيهم ، ولم يثقلوا كاهلهم بالضرائب ، حتى أن مالية المغرب كانت غير كافية ، وكانت مصر تمدها بمائة ألف دينار كل عام ، وكان المغرب كله ولاية واحدة ، والأندلس تابعة لها وكانت قاعدة المغرب هى القيروان ، ينزل بها الولاة من قبل الخلفاء ، ويولون العمال فى النواحى ، فينزل هؤلاء مدنا تعتبر قواعد لتلك النواحى

---

(١) تاجورة ، وأرض عبد رب ، مكانان قرب طرابلس الى الشرق منها راجع الخريطة الملحقة برحلة التجانى •

(٢) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ص ١٨٠ •

(٣) دكتور مؤنس ، فجر الأندلس ص ١٧٠ •

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٩ ص ٤٢ •

فاذا أنتقلنا للأندلس ، نجد أن الغموض وقلة المعلومات لا يزال يحوطنا ، وان كانت معلوماتنا عن مواطن العرب فى الأندلس أكثر دقة ، وذلك بفضل ما قدمه لنا ابن حزم فى كتابه « جمهرة أنساب العرب » ، وابن الخطيب فى « الاحاطة فى أخبار غرناطة » وابن الأبار فى « الحلة السيراء » .

كان جيش الفتح الذى قاده طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ يتألف من سبعة آلاف من البربر ، ولم يضم من العرب سوى ثلاثمائة ، فى حين كان جيش موسى بن نصير الذى عبر به الى الأندلس سنة ٩٣ هـ يتكون من ثمانية عشر ألفا جلهم من العرب (١) . وأستقر المقام بالعرب فى الأندلس . وكما فعل عرب المغرب ، تسمى العرب الأوائل بالبلد يين ثم تتابعت هجرات العرب الى الأندلس ، يقول المقرى « أنه لما أستقر قدم أهل الاسلام بالأندلس ، وتتام فتحها ، صرف أهل الشام وغيرهم من العرب هممهم الى الحلول بها ، فنزل من جراثيم العرب وسادا تهم جماعة أورثوها أعقابهم الى أن كان من أمرهم ما كان (٢) وأخذ العرب البلديون ينظرون الى موجات العرب التى دخلت الأندلس بعد ذلك ، وأطلق عليهم اسم الشاميين وكانوا من القيسية ، بكثير من الحذر . بل أن العداء استفحل بين الفريقين وأشعلوا نار الحرب الأهلية فى الاندلس (٣) .

---

(١) سالم ، المرجع السابق ص ٢٧٣ وص ٢٧٧ — مؤنس ، المرجع السابق ص ١٢٦

(٢) المقرى ، نفح الطيب ج ١ ص ٢٩٠

(٣) ابن عذارى ، المصدر السابق ص ٦٥

حتى ولى أمرها أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبى سنة ١٢٥ ، فأتبع سياسة تفريق القبائل العربية فى ربوع الأندلس (١) . ويبدو أن الذى أشار بذلك على أبى الخطار أحد الاسبان الذين تحالفوا مع العرب عند الفتح ، ويطلق عليه ابن الخطيب اسم أرطباس قومس الأندلس (٢) ، وبين له أن المصلحة تقضى ابعاد القبائل الشاميين عن دار الامارة بقرطبة ، وانزالهم بكور تشبه الكور (٣) التى تركوها فى المشرق وأن يترك لهم اختيار هذه الكور.

وقد أنزل أبو الخطار جند دمشق فى كورة البيرة (٤) .

---

(١) أنظر ابن الخطيب ، الاحاطة ص ١٠٧ — ١٠٨ — ابن الأبار ، الحلة السيراء جـ ١ ص ٦١

(٢) ابن الخطيب ، المصدر السابق ص ١٠٩ . وجاء فى حاشية ٢ بنفس الصفحة أن أرطباس هذا هو الأسقف أوباس الذى تحالف مع العرب منذ الفتح ، وقد عينه العرب حاكما لطليطلة ورئيسا للنصارى الذين أنضووا تحت لواء الفاتحين . وأن العرب قد أنشأوا منصب القومس يكون صاحبه زعيما للنصارى ومتوليا شئونهم الدينية .

(٣) جمع كوره والكوره : منطقة ادارية أشبه بالامارات فى الوقت الحاضر ويقول ابن الأبار المصدر السابق ، أن أبا الخطار عمل على تفريق جميع العرب الشاميين الغالبين على البلد عن دار الامارة قرطبة اذ كانت لا تحملهم وانزلهم مع العرب البلديين على شبه منازلهم فى كور شامهم وتوسع لهم فى البلاد .

(٤) ابن الخطيب ، المصدر السابق ص ١١٠ — ابن الأبار ، المصدر السابق ص ٦٢ .

وأنـزل جنـد الأردن كـــوره جيـــان (١) •

وأنزل جند مصر فى أكشونبه وباجه (٢) مع البلديين الأول ، وأنزل باقيهم فـــى كـــوره تدمـــير (٣) •

وأنزل فى كورتى لبـله (٤) وأشـبيليه جند حمص مع البلديين الأول •

وأنزل فى كوره شـذونه والجزيرة (٥) جند فلسطين وأنزل فى كوره جيـــان جنـــد قنســـرين •

فلما رأى العرب بلدانا تشـبه بلدانهم بالشام اسـتقروا بها وعمـــروها

---

(١) ابـــن الخطـــيب ، المصـدر السابق – أما ابن الأبـــار المصـــدر السابق ص ٦١ فيذكر أنه أنزلهم فى كـــوره ريـــه •
جيان : مدينة لها كورة واسعة بالأندلس بينها وبين قرطـبة ١٧ فرسخا ياقوت مـادة جيـــان •
ريـــه : اسم كورة من الكـــور الصـغيرة جنوب الوادى الكبـــير •

(٢) ابن الخطـيب ، المصـدر السـابق – وابن الأبـــار المصـــدر الســـابق ص ٦٥ •
أكشونبه : أو أخشونبه اسم بلدة رومانية قديمـة ، جنوبى البرتغال ، الحاليـــة •
باجـــة : فى البرتغال الحالية وتسمى اليوم بيجا على بعد ١٤٠ ك٠م جنـــوب شـرق عاصمة البرتغال لشـبونه

(٣) ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ابن الأبار ، المصادر السابق ص ٦١
تدمـير : هو الاسم القديم لكورة مرسية التى اختطها الأمير عبدالرحمن الأوسط ســـنة ٢١٦ هـ

(٤) ابن الأبار ، المصـدر الســـابق •
لبـــله : كورة كبيرة بالأندلس غرب قرطبة ، بينها وبين قرطبة ٤٤ فرسخا ياقـــوت ، معجم البلـــدان •

(٥) ابن الأبار ، المصدر السابق
شذونه : مدينة بالاندلس من أعمال اشبيلية – ياقوت ، معجم البلدان مـــادة شـــذونه

وبقى العرب البلديون من الجند الأول على ما بأيديهم من أموالهم لم يعــرض لهم فى شيئ منـــها (١) .

واذا كان أبو الخطار قد حاول حل مشكلة التعصب القبلى بتفريــــق القبائل فى مختلف مناطق الأندلس (٢) ، فقد قام المنصور بن أبى عامر بمحاولة تمزيق الوحدة القبلية عن طريق تشكيل فرق الجيش من قبائل متعددة ، يقول المقــرى : « كان عرب الأندلس يتميزون بالقبائل والعمائر والبطون والأفخاذ ، الى أن قطع ذلك المنصــور بن أبى عامر الداهية الذى ملك سـلطنـــــــة الأندلس ، وقصد بذلك تشتيتهم وقطع التحامهم وتعصبهم فى الأعتزاء ، وقدم القواد على الأجناد ، فيكون فى جند القائد الواحد فرق من كل قبيلـــــة ، فأنحسمت مادة الفتن والأعتزاء بالأندلــــس (٣) . »

أما عن أهم القبائل العربية فى الأندلس فكانت كما يلى :

من القبائل القيســــية :

بنو غطفان بأشبيلية بقرية قرشـانه من الشــرف (٤) .

= الجزيرة : مدينة مشهورة بالأندلس ، وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة ، وأعمالها متصلة بأعمال شذونه . ياقوت معجم البلدان مـادة الجزيرة الخضراء

(١) ابن الأبار ، المصدر السابق ص ٦٣ ــ ويقول الدكتور مؤنس : محقق الحلة السيراء حاشية (١) ص ٦٢ أن هذه الكور تمثل معظم جنوب شبه الجزيرة

(٢) هو المنصور أبو عامر محمد بن أبى عامر المعافرى الذى أستبد بالحكم فى عهد المؤيد ــ المغرب فى حلى المغرب ج ١ ص ١٩٩ .

(٣) المقــرى ، نفــح الطيــب ج ١ ص ٢٩٣ .

(٤) بلدة من سواد أشبيلية ــ ابن حزم ، المصدر السابق ص ٢٤٩ .

وبنو مره من ذبيان بالبيرة .(١)

وبنو عك من عدنان ، ومنهم كان أمير الأندلس عبد الرحمن الغافقي وعقبة بمونيانه الغافقين بقرب أشبيليه على النهر الكبير .(٢)

بنو زهره باشبيليه .(٣)

قبائل كنانه بطليطله وأعمالها .

هزيل بن مدركة بن مضر بجهة أريوله من كوره تدمير .

تميم بن أد بن مضر منهم خلق كثير بالأندلس .

أما قيس عيلان من العدنانية ففى الأندلس كثير منهم من ينتسب الى سليم بن منصور ، ومنهم من ينتسب الى هوازن بن منصور ، وكان منهم بأشبيليه خلق كثير .

أما بنو بكر بن هوازن فلهم منزل على ثلاثة أميال من بلنسية ، وكان بأشبيليه منهم عدد كبير .(٤)

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٥٤

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢٩ ، ويقصد بالنهر الكبير نهر الوادى الكبير

(٣) المقرى ، المصدر السابق ص ٢٩٠

(٤) المقرى ، المصدر السابق ص ٢٩١ ــ بلنسيه : كورة ومدينه مشهور بالاندلس شرق قرطبة ــ ياقوت معجم البلدان

أما بنو سعد بن بكر بن هوازن ، وبنو كلاب بن ربيعة بن صعصعة ، وبنو نمير بن عامر بن صعصعة فكانت منازلهم بغرناطة . وبنو ربيعة بن نزار وكان لهم أقليم مشهور بأسمهم بوادى آش (١) .

أما القبائل اليمانية أو القحطانية ، فكما يقول المقرى (٢) أنهم الأكثرية بالأندلس ولهم الزعامة . ويلاحظ أن قبائل بأسرها تكاد تكون قد تركت الجزيرة العربية لتستقر خارجها ، ومنها الأندلس فقبائل الأسد التي ينتسب اليها الأوس والخزرج كان منهم جمع غفير فى الأندلس ، حتى ذكر المقرى عن ابن سعيد ، أنك تعدم هذا النسب بالمدينة وتجد منه بالأندلس فى أكثر بلدانها ما يشذ عن العدد كثره . وكان الأنصار بناحية طليطلة وهم أكثر القبائل بالأندلس فى مشرقها وغربها (٣) . ويوجد من الخزرج بنو مالك وكانوا بقرية شوش الأنصار من أشبيلية .

أما بنو كعب من ولد سعيد بن سعد بن عباده فكانوا بقرية يقال لها : قربلان من عمل سرقسطة (٤) .

---

(١) وادى آش : ويطلق عليه أيضا واد ياش ، كانت فى التقسيم الادارى الأندلسى تابعة لكورة البيرة (وهى غرناطة) ــ أنظر ابن الأبار المصدر السابق ج ٢ ص ٣٥٤ حاشية / ١

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٩٣

(٣) " " ، ص ٢٩٤

(٤) ابن حزم ، المصدر السابق ، ص ٣٩٤ ، ص ٣٦٥
وشوش الأنصار : قرية مشهورة على نهر يمر على مدينة استجة ويصب فى نهر قرطبة .

وكانت دار تجيب من كندة ، سرقسطة ودروقة وقلعة أيوب (١) •
ودار بلى من قضاعة ، الموضع المعروف بأسمهم بشمال قرطبة (٢) •
ودار بني عزوه بن سعد هزيم ، دلاية وجيان وسرقسطه (٣) •

ومن القبائل اليمنية أيضا التي كانت بالأندلس ،
الهمزانيين وكان منزلهم على ستة أميال من غرناطة ، والبيرة (٤) •

وطئ قبلى مرسيه ، ويذكر ابن حزم أن منزلهم بسطه
وتاجسله (٥) • وكهلان بين الجزيرة الخضراء وأشبيليه ، ولهم قلعة
خولان نسبة الى خولان بن عمرو بن الحارث بن مرة (٦) •

أما المعافر بن مره فمنهم المنصور بن أبى عامر •

---

(١) ابن حزم ، المصدر السابق ، ص ٤٣٠ •
دروقة : بلدة بالأندلس من أعمال سرقسطة ـ أنظر الأبار
المصدر السابق ج ٢ ص ١١٨ حاشية / ٢
قلمة أيوب : قرب دروقة ، أنظر ابن الأبار ، المصدر السابق
ج ٢ هامش ١ ص ٧٩
(٢) المصدر السابق ص ٤٤٣
(٣) المصدر السابق ص ٤٥٠
(٤) المقرى ، المصدر السابق ص ٢٩٥ ـ ابن حزم المصدر السابق
ص ٣٩٧ •
(٥) المقرى ، المصدر السابق ـ وأبن حزم المصدر السابق •
وبسطة : من كور جيان بالقرب من وادى آش ـ وتجلة : حصن
من عمل بسطة على وادى المنصوره •
(٦) المقرى ، المصدر السابق ـ ابن حزم المصدر السابق ص ٣٩٢

أما بنو لخم بن عدى بن مره فمنهم بنو عباد أصحاب أشبيليه وكانت منازلهم فى شذونه والجزيرة وتدمير وأشبيليه (١) .

أما الحضرميون فكانوا بمرسيه وغرناطة وأشبيليه وبطليوس وقرطبة (٢) .

---

(١) المقرى ، المصدر السابق ــ ابن حزم صفحات ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

(٢) المقرى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٨ .

الفصل الأول

بنو هلال وبنو سليم قبل غزو المغرب

- مواطن بني هلال وبني سليم .
- انضمامهم لحركة القرامطة .
- توطين بني هلال وبني سليم في مصر .

مواطن بنى هلال وبنى سليم :

يقول ابن حزم (١) ، أن جميع العرب يرجعون الى ثلاثة رجال هــــم عدنان وقحطان وقضاعة . وأن عدنان من ولد اسماعيل ، وقد ولد عدنــان معد ، ومن أولاد معد نزار ، ومن أولاد نزار مضر ، ومن أولاد مضــــر قيس عيلان . وقد أنحدر العديد من قبائل العرب من قيس عيلان . حتى لقد أطلق على عرب الشمال الذين هم من عدنان اسـم القيســـيه .

وبنو سليم وبنو هلال من قيس عيلان ، ويجتمعان فى منصــــور ابن عكرمة بن خصفه بن قيس عيلان بن مضر . فسليم أبو منصور وأمه تكمه بنت مـر بن أدّ بن طابخه بن الياس بن مضـر ، التى ولدت أيضا غطفان (٢) .

أما هلال فهو ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هـوازن أبن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضـر (٣) . وأم عامـر هى عمره بنـت الظـرب (٤) .

وقد تعددت بطون بنى سليم وعشائرهم وكلهم من أبناء بهثـــــه ابن سليم (٥) . وقد ذكر ابن حزم فى الجمهره معظم هذه القبائل والبطــون .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧ ومابعدهـا .
(٢) ابن قتيبة الدينورى ، المعـارف ، ص ٣٦
ابن حزم ، المصدر السـابق ، ص ٢٠٦
(٣) ابن حزم ، المصدر السـابق ، ص ٢٧٣
(٤) القلقشندى ، نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، ص ٣١٦
(٥) القلقشندى ، المصـدر السـابق ، ص ٢٩٥

وأن ذكر الطبرى وابن خلدون وابن دريد والمقريزى والقلقشندى بعض المراجع الحديثة بطونا لم يذكرها ابن حزم وان شاركوه فى ذكر البطون التى أوردها . والبطون التى ذكرها أبن حزم وغيره (١) : معاوية بن بهثه وثعلبه بن بهثه وعوف بن بهثه ، والحارث بن بهثه ، وبنو ذكوان ابن رفاعة بن الحارث ، وأمرؤ القيس بن بهثه ومن أهم بطونه بنو رعل وبنو بهز وبنو عصيه (٢) .

ومن البطون والمشائر التى ذكرها غير أبن حزم ، بنو شيبان وبنو الشريد بن رياح ، وبنو سماك ، وبنو مطرود ، وبنو القنفذ ، وبنو سليمان بن ذباب ، وبنو الأزرق بن عوف بن خفاف ، والبسه بطن من وديمة ، وحريز بن تميم بن عمر ، وبنو عبس بن رفاعه أبن الحارث بن بهثه ، وبنو عميره بن خفاف بن أمرؤ القيس ، وبنو قتهه وبنو بجله (٣) .

---

(١) أبن حزم ، المصدر السابق ، ص ٢٦١ ، وص ٤٦٨ ، وأنظر المقريزى ، البيان والاعراب ، ص ٦٨ .
القلقشندى ، المصدر السابق ، ص ١٨١ ــ ابن قتيبه الدينورى المعارف ، ، ص ٣٨ ــ أبن دريد ، الاشتقاق ص ٣٠٧ وص ٣٠٨
أبن عبد البر ، أنباه الرواه ص ٨٥ وص ٨٦

(٢) يذكر أبن حزم فى الجمهرة ، ص ١٧٠ ، ، وقيل أن عصية التى من سليم هى عصيه بن معيص بن عامر بن لوى .

(٣) أنظر الطبرى ، جـ ٣ ص ٦٥
أبن الأثير ، جـ ١ ص ٦٠٩
أبن دريد ، الاشتقاق ، ص ٣٠٧
أبن قتيبه ، المعارف ، ص ٣٨
القلقشندى ، المصدر السابق ، صفحات ٤٧ ، ٦٠ ، ١٧١ ، ١٨٢ ، ٢٦٣ ، ٢٩٦ .

ويذكر ابن حزم أن غاضره وعاتيه من ولد النمر بن وبره بن تغلب بن قضاعه دخلوا فى بنى سليم بن منصور (١) .

وكانت منازل بنى سليم بين مكة والمدينة مع أمتدادها الى خيبر ووادى القرى وتيماء ، يقول الهمدانى (٢) « من وادى القرى الى خيبر الى شرق المدينة الى حد الجبليين الى ما ينتهى الى الحره ديار سليم وأما نجد ما بين مكة والمدينة من ذات عرق فالى الجبليين فالمعدن معدن سليم فراجعا الى وادى القرى الى الحجر موضع ثمود والناقة » .
ويقول القلقشندى (٣) أن منازلهم كانت فى عالية نجد بالقرب من خيبر ومنازلهم حره سليم وحره النار ووادى القرى وتيماء .

وأشتهرت ديار سليم بالخصب ، لكثرة المياه والثروة الطبيعية بالجبال وخاصة الذهب ، كما أشتهرت جبالها بكثرة ما بها من عسل (٤) . وكانت أهم مناجم الذهب فى جزيرة العرب هو المنجم الموجود فى ديار بنى سليم ، ويقع فى جبل فاران (٥) .

= ٣٢٧ ، ٣٧٨ ، ٤٢٣ ــ كحالة ، معجم القبائل العربية ، ص ٥٤٣
جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٤ ص ٢٦٠ ،
عاتق البلادى ، معجم قبائل الحجاز ، ج ١ ص ١٧ ، ٣٦ ، ١٠١
(١) المصدر السابق ، ص ٤٥٠
(٢) صفة جزيرة العرب ، ص ٢٧٤
(٣) القلقشندى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٥
(٤) جواد على ، المرجع السابق ، ج ٧ ص ١١٩
(٥) كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ص ٢٦ =

ويبدو أن بطونا من بنى سليم تركوا ديارهم قبل الاسلام وأقاموا في أماكن أخرى مثل الحيره ، حيث أعتنقوا النصرانية . ومنهم من ذهب الى فلسطين فى عهد الامبراطور جستنيان (٥٢٧ ـ ٥٦٥م)(١)

كان بنو سليم ينعمون بالرخاء وسعة العيش ، بما تفضله عليهم الزراعة والتمدين ، الى جانب التجارة حيث كانوا يشتركون فى رحلتى الشتاء والصيف(٢) . وكانت بلادهم تهيمن على طرق التجارة مع الشام والعراق . لذلك كثر عددهم حتى أصبحوا من القبائل التى أعتبرت من أثافى العرب(٣) ، كما أشتهروا بالفروسية ، حتى قيل « الفرسان من بنى سليم . وكان يقال « اذا كنت من قيس ففاخر بغطفان وكاثر بهوازن وحارب بسليم(٤) . ويقول القلقشندى « وهم أكثر قبائل قيس وفيهم الأبطال الأنجاد والخيل الجياد(٥) .

---

* جواد على ، المصدر السابق ، ص ٥١٤ . ويقول أن جبل فاران نسب الى فران بن بلى دخلوا فى سليم ويأخذ على طريق الكوفة الى مكة . ويذكر أن شركة التمدين السعودية عثرت على أدوات فى هذه المناجم كان يستعملها الأولون قبل الاسلام فى استخراج الذهب . وجاء فى دائرة المعارف ، مادة سليم ، أن الذهب الذى كان يستخرج من مناجم سليم ظل موردا هاما من موارد الدولة الاسلامية حتى عهد الدولة الاموية .

(١) عبد القدوس الانصارى ، بنو سليم ، ص ١٣ .

(٢) المقريزى ، أتعاظ الحنفا ، جـ ٢ ، ص ٢١٥

(٣) جواد على ، المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٣٣٤ والاثفية : العدد الكثير والجماعة من الناس

(٤) جواد على ، المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٥٧٠ وص ٥٧١

(٥) القلقشندى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٥

وهكذا كانت سليم من أشهر قبائل العرب فى الجاهلية موموقة مرهوبة الجانب ، لها صلاتها القوية مع قريش فى مكة ، وقد تمدت هذه الصلات الملاقات المادية الى المصاهرة (١) . كما كان لهم علاقة طيبة مع يهود يثرب ، ولعل هذا كان من أسباب اشتراك بنى سليم فى غزوة الأحزاب (٢) .

وكطبيعة العرب فى الجاهلية ، كان لسليم أيامهم حيث تدور الحروب بينهم وبين القبائل الأخرى وكان بعض هذه الأيام لسليم وأخرى عليهم . ويروى أن النعمان بن المنذر ملك الحيره نقم على بنى سليم لأمر ما ، فأرسل اليهم جيشا لقتالهم ، ولكنهم تمكنوا من هزيمته (٣) . ومن أيام بنى سليم المشهورة يوم الفجار الثانى بين قريش وقيس ومنهم بنى سليم (٤) . ويومى حوزة الأول والثانى هزمت فيها سليم ذبيان (٥) ، ويوم الكديد (٦) لبنى سليم على

---

(١) أنظر ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٢ . ص ٣٣ ــ ٣٤ .
(٢) السمهودى ، وفاء الوفاء ، ص ٣٠٠ ــ ٣٠١
(٣) جواد على ، المرجع السابق ، ج ٤ . ص ٥١٩
(٤) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج١ ص ٥٩٤ ــ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج٣ ص ٧٧ ــ ٧٨ ــ القلقشندى ، المصدر السابق ، ص ٤٥٧ ولعل أيام الفجار هى أشهر أيام العرب جميعا . وقد سميت كذلك لأنها وقعت فى الأشهر الحرم فعد خروجهم على السلم فيها فجورا . وكان ، بينه وبين مبعث رسول الله ستة وعشرون عاما وأنه صلى الله عليه وسلم . حضر الفجار وهو حدث لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره .
(٥) ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، ج٣ ص ٥٢ ــ جاد المولى وآخرون ، أيام العرب فى الجاهلية ص ٢٨٣ ــ ٢٨٩ ، وحوزه واد بالحجاز .
(٦) ابن عبد ربه ، المصدر السابق ج٣ ص ٥٥ ــ جاد المولى المرجع السابق ص ٣١٢ ــ والكديد موضع على بعد أثنين وأربعين ميلا من مكة .

كنانه ، ويوم بـروزه (٢) هزمت فيها كنانة سليما ، ويوم سمطـه (١) ، وهـو موضـع قريب من عكاظ وفيه هزمت قيس ومنهم سليم كنانـة وقريش ، ويوم ذات الأثـل (٣) فيه هزمت تميم سليما ، ويوم ذات الرمرم (٤) بين بنى مازن وسليم ، ويوم تثليث (٥) بينهم وبين مراد .

وقد قاومت سليم الاسلام مدة ، ويبدو أن ذلك كان ارضاء لقريش (٦) . ولكن هذا لم يمنع بعض رجالات سليم من الدخول فى الاسلام فى وقت مبكر ، فان عمرو بن عبسه من بنى مالك ابْن ثعلبة بن بهثه بن سليم أسلم فى وقت مبكر فى وقت كان المسلمون فيه أربعة ، فكان يقول : كنت يومئذ ربع الاسلام (٧) كما أن النعمان بن عمرو بن النعمان من بنى بهز بن امرؤ القيس ابن بهثه بن سليم كان صاحب راية المسلمين يوم أحد (٨) .

---

(١) جاد المولى ، المرجع السابق ، ص ٣١٩ . ولم يذكر أين يقع هذا الموضع .
(٢) جاد المولى ، المرجع السابق ، ص ٣٣١ .
(٣) ابن عبد ربه ، الصدر السابق ، ج ٣ ص ٥٣ ـ جاد المولى ، المرجع السابق ، ص ٣٩٩ ، وذات الأثل موضع فى بلاد تيم الله بن ثعلبه .
(٤) جواد على ، المرجع السابق ، ج ٤ ص ٥١٩ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) عبد القدوس الأنصارى ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ .
(٧) ابن دريد ، الاشتقاق ، ص ٣١٠
ابن حزم ، الصدر السابق ، ص ٢٦٤ .
(٨) القلقشندى ، المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

ولقد غزاهم النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة (١) الا أن الاسلام سرعان ما عرف طريقه الى قلوبهم فأخذوا يدخلون فى الاسلام جماعات ، وذلك بعد صلح الحديبية وبعد انتصار الرسول فى خيبر سنة ٧ هـ (٢) . وكان أوائل من أسلم قيس بن نسيبه الذى كان منجما وعلى علم بلغة الروم والفرس ويقول الشعر ، وقد جاء الى الرسول بعد غزوة الخندق وسأله عن مسائل لا يعلمها الا من يوحى اليه ، فأسلم ورجع الى قومه فقال « يا بنى سليم قد سمعت ترجمة الروم وفارس ، وأشعار العرب والكهان ، ومقاول حمير ، وما كلام محمد يشبه شيئا من كلامهم ، فأطيعونى فى محمد فانكم أخواله ، فان ظفر تنتفعوا به وتسعدوا ، وأن تكن الأخرى فان العرب لا تقدم عليكم ، فقد دخلت عليه وقلبى عليه أقسى من الحجر ، فما برحت حتى لان لكلامه » . وقد أسلم بأسلامه العدد الكبير من سليم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يسميه حبر بنى سليم (٣) .

كما أن سيدا من سادات سليم أسمه قدر بن عمار قدم على النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأسلم وعاهده أن يأتيه

---

(١) أرجع الى هذه الغزوات فى الطبرى ج٢ ص٣ ـ وأبن الأثير ج٢ ـ وأنظر السمهودى ، المصدر السابق ج١ . ص ٢٨٠ وما بعدها ـ جواد على ، المرجع السابق ، ج٤ ص ٢٦٠ و ج٧ . ص ٣٣١ ـ محمد أبو الفضل ، أيام العرب فى الاسلام ص ٥٣ ـ ٥٥ .

(٢) أنظر الانصارى ، المرجع السابق ، ص ١٩

(٣) جواد على ، المرجع السابق ، ج٤ . ص ٢٥٧ و ج٨ ص ٣٧٤

بألف من قومه ولكنه لما عاد الى قومه أحس بالموت فطلب من عباس بن مرداس وجبار بن الحكم والأخنس بن يزيد بالتوجه للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأمر كل واحد على ثلاثمائة ، ثم لحق بهم المقنع بن مالك بن أميه على مئة رجل فصار عددهم ألفا (١) .

وأشترك بنو سليم بعد ذلك فى فتح مكة ، وكان عددهم فى جيش الرسول صلى الله عليه وسلم سبعمائة (٢) ، وكان الورد بن خالد بن حذيفة من بنى مالك بن ثعلبه بن بهثه بن سليم على ميمنة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الفتح (٣) . كما أشتركوا فى غزوة حنين سنة ٨ هـ (٤) .

فلما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت حركة الردة ، إنقسمت سليم على نفسها فبعضها ثبت على الاسلام ، وأرتد البعض . وقامت الحرب بين الفريقين ، حتى فاء من خرج على دين الله وعاد الى الجماعة (٥) .

ثم كان لهم اسهام فى حركة الفتوحات الاسلامية التى حملتهم الى

---

(١) جواد على ، المرجع السابق ، جـ٤ . ص ٢٥٨
(٢) الطبرى ، المصدر السابق ، جـ٣ . ص ٦٤ ـ ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ٢٤٢ .
(٣) ابن حزم ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤
(٤) الطبرى ، المصدر السابق ، ص ٧٠ وما بعدها ـ ابن الاثير ، المصدر السابق ، جـ ٢ . ص ٢٦١
(٥) الطبرى ، المصدر السابق ، جـ٣ ص ٢٦٥ ـ ابن الاثير ، المصدر السابق ، جـ٢ ص ٣٥٠ .

خارج الجزيرة العربية حيث أستقر كثير منهم في الكوفة والبصرة وسائر أنحاء العراق (١)، كما أقاموا في خراسان والشام بحمص ودمشق وبديار بكر وبلاد الجزيرة في الرها وحران (٢) والمغرب والاندلس (٣).

ولكن بني سليم لم يدخلوا مصر الا في سنة ١٠٩ هـ، عندما ولى عبد الله بن الحبحاب خراج مصر في خلافة هشام بن عبد الملك. فقد رأى ابن الحبحاب أنه لا يوجد بمصر من القيسيه الا العدد القليل فكتب الى الخليفة يستأذنه في استقدام بعض القيسيه وخاصة أن بمصر كورا مثل بلبيس قليلة السكان ولا يضر بأهلها نزولهم معهم ولا يتأثر الخراج، فأذن له الخليفة في استقدام من يشاء. فبعث ابن الحبحاب الى البادية فقدم عليه مئة أهل بيت من مضر ومئة أهل بيت من سليم، فأنزلهم بلبيس وأمرهم بالزرع وبذل لهم من مال العشور فأشتغلوا بالزراعة وبنقل البضائع الى القلزم فأثروا، ولحق بهم من البادية آخرون فزاد عددهم حتى أصبح عند وفاة الخليفة هشام ألف وخمسمائة أهل بيت، ثم زاد عددهم في خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية الى ثلاثة آلاف أهل

---

(١) أنظر الطبري، المصدر السابق، جـ٤ ، ص ٤٥ وجـ٦ ص ٦٢٠، وجـ٧ ص ٥١، ٥٢ — ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٤ ص ٣١١ وص ٣٢٣ وص ٥٠٦ وجـ٦ ص ١٢٩ — الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب، ص ٩٩ — ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٦٢

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٧٥

(٣) المقري، المصدر السابق، جـ١ ، ص ٢٩١

بيت . وفى عهـد محمد بن سعيد والى خراج مصر فى سنة ١٤٣هـ فى عهد الخليفة المنصور العباسى أصبح عددهم خمسة آلاف (١) . ويبدو أن قوما من بنى سليم رحلوا الى أسوان حيث أقاموا ، اذ يذكر اليعقوبى (٢) أنه كان فى معادن التبر قوم من بنى سليم وغيرهم .

وهكذا أنتشر بنو سليم بأعداد كبيرة فى مختلف أرجاء الدولة الاسلامية حتى لقد وهم المقريزى (٣) والقلقشندى (٤) ، فذكر أنه لم يبق لهم عدد ولا بقية ببلادهم . وكان لبنى سليم فى البلاد التى أستوطنوها مكانة مرموقة ، فيذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى الأمصار ليرسلوا له من كل مصر بأفضله رجلا ، فكانوا كلهم من بنى سليم (٥) .

شارك بنو سليم فى كثير من الأحداث التى قامت فى الدولة الاسلامية . فكانوا ممن ظاهروا الخليفة عثمان بن عفان (٦) رضى الله عنه كما شاركوا سنة ٣٦هـ فى موقعة الجمل بقيادة مجاشع بن مسعود السلمى (٧)

---

(١) الكندى ، كتاب الولاه وكتاب القضاء ، ص ٧٦ ــ ٧٧ ــ المقريزى ، البيان والأعراب ، ص ٦٥ ــ ٦٨
(٢) د . عابدين ، أنظر البيان والاعراب للمقريزى ، ص ١٠٧ .
(٣) البيان والأعراب ، ص ٦٨ .
(٤) نهاية الأرب ، ص ٢٩٥ .
(٥) أنظر كحالة ، معجم قبائل العرب ، ص ٥٤٥
(٦) الأنصارى ، المرجع السابق ، ص ١٣٤
(٧) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٤١ .

وفى موقعة مرج راهط فى المحرم سنة ٦٥ هـ ضد مروان بن الحكم (١) كما أنضم السلميون الى عبد الله بن الزبير ضد بنى أمية (٢) وكذلك أشتركوا فى ثورة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب سنة ١٢١هـ (٣) وفى عهد الدولة العباسية أنضم بنو سليم الى محمد بن عبد الله (النفس الذكية) (٤) . ولعل هذا ما جعل الخليفة المنصور فى نصيحته الأخيرة لابنه المهدى ، يطلب منه عدم الاستعانة بأحد من سليم (٥) .

ويبدو أن العلاقات أخذت تسوء بين بنى سليم والخلافة العباسية حتى أنتهى الأمر بخروجهم عليها ، وعمدوا الى الأفساد فى الأرض وقطع الطريق على الحاج . يقول أبن خلدون « فلما أنتالت الدولة العباسية وأستبد الموالى من العجم عليهم ، أعتز بنو سليم هؤلاء بالقفر وأجلبوا على الحاج بالحرمين ونالتهم منهم معرات . ولما أنقسم ملك الاسلام بين العباسية والشيعة ، وأختطوا القاهرة نفقت لهم أسواق الفتنة والتمرز وساموا الدولتين بالهضيمة وقطع السابلة (٦) » .

---

(١) المصدر السابق ، جـ ٤ . ص ١٥١
(٢) الانصارى ، المرجع السابق ، ص ٢٠ .
(٣) الطبرى ، المصدر السابق ، جـ ٧ ص ١٧٢ .
(٤) المصدر السابق ، جـ ٧ . ص ٥٨١
(٥) الطبرى ، جـ ٨ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ٦ . ص ١٩ ـ ابن خلدون ، جـ ٧ . ص ٢٧٣
(٦) أبن خلدون ، جـ ٧ . ص ٢٧٣ .

كما يذكر ابن خلدون أيضا أن بنى سليم كانت فى عهد العباسيين شوكة بغى وفتنة حتى لقد أوصى بعض خلفائهم أبنه أن لا يتزوج منهم وأنهم كانوا يغيرون على المدينة فصدت الخلافة العباسية الى ارسال الجيوش من بغداد للايقاع بهم (١) .

وبلغ الأمر ببنى سليم أنهم كانوا يطرقون أسواق الحجاز ، فيأخذون ما يريدون بالسعر الذى يريدونه هم وزاد ضررهم على الحجاج وعلى من جاورهم من القبائل ، حتى لقد وجه اليهم الخليفة الواثق القائد بغا الكبير سنة ٢٣١ هـ حيث أوقع بهم وببنى هلال (٢) .

ولما ظهر القرامطة فى البحرين أنضم اليهم بنو سليم وبنو هلال ، وسنتعرض لذلك بعد التعريف ببنى هلال .

أما بنو هلال فكانت مواطنهم بنجد فيما بين الطائف وجبل غزوان (٣) .

ومن بلادهم رنّيه وتربه وأبيده والقريجا والقبلاء والفتق

---

(١) ابن خلدون ، ج ٦ . ص ١٣ وص ٧٢

(٢) الطبرى ، المصدر السابق ، ج ٩ ص ١٣٠ ـ ١٣٢ ـ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٧ . ص ١٢ ـ ١٣

(٣) ابن خلدون ، ج ٦ . ص ١١ وص ١٣ ـ المقريزى ، اتعاظ الحنفا ج ٢ . ص ٢١٥

واودى جلذان، كما كانت سوق عكاظ من منازلهم (١) • وكان لهم بيت عبادة يدعى ذو الخلصة بالمبلاء على أربع مراحل من مكة (٢) • ومن حوارهم حره بني هلال بالبرك جنوب شرق الطائف • ومن مياههم مياه البقهاء (٣) •

وكانت أهم بطون بني هلال بنو شعثه بن هلال وبنو عبد الله ابن شعثه وبنو ناشره بن هلال وبنو عمرو بن ناشره وبنو ظالم ابن ناشره وبنو نهيك بن هلال وبنو عبد مناف بن هلال وبنو حرب ابن هلال وبنو مسروح بن حرب وبنو سالم بن حرب وبنو عبيد الله ابن حرب وبنو رياح وبنو زغبه وبنو ربيعه وبنو عدى وبنو قره والأشبج وبنو رويبه بن عبد الله وبنو الهزم (٤) •

---

(١) الهمداني ، الصدر السابق ، ص ٦٣ ، ١٦٦، ١٦٧ ، ٢٦٠ ، ٤٣٧
رنيه : واد يقع على مسافة ٩٠ ميلا جنوب شرق الطائف على الطريق من نجد الى اليمن وفيه قرى •
تربه : مدينة تحيط بها الأراضي الزراعية ومزارع النخل • ويذكر ياقوت أنه واد على مسافة يومين من مكة يسكنه بنو هلال وطول الوادى ثلاثة أميال •
القريحا : والقبلاء ، والفتق : كانت قرى عامرة وقد خربت •
جلذان : واد منقلب الى نجد شرق الطائف •
(٢) الأزرقى ، أخبار مكة ، ج ١ • ص ٣٧٥ • ويقول الأزرقى : قال المبرد موضعه ، اليوم — أى موضع ذى الخلصه — مسجد جامع لبلدة يقال لها المبلات بأرض خثعم •
(٣) كحالة ، معجم البلدان ، ج ٣ • ص ١٢٢١ •
البلادى ، المرجع السابق ، ج ٣ • ص ٥٤٢ •
(٤) أنظر ابن حزم ، الصدر السابق ص ٢٧٤ — ٢٧٥ — ابن دريد ، المصدر السابق ص ٢٩٤ ، القلقشندى ، الصدر السابق ، =

ولبنى هلال أيضا أيامها فى الجاهلية كيوم الفجار الثانى (١) ، وكان على بنى عامر ملاعب الأسنة أبو براء ، ويوم الوتده بالدهناء حيث أغارت بنو هلال على أنمام بنى نهشل فحاصرتهم بنو نهشل بالوتده فما أفلت من بنى هلال الا رجل واحد (٢) ، ويوم رحرحان كان أولهم بين بنى دارم وعامر بن صعصعة والثانى بين تميم وبنى عامر ، ويوم مزلق كان لسعد على عامر بن صعصعة (٣) . كما كانت لهم أيامهم مع الأزد وبنى سليم (٤) .

وكان لبنى هلال صلة طيبة بقريش قبل الاسلام وبعده . وقد صاهرتهم قريش فكان منهم صفية بنت حزن من بنى عبد الله ابن هلال ، وهى أم أبى سفيان بن حرب بن أمية وعمة أم المؤمنين ميمونة (٥) ، ولبابه الكبرى من بنى عبد الله بن هلال وهى أم خالد ابن الوليد (٦) ، ولبابه الصغرى وهى لبابه بنت الحارث بن حز ن

= صفحات ، ١٧٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٩٧
ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٦ ص ١٤ ، ١٧

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ١ . ص ٥٩٤ .

(٢) القلقشندى ، المصدر السابق ، ص ٤٥٩ ـ كحالة ، المرجع السابق ، جـ ٣ . ص ١٢٢١ .

(٣) القلقشندى ، المصدر السابق ، ص ٤٥٨ و ص ٤٦٠

(٤) البلادى ، المرجع السابق ، جـ ٣ . ص ٥٢٢ .

(٥) ابن حزم ، المصدر السابق ، ص ٢٧٤ .

(٦) المصدر السابق .

أم عبد اللـه بن العبـا س رضـى الله عنهمـا (١) .

وقد تزوج النـبى صليى الله عليه وسـلم من بـنى هــلال أم المؤ منـين ميمـونة بنت الحارث بن حـزن (٢) وأم المؤ منين زينب بنـت خزيمـة بن الحـارث بن عبد اللـه بن عمـرو بن عبد اللـه بن عبد مناف ابن هـلال بن عامـر ، وقـد تزوجها رسـول الله صلى الله عليه وسلـم سـنة ٤ هـ (٣) .

---

(١) ابن حـزم ، المصـد ر السـابق .
الفاسـى ، المقد الثمين ، جـ ٨ ، ص ٣١٤ ، ٣١٥

ويترجم لها الفاسى بقوله هى لبابه بنت الحارث بن حـزن بن بجير بن الهزم بن رويبه بن عبد الله بن عامر بن صعصعة . وهى أخت أم المؤ منين ميمـونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم . وقـد تزوجها العباس بن عبد المطلب وهى أم أكثر بنيه . يقال أنها أول امرأة أسـلمت بعد خديجة رضى الله عنها . وكان النبى صلى اللـه عليه وسلم يزورها ويقيل عند ها ، وروت عنه أحاد يث كثيرة . وكانـت من المنجبات ولد ت للعباس ست رجال لم تلد أمرأة مثلهم .

(٢) ابن حزم ، المصد ر السـابق ، ص ٢٧٤
ابن قتيـبة ، المصد ر السابق ، ص ٣٩
الفاسـى ، " " ، جـ ٨ ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

يقول الفاسى كان اسم ميمونه بره : فسماها رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ميمـونه . وقد تزوجها بعد رجوعه من خيـبر سنة ٧ هـ ، وبنى بها بسرف وهو موضع على ستة أميال من مكة . قال ابن شهاب وهى التى وهبت نفسها لنبى صلى الله عليه وسلم ، وفيها نزلت الآية « وأمرأة مؤ منة أن وهبت نفسها للنبى » سورة الأحـزاب آيـة خمسـين .

(٣) ابن قتيـبة ، المصد ر السـابق ، ص ٣٩
أبن حـز م ، " " ، ص ٢٧٤
أبن الأثـير ، " " ، جـ ٢ ، ص ١٧٠

ويبدو أن موقف بنى هلال من الاسلام كان متعارضا .فالبعض دخلوا فى الاسلام قبل فتح مكة ، والبعض ظل على موقفه من العداء للاسلام واشتركوا ضد المسلمين فى غزوة حنين سنة ٨هـ (١) . كما أنهم قتلوا رسولا أرسله النبى صلى الله عليه وسلم يدعوهم للاسلام ، هو قره بن حصين بن فضاله من بنى عبس (٢) .

ولما كانت الرده وقفت بنو هلال موقف المترقب ، أو كما يقول ابن الأثير (٣) " تقدم الى الرده رجلا وتؤخر أخرى ، وتنظر ما تصنع أسد وغطفان " . ولكنهم سرعان ما أتوا خالد بن الوليد فأعطوه أيديهم على الاسلام .

وأشترك بنو هلال مثل غيرهم من قبائل العرب فى حركة الفتوح العربية . وأستقر الكثيرون منهم — مثل غيرهم — فى الأقاليم المفتوحة ولا سيما الشام (٤) . كما أن بعضهم تولى مراكز هامة مثل سعيد الحرشى (٥) الهلالى الذى ولاه أبن هبيره والى العراق على خراسان سنة ١٠٣ هـ

---

(١) الطبرى ، المصدر السابق ، جـ ٣ . ص ٧٠
أبن الأثير ، " " ، جـ ٢ . ص ٣٦١
(٢) أبن حزم ، " " ، ص ٢٥١
(٣) أبن الأثير ، " " ، جـ ٢ . ص ٣٤٩ — ٣٥٠
(٤) أبن خلدون ، " " ، جـ ٦ . ص ١١ . ويذكر أبن خلدون " أقام بنو هلال بالشام الى أن ظعنوا الى المغرب وبقى منهم بقية بجبل بنى هلال المشهور بهم قبلى قلعة صرخد وأكثرهم اليوم يتعاطون الفلح " .
(٥) الطبرى ، المصدر السابق ، جـ ٦ . ص ٦٢٠

ولقد جاء الهلاليون الى مصر قبل الهجرة التى شجعهم عليها العزيز بالله الفاطمى ، فجاءت بنو قره حيث أقاموا بالبحيرة والصعيد (١) . كما كان بالحوف منهم جمع كبير أشترك فى الثورة ضد الخليفة المأمون سنة ٢١٤هـ بقيادة عبد الله بن حليس الهلالى (٢) .

وكما قام بنو سليم فى عهد الدولة العباسية بالتعرض للحجاج ، قام بنو هلال أيضا بقطع الطريق عليهم ، حتى قام بغا الكبير بحملته التى ذكرناها سنة ٢٣٠هـ وقبض على رؤوس الفتنة وسجنهم بالمدينة . وكما أنضم بنو سليم الى فتنة القرامطة أنضم اليهم بنو هلال .

---

(١) أنظر أبن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٤ . ص ٥٨ ، وج ٦ . ص ٥ .
المقريزى ، البيان والأعراب ، ص ٢٢ — ويخالف الدكتور عابدين ناشر البيان والأعراب كلا من أبن خلدون والمقريزى فيذكر فى صفحة ١١٦ أن بنى قره هؤلاء اجذاميون يمنيون .

(٢) الكندى ، المصدر السابق ، ص ١٨٥ ، ١٨٨

أنضمام بنى هلال وبنى سليم الى فتنة القرامطة :—

والقرامطة[١] فرقة من الشيعة الاسماعيلية ظهرت فى عهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ هـ — ٢٨٩ هـ) ، عندما أرسل عبد الله بن ميمون القداح[٢] أحد دعاته وهو حسين الأهوازى الى سواد الكوفة ، حيث لقى هناك حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط ، فدخل فى الدعوة وساعد على نشرها فى سواد العراق . ثم أنتشرت دعوتهم فى شمال غرب بلاد العراق وبادية السماوة وبعض بلاد الشام على يد ذكرويه بن مهرويه . أما فى البحرين فقد قامت دولة القرامطة على يد أبى سعيد الجنابى[٣] الذى نشر دعوة الاسماعيلية فى القطيف ثم أمتد نفوذه على كافة أرجاء البحرين . وفى ذلك الوقت كانت الدولة الفاطمية قد قامت فى المغرب وأصبحت بذلك المهيمنة على جميع طوائف الاسماعيلية . ويبدو أن عبيد الله المهدى حاول التدخل فى شئون قرامطة البحرين ، مما جعل أبا سعيد الجنابى ثم ابنه سعيد يعملان على التقرب الى العباسيين . فعمد عبيد الله المهدى الى العمل على عزل سعيد وتولية أخيه أبى طاهر . وبعد موت

---

(١) أفرد المقريزى فى كتابه اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ص ١٥١ — ١٦٥ ، فصلا عن القرامطة .

(٢) ميمون القداح : هو الذى وضع أسس الدعوة الاسماعيلية .

(٣) هو الحسين بن بهرام ويكنّى أبى سعيد الجنابى نسبة الى جنابة ، بليده على الساحل الشرقى للخليج العربى .
أنظر المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ١ . ص ١٥٩

أبى طاهر سنة ٣٢٢هـ أنقسم القرامطة الى فريقين • فريق يدين بالولاء للفاطميين ، ولكنه أبعد عن الحكم • وفريق يرى الاستقلال بسياستهم بعيدا عن الفاطميين ، وهو الفريق الحاكم ، وعلى رأسه أحمد بن أبى سعيد ثم أبنه الحسن الأعصم الذى تولى سنة ٣٥٩هـ •

ولقد بلغ الأمر أن ناصب الحسن الأعصم الفاطميين العداء ، وخاصة بعد غزو الفاطميين مصر والشام • اذ كان بنو طفج يؤدون للقرامطة جزية سنوية • فلما ملك الفاطميون الشام قطعوا تلك الجزية رغم مطالبة القرامطة (١) •

وكان بنو سليم وبنو هلال قد أنضموا للقرامطة وصاروا جندا لهم بالبحرين وعمان • وقدموا معهم الى الشام • وكان انضمامهم للقرامطة فى عهد أبى طاهر (٢) • وأخذ بنو سليم وبنو هلال يفسدون فى الأرض ويقطعون الطريق على الحج (٣) •

---

(١) أنظر ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٤ • ص ٥٠ ، ٩٠
حسن ابراهيم حسن ، المعز لدين الله ، ص ٩٨ وما بعدها ،
وتاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ • ص ٢١١ وما بعدها
ماجد ، ظهور الخلافة الفاطمية ، ص ١١٤ ومابعدها
عارف تامر ، القرامطة ، ص ١٥٢ وما بعدها

(٢) أبن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٤ • ص ٨٩ و جـ٦ ص ١٣ ، ٧٢
المقريزى ، الأتعاظ ، جـ ٢ • ص ٢١٥

(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ٨ • ص ٥٧٤ • يقول ابن الاثير فى حوادث سنة ٣٥٥ « فى هذه السنة خرجت بنو سليم على الحاج السائرين من مصر والشام وكانوا عالما كثيرا ومعهم الأموال مالا حد عليه ، فأخذوا ومات من الناس فى البرية مالا يحصى ولم يسلم الا القليل • وقد رد القرامطة هذه الأموال الى كافور =

ولم يكن أنضام بنى سليم وبنى هلال للقرامطة راجعا الى أعتناقهم مبادئهم ، بل لنيل المكاسب من وراء مشايعتهم (١)

وظل القرامطة فى صراع مع الفاطميين طوال عهد المعز لدين الله فلما ولى العزيز بالله الخلافة سنة ٣٦٥هـ أستطاع أن يلحق الهزيمة بالقرامطة الذين أنسحبوا للبحرين . وسرعان ما أضمحلت دولة القرامطة بعد موت الأعصم سنة ٣٦٧هـ ، وأنتهى بيت الجنابى . وقام نظام للحكم عرف بنظام السادة ، يقوم على أختيار ستة من زعماء القبائل معظمهم من بنى سليم ليديروا أمور الدولة . ولكن سرعان ما قضى على هذا النظام بقيام الأصفر بن حسن التغلبى بأنهاء نفوذ السادة وأعلان الدعوة للعباسيين . (٢)

توطين بنى هلال وبنى سليم فى مصر :-

بعد أن قضى العزيز بالله الفاطمى على فتنة القرامطة بالشام،

---

* الأخشيدى - أنظر الكندى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٧ .

(١) أنظر المقريزى ، البيان والأعراب ، ص ١٢٥ .
ابن تغريردى ، النجوم الزهرة ، ج ٣ ، ص ١١٥ - ١٢١ .
ماجد ، ظهور الخلافة الفاطمية ، ص ١١٩ .
الأنصارى ، المرجع السابق ، صفحات ٧ ، ١٥ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٨٦ .

(٢) أنظر أبن خلدون ، المصدر السابق ، ج٤ ص ٩١ و ج ٦ ، ص ٧٢ .
ماجد ، المرجع السابق ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .
الانصارى ، المرجع السابق ، ص ٧ ، ١٤٣ .

رأى أن ينقل مشايعيهم من عرب بنى سليم وبنى هلال الى مصر حيث أقاموا بالحوف الشرقى وبلاد الصعيد (١) . ويذكر الدكتور عابدين فى تذييلـه على كتاب البيان والأعراب للمقريزى (٢) أن الذى دفع العزيز الى ذلك ، هو أن الفاطميين على الرغم مما قيل فى نسبهم يعتزون بالانتساب الـى قريش ، ويجرون على سياسة تشبه سياسة الأمويين فى الاعتماد على العناصر العربية والاستعانة بهم فى حروبهم ، وفى تدعيم قوتهم وفى استغلال العصبية أحيانا . فتشجع الفاطميون هجرة بنى هلال وحلفائهم الى مصر ، فأكتظت بهم أنحاء مصر الشرقية .

ويبدو أن نقل بنى سليم وبنى هلال كان على مرحلتين ، ، المرحلة الأولى : عقب هزيمة القرامطة فى الشام وعودتهم الـى البحرين . والمرحلة الثانية : بعد انقراض ملك القرامطة مـن البحرين وتغلب بنى تغلب على البلاد وطردهم بنى سليم ، اذ يذكر ابن خلدون « وكان القرامطة قد تغلبوا على أمصار الشام فأنتزعها العزيز منهم ، وغلبهم عليها ، وردهم على أعقابهم الى قرارهم

---

(١) المقريزى ، أتعاظ الحنفا ، جـ ٢ . ص ٢١٥
ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٤ . ص ٩١ و جـ ٦ ص ١٣ ، ٧٢
ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠ وما بعدها — ويقع بركلمان فى خطأ كبير اذ يذكر أن بنى سليم وبنى هلال أنضموا للقرامطة بعد نقلهم الى مصر — أنظر تاريخ الشعوب ، ص ٣١٩

(٢) ص ١١٦

بالبحرين ، ونقل أشياعهم من العرب من بنى هلال وسليم فأنزلهم بالصعيد وفى العدوة الشرقية من بحر النيل ، فأقاموا هناك وكان لهم أضرار بالبلاد (١) » . ثم يستطرد ابن خلدون أيضا فيقول : « لما أنقرض أمر القرامطة غلب بنو سليم على البحرين بدعوة الشيعة ، لما أن القرامطة كانوا على دعوتهم ثم غلب بنو الأصفر بن تغلب على البحرين بدعوة العباسية أيام بنى بويه وطردوا عنها بنى سليم فلحقوا بصعيد مصر (٢) »

أخذ بنو هلال وبنو سليم يتدفقون على مصر ، وتتزايد أعدادهم حتى أزدحمت بهم منطقة الحوف الشرقى ، والصحراء الشرقية وبلاد الصعيد . ثم انضمت اليهم جماعات أخرى من القيسية والسبئية مثل فزاره والمعقل اليمنية وبطون أخرى مثل أشجع من بطون غطفان وسلول بن مره بن صعصعة وعمره بن أسد بن ربيعه بن نزار وبنى ثور بن معاوية بن عبادة بن ربيعه البكاء بن عامر بن صعصعة وعدوان بن عمرو بن قيس عيلان وطرود من بطون فهم بن قيس . وأنضوت هذه الجموع المختلفة تحت لواء بنى هلال الذين أصبح لهم الزعامة ، وغلب أسمهم

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٦ ص ١٣ ــ وأنظر المقريزى الاتعاظ ، جـ ٢ ص ٢١٥

(٢) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ٦ ص ٣٢ وأنظر جـ ٤ ص ٩١

على هذه الجماعات كلها (١) . وبعد أن ضاقت بهم الأرض ، نزحت جماعات منهم الى أسوان والسودان (٢) . وأتجه بعضهم غربا الى برقة ، وفى ذلك يقول ابن خلدون " أن آخر مواطن العرب كانت برقة حيث كان فيها بنو قره بن هلال بن عامر (٣) .

ومن بطون بنى هلال وبنى سليم التى كانت موجودة بمصر بنو قره بن عمرو بن ربيعة بن عبد مناف بن هلال بن عامر وكانوا فى الاسكندرية والبحيرة وبرقة وأخميم من صعيد مصر (٤) . وبنو عمرو بساقية قلته ، وبنو عقبه جميلة بأصفون واسنا ، ومن بطونهم بنو رفاعه وبنو حجير وبنو عزيز (٥) وجشم والأثبج وزغبه ورياح وربيعة وعدى فى الصعيد (٦) . ويذكر ابن خلدون أن الأثبج كانوا أوفر الهلاليين عددا وأكثرهم بطونا وكان

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٦ ، ١٧
المقريزى ، البيان والأعراب ، ص ١٢٦
(٢) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ٢٧ ، ١٧١
(٣) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٤ ، ٥ ، ١٧ .
(٤) المقريزى ، البيان والأعراب ، ص ٢٢ ، ٢٨ - اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٦٠ و ص ١٣٧ ، وص ٢١٨ .
(٥) المقريزى ، البيان والأعراب ، ص ٢٨
القلقشندى ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤ ؛ ويقول القلقشندى ان بنى رفاعة من بطون بنى عمر ومنازلهم ساقية قلتة من الأعمال الأخميمية (محافظة سوهاج الحالية) أما أصفون واسنا مدينتان بمحافظة قنا الحالية .
(٦) المقريزى ، أتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٢١٦ .
ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ وص ١٦ وص ٢٢

التقدم لهم والرياسة فيهم (١) .

أما بطون بني سليم ، فمنهم بنو عوف بن بهثه والأثروزينيه ودباب وعرق وزغب (٢) ، وبنو عوف بن بهث بن أمرؤ القيس بن بهثه وبنو عوف بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة ، ويقيمون في بلاد الصعيد وفي البحيرة وفي برقة (٣) .

ولقد دأبت هذه القبائل على العبث بالأمن والافساد في الأرض ، أو كما يقول ابن خلدون " قد عم ضررهم وأحرق البلاد والدولة شررهم " وكان بنو قره أشدهم الحاحا في الخروج على الدولة (٤) ، حتى أكثر الخليفة الحاكم بأمر الله من الايقاع بهم ، وأكثر من قتلهم وتحريقهم بالنار فخلعوا طاعته وانضموا الى ثورة أبي ركوه (٥) . ومع أن الحاكم عفا عنهم بعد القضاء على هذه الثورة ، الا أنهم لم يركنوا للطاعة (٦) ، بل قاموا بأكثر من ثورة بل وتجرءوا على الاستيلاء على الهدايا المرسلة من الدولة

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٦ — ٢٢
(٢) المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٢١٦ — ٢١٧ ، وأنظر ابن خلدون ، المصدر السابق ج ٦ ص ١٤
(٣) المقريزى ، البيان والأعراب ، ص ٤٨
(٤) ابن خلدون ، المصدر السابق ج ٦ ص ١٤
(٥) المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٦٠ — ابن خلدون ، المصدر السابق ج ٤ ص ٥٨ .
وأبو ركوه ثائر يدعى الوليد ابن هشام ، ويدعى أنه من نسل أموى الأندلس . وسمى أبو ركوه لأنه كان يحمل ركوه للتوضيء منها . وقد قام بثورة عنيفة كادت أن تقضي على الدولة الفاطمية سنة ٣٩٦ وظلت ثورته حتى الثاني من جماد الآخرة سنة ٣٩٧ حيث قضى عليها الحاكم بأمر الله بعد مجهود كبير
(٦) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٧ .

الصنهاجية بأفريقية الى الخلفاء الفاطميين (١) ، بل أنهم تمادوا فى الخروج على الدولة حتى أقاموا شخصا دعوه أمير المؤمنين سنة ٤١٥هـ (٢) ، ولعل أعنف ثوراتهم كانت سنة ٤٤٣هـ (٣) ، يقول المقريزى فى أحداث سنة ٤٤٣هـ " كانت وقعة البحيرة وذلك أنها فى اقطاع بنى قره وقد ملكوها وعمروا ضياعها ، وكثرت فيها أموالهم واشتدت شوكتهم وخشن جانبهم ، وكثر المقدمون فيهم حتى انتشر ذكرهم وذل عدوهم ، وثقل أمرهم على الولاة بالاسكندرية ، حتى أن الدولة كانت تفرض لهم واجبات تحمل اليهم مع العسكر بالاسكندرية فلما تأخرت الدولة فى ارسال ما تقرر لهم ، أعلنوا التمرد ، وأهتمت الدولة فى قتالهم حتى أضطروهم للرحيل الى برقة (٤) .

ولم يكن بنو قره وحدهم الذين ضايقوا الدولة ، اذ يذكر المقريزى (٥) فى حوادث سنة ٤١٥هـ " وقدم الخبر باجتماع العرب الهلاليين والكلابيين وبنى قره وجهينه على الخارجى بالصعيد (٦) "

---

(١) المقريزى ، اتعاظ الحنفاء ، ج ٢ ص ١١٠ .
(٢) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ١٥٧
(٣) المصدر السابق ، ص ٢١٨
(٤) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ٢١٨ - ٢١٩
(٥) المصدر السابق ، ص ١٣٧
(٦) كان هذا الخارج فى الصعيد شريفا من بنى الحسن بن على وقد قام بثورته فى الصعيد فى المحرم سنة ٤١٥هـ ، وتمكن والى الصعيد حيدره بن نقيايان من التغلب عليه فى صفر من العام نفسه ، وقد أقر هذا الثائر أنه قتل الحاكم بأمر الله بالاشتراك مع ثلاثة رجال تفرقوا فى البلاد ، فمنهم من مضى الى برقه ، ومنهم من مضى الى العراق ، وقد =

وهكذا كان بنو هلال وبنو سليم عبأ على الدولة.
وهذا ما دفعهم الى ارسالهم للمغرب لتأديب المعز
بن باديس ، كما سنفصله فى الفصل الثانى .

= وأظهر هذا الثائر قطعه من جلد رأس الحاكم وقطعه من الفوطة التى كانت عليه . ولما سأله حيدره ولما قتلته ؟ قال : غيرت لله وللاسلام فقال وكيف قتلته ؟ فأخرج سكينا فضرب بها فؤاد نفسه فمات ، فقطع حيدره رأسه وأنفذه الى الحضره
المقريزى ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

. . . .
. . . .
. . . .
. . . . .
. .
.

الفصل الثانى

غزو بنى هلال وبنى سليم للمغرب

- علاقة الدولة الزيرية بالفاطميين وخروج المعز بن باديس عليهم.
- الغزوة الهلالية.
- مواطن العرب فى المغرب.

علاقة الدولة الزيرية بالفاطميين
وخروج المعز بن باديس عليهم :

كان قيام الدولة الفاطمية فى المغرب سنة ٢٩٧هـ ، ايذانا بتغيير الخريطة السياسية لهذا الجزء من العالم الاسلامى ، اذ عادت الوحدة للمغرب مرة أخرى بعد انهيار الدول المستقلة به أمام ضربات الفاطميين . كما كان لأنتقال مركز الخلافة الفاطمية من المهدية الى القاهرة سنة ٣٦٢هـ ، أثره الكبير فى تطور الأحداث السياسية بالمغرب .

فمن الملاحظ أن كل الدول التى قامت فى المغرب حتى قيام الدولة الفاطمية ، كانت مشرقية . أى أن حكامها كانوا من المشرق الاسلامى ، أما الدول التى قامت بعد ذلك فكانت مغربية حكما وأرضا .

وأول دولة قامت بعد أنتقال المعز لدين الله الفاطمى الى القاهرة كانت الدولة الصنهاجية التى خرج رابع حكامها المعز بن باديس على طاعة الفاطميين ، وتسبب بعمله هذا فى دخول بنى هلال وبنى سليم الى المغرب .

ولكى نتفهم ظروف خروج المعز بن باديس عن طاعة الفاطميين ، يجدر بنا أن نلقى نظرة على قيام الدولة الصنهاجية

وتطور علاقتها بالخلافة الفاطمية فى القاهرة •

عندما قرر المعز لدين الله الفاطمى الأنتقال من المغرب الى القاهرة ، أستخلف على المغرب يوسف بن زيرى الصنهاجى (١) ، وقامت منذ ئذ دولة تدين بالولاء للخلافة الفاطمية• وكما هو المعهود دائما تكون العلاقة بين الدولة التابعة والدولة المتبوعة محكومة بمدى قوة الدولة المتبوعة ومدى أطماع الدولة التابعة وقدرة القائمين على الأمر فيها على تحقيق هذه الأطماع •

ولقد كان المعز لدين الله يعلم ذلك جيدا ، فقد ذكر المقريزى (٢) ، أن يوسف بن زيرى أبدى خضوعه التام للمعز ، وأنه أنما خادم له • فلما أنصرف يوسف قال عم المعز وهو الأمير أحمد بن المهدى ، سائلا المعز ان كان يثق بقول يوسف • كان جواب المعز أنه اذا تطاولت المدة سينفرد يوسف بالأمر •

لم يقصر يوسف فى خدمته للفاطميين ، وأخضع لهم المغرب وقضى على كل تمرد (٣) • وبقى طيلة حياة المعز يترسم

---

(١) المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٩٩ •
ابن تغرى بردى ، النجوم الزهرة ، جـ ٤ ص ٧٢ •
(٢) المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٩٩ ــ ١٠٠ •
(٣) يقول المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٢٢٣ : وفى مستهل =

توجيهاته ويتبع أوامره . ولكن ما أن علم بموت المعز حتى قال " بعدت مصر من المغرب ، وقد صار المغرب والله فى أيدينا الى دهر طويل "[١]. وان ظل على ولائه للعزيز بالله ، الذى أضاف اليه ولاية طرابلس وسرت واجدابيه ، وهكذا عظم سلطانه وأستبد بالملك . وكان كما يقول ابن الأثير يظهر الطاعة مجاملة لا طائل تحتها[٢] . وكان ذلك خطأ كبيرا من العزيز بالله ، اذ خالف سياسة أبيه المعز الذى كان يحرص على فصل برقه وطرابلس عن ولاية أفريقية[٣] .

فلما مات يوسف بن زيرى سنة ٣٧٣هـ وخلفه أبنه المنصور ، بدأ يظهر ما بنفسه ، حتى أعلن أمام مهنئيه ، أنه ليس ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب ، يعنى أن الخليفة الفاطمى ليس فى وسعه عزله عن ولايته[٤] .

= ذى الحجة (سنة ٣٦٤هـ) طيف بالقاهرة برؤوس على رماح ، يقال أن عدتها أثنا عشر ألف رأس وردت من المغرب ، فيها رأس خلف بن جبر الذى ثار بالمغرب وأجتمع عليه البربر ، فظفر به يوسف بن زيرى .

(١) المقريزى ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٣٤ .

(٢) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٨ ص ٢٦٤ .
المقريزى ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٣٨ – ٢٤٧ .
أبن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٥١ .

(٣) ماجد ، المستنصر بالله ، ص ١٢٧ .

(٤) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٩ ص ٣٤ .

ويبدو أن العزيز أحس بما يضمره المنصور ، فحاول اثارة قبيلة كتامة ضده ، فأرسل اليهم سنة ٣٧٦هـ أبا الفهم حسن بن نصر الداعية الخراسانى ، ليجمعهم على حرب المنصور ، وانتزاع السلطة من يده . ونجح أبو الفهم فى مهمته واستطاع أن يجمع حوله قبيله كتامه ويكون منهم جيشا قويا ، واستعد المنصور لحربه سنة ٣٧٧هـ ، رغم أن العزيز أرسل له رسولين ينهيانه عن حرب أبى الفهم . الى أنه لم يأبه بذلك ، واستطاع أن يقضى على حركة أبى الفهم وقتله . وأمر الرسولين بالعودة للعزيز ليبلغاه ما رأياه . فآثر العزيز أتباع سياسة الملاينة ، وأرسل للمنصور بهدية وخطاب يطيب قلبه (١) . ثم أرسل فى سنة ٣٨٢هـ سجلا بولاية العهد بالمغرب لأبى مناد باديس بن منصور بعد أبيه (٢) .

ولما تولى باديس بن منصور سنة ٣٨٦هـ ، أقره الخليفة الحاكم وأرسل له الخلع والعهد بالولاية ، ولقبه نصير دولة الحاكم (٣) .

---

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ٩ ص ٥٣ ـ ٥٤
المقريزى ، " " ، جـ ١ ص ٢٦٣
(٢) المقريزى ، " " ، جـ ١ ص ٢٧٦ .
(٣) ابن الأثير ، " " ، جـ ٩ ص ١٢٧
ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٨٠
المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٦ .
ويقول المقريزى فى حوادث سنة ٣٧٨هـ . كتب الحاكم بأمر الله =

ولكن هذه العلاقة كانت قائمة على المداراه ، أكثر منها على الثقة . فقد حاول الحاكم فصل طرابلس عن ولاية أفريقية سنة ٣٩٠هـ ، وولى عليها يانس الصقلبي ، ولكن باديس لم يخضع لذلك ، بل حارب يانس وقتله واحتفظ بطرابلس (١) . فمال الحاكم الى مهادنته وأرسل اليه سنة ٣٩١هـ هدية ثمينة (٢) . ولكن الحاكم كان يشجع في الوقت نفسه قبيلة زناته على اثارة الاضطرابات ضد باديس في منطقة برقة وطرابلس ويبدو أن هذه السياسة دعت باديس الى تشجيع ثورة أبي ركوة ، ولو بالوقوف حيالها موقفا سلبيا ، فلم يقدم أية مساعدة لنصرة الحاكم . وعندما وصل باديس الى القاهرة في طريقه للحج أثناء ثورة أبي ركوة في سنة ٣٩٦هـ ، ساله الحاكم عن أبي ركوة ، فعظم باديس حاله وكثرة جموعه . فلما عاد باديس من الحج ، كان الحاكم قد أنتهى من ثورة أبي ركوة سنة ٣٩٧هـ ، فلم

= مع الشريف الداعي على بن عبد الله ، سجلين لأبي مناد باديس بن يوسف بن زيرى ، أحدهما بولاية المغرب وتلقيبه نصير الدولة الحاكم . والثاني بوفاة العزيز وخلافة الحاكم ، وأخذه العهد على بنى مناد . فأنزل وأكرم وأخذ العهد على جميع قبائل صنهاجه وعمومهم بالبيعة للحاكم في جماد الآخرة . ثم عاد فقدم القاهرة بعد أن وصله نصير الدولة بمال جليل وثياب وخيول " .

(١) المقريزى ، المصدر السابق ، ج٢ ص ٣٧ — ويبدو أن ذلك كان من تدبير برجوان وزير الحاكم الذى حاول ابعاد يانس خوفا من منافسته — أنظر نفس المصدر ص ٣٤

(٢) المقريزى ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٣ .

يسمح له الحاكم بالعودة الى بلاده حتى شهد احتفالات النصر ، ولعل الحاكم كان يقصد بذلك ارهاب باديس بطريق غير مباشر (١) . ومع ذلك فقد حاول الحاكم استرضاءه فأرسل له سنة ٤٠٣هـ بهدية وسجل بأضافة برقه وأعمالها اليه ، فخرج باديس للقاء رسول الخليفة ومعه القضاة والأعيان في احتفال كبير (٢) . كذلك أرسل الحاكم سنة ٤٠٥هـ الى أفريقية بخلع وسيوف وتشريف لمنصور بن باديس ولقبه عزيز الدولة وجعله ولى عهد أبيه (٣) .

ولم يقصر باديس من جانبه ، فبادل الحاكم الهدايا ، كما أرسلت أخته أم ملال بهدية الى ست الملك أخت الحاكم (٤) . الا أن باديس مع ذلك أرسل جيشا الى برقه ليطرد منها حاكمها من قبل الفاطميين خود الصقلبى (٥) .

وهكذا ظل أمراء الدولة الصنهاجية مرتبطين بالخلافة

---

(١) ماجد ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ . نقلا عن ادريس عماد الدين مخطوطة عيون الأخبار الموجودة بمكتبة الهمدانى الخاصة .
(٢) المقريزى ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٩٩
ابن عذارى ، " " ، ج ٢ ص ٢٥٩
ابن أبى دينار ، المؤنس ص ٨١
(٣) المقريزى ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ١١١ .
(٤) ابن عذارى ، " " ، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ .
(٥) المقريزى ، " " ، ج ٢ ص ١٠٤ .

الفاطمية ، وان نزعوا الى تعميق استقلالهم وتأكيد سيادتهم. واستمر ذلك حتى تولى المعز بن باديس سنة ٤٠٦هـ (١) . فكانت ولايته الفصل الأخير من علاقة الدولة الصنهاجية بمصر . فلم يكتف بقطع العلاقات السياسية مع الفاطميين ، بل عمل على الأنفصال المذهبي والتحول عن المذهب الاسماعيلي ، والاعتراف بخلافة العباسيين السنية ، وفرض مذهب مالك (٢) .

ولاشك أن الذى دفع المعز الى ذلك ، أن الذى تولى تنشأته وتعليمه كان سنيا ، فغرس فى نفسه حب المذهب السنى . يقول ابن عذارى (٣) أن المعز « ربى فى حجر وزيره أبى الحسن بن أبى الرجال ، ورعا زاهدا . فحرض ابن الرجال المعز بن باديس وده على مذهب مالك وعلى السنة والجماعة » . كما

---

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٩ ص ٢٥٧ — ٢٥٨ . يقول وفى آخر ذى الحجة (سنة ٤٠٦هـ) سير الحاكم الخلع من مصر الى المعز ولقبه شرف الدولة .
وأنظر ابن أبى دينار ، المصدر السابق ، ص ٨٢ —
ابن الخطيب ، تاريخ المغرب ، ص ٧٣ .
وقد أنفرد ابن خلدون اذ جعل ولاية المعز سنة ٤٠٨هـ كما أخطأ اذ ذكر أن الخليفة الظاهر هو الذى أرسل التقليد والخلع علما أن الظاهر تولى الخلافة سنة ٤١١هـ . أنظر ابن خلدون المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٣

(٢) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٩ ص ٢٥٧ . يقول ابن الأثير « والمعز أول من حمل الناس بأفريقية على مذهب مالك ، وكان الاغلب عليهم مذهب أبى حنيفة — وأنظر ابن أبى دينار ، المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(٣) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٧٣ — ٢٧٤ .

كان موقف أهل المغرب من التشيع وكراهيتهم للمذهب الاسماعيلى ، مشجعا للمعز على ترك هذا المذهب . اذ أنه رغم محاولات الفاطميين لم ينجح التشيع كثيرا فى كسب الأنصار له . وقد عمد عبيد الله المهدى الى القوة فى حمل البربر على اتخاذ المذهب الاسماعيلى ، فلما فشلت القوة حاول ذلك عن طريق انشاء المدارس المذهبية فى مختلف أنحاء المغرب (١) . كما حاول أمراء الدولة الصنهاجية بعد رحيل الفاطميين الى مصر فرض المذهب بالترغيب والترهيب ، لكنهم لم ينجحوا كثيرا . يقول ابن عذارى (٢) « لما رحل بنو عبيد الى مصر لم تزل ملوك صنهاجة يخطبون لهم بأفريقية ، ويذكرون أسماءهم على المنابر ، وتمادى الأمر على ذلك حتى قطع أهل القيروان صلاة الجمعة فرارا من دعوتهم . الى أن تناهى الحال حتى لم يحضر الجمعة من أهل القيروان أحد ، فتعطلت الجمعة دهرا . وأقام ذلك مدة الى أن رأى المعز بن باديس قطع دعوتهم فكان ذلك بالقيروان سرور عظيم » .

ولقد بدأت بوادر التحول عن المذهب الاسماعيلى بمجرد تولى المعز . ففى سنة ٤٠٧هـ كانت مذبحة أو وقعة الشيعة بالقيروان وقد اختلف المؤرخون فى السبب المباشر لها ، وأن أجمعوا على أنها كانت نتيجة كراهية أهل القيروان خاصة لمذهب الشيعة وسنذكر فيما

---

(١) دكتور مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٥٥

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٧٧

يلى روايات ابن الأثير ، وابن أبى دينار ، وابن خلدون ، وابن عذارى .

يقول ابن الأثير[1] وهو يتحدث عن أخبار سنة ٤٠٧هـ " وفى هذه السنة فى المحرم قتلت الشيعة بجميع بلاد أفريقية وكان سبب ذلك أن المعز بن باديس ركب ومشى فى القيروان والناس يسلمون عليه ويدعون له ، فاجتاز بجماعة فسأل عنهم ، فقيل ، هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر وعمر . فقال : رضى الله عن أبى بكر وعمر . فانصرف العامة من فورها الى درب المفلى من القيروان وهو مكان تجتمع به الشيعة ، فقتلوا منهم ، وكان ذلك شهوة العسكر وأتباعهم طمعا فى النهب . وانبسطت أيدى العامة فى الشيعة . وأغراهم عامل القيروان وحرضهم . وسبب ذلك أنه كان قد أصلح أمور البلد ، فبلغه أن المعز بن باديس يريد عزله فأراد فساده ، فقتل من الشيعة خلق كثير وأحرقوا بالنار ، ونهبت ديارهم ، وقتلوا فى جميع أفريقية " .

ورواية ابن أبى دينار لا تخرج كثيرا عن رواية ابن الأثير اذ يقول[2] : " وفى المحرم (سنة ٤٠٧هـ) رحل (المعز) من المهدية الى صبره فحل بها . ولما استقر بصبره خرجت طائفة من

---

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٩ ص ٢٩٥
(٢) ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٨٢

القيروان وقتلوا جماعة من الشيعة لأنهم كانوا يتجاهرون بمذهبهم الخبيث ، فقتلت نساءهم وأولادهم . وكانت فتنة بالقيروان من أجل النهب والقتل ولجأ طائفة منهم بالجامع في المهدية فقتلوا فيه وكان لا يرى بالقيروان أحد منهم في الطريق الا ضرب ضربا عنيفا وربما قتل وأحرق . واجتمع منهم قدر ألف وخمسمائة رجل تحت قصر المنصورية ، واستغاثوا بالمعز فأمر بالكف عنهم » .

أما ابن خلدون فيذكر (١) « كانت أذن المعز بن باديس صاغية الى مذاهب أهل السنة ، وربما كان شواهدها تظهر عليه وكبا به فرسه في أول ولايته لبعض مذاهبه ، فنادى مستغيثا بالشيخين أبي بكر وعمر ، وسمعه العامة فثاروا بالرافضة وقتلوهم وأعلنوا بالمعتقد الحق ونادوا بشعار الأيمان ، وقطعوا من الأذان حي على خير العمل » .

ولا تختلف رواية ابن عذارى عن رواية ابن خلدون ، الا في بعض التفاصيل يقول ابن عذارى (٢) « خرج المعز في بعض الأعياد الى المصلى في زينته وحشوده وهو غلام ، فكبا به فرسه ، فقال عند ذلك أبو بكر وعمر ، فسمعته الشيعة التي كانت في عسكره

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٣

(٢) ابن عذارى ، " " ، ص ٢٧٤

فبادروا اليه ليقتلوه ، فجاءه عبيده ورجاله ومن كان يكتم السنة من أهل القيروان ، ووضع السيف فى الشيعة ، فقتل منهم ما ينيف على الثلاثة آلاف ، فسمى ذلك الموضع بركة الدم الى الآن . وحكى فى قتل الروافض حكايات كثيرة مما رآه المعز فى منامه وتأويل ذلك وغيره ، ألغينا هنا عن ذكره .

ومع خطورة هذا العمل ، وخطورة دلائله ، الا أن الخلفاء الفاطميين رأوا معالجة الأمر بالهدوء ، وتقبلوا أعتذار المعز بأن ذلك من عمل العامة (١) بل وبادر الخليفة الحاكم بأرسال هدية الى المعز سنة ٤٠٨هـ (٢) ثم يتبعها بهدية أخرى وصلت الى المنصورية (٣) فى صفر سنة ٤١١هـ ، وبها سيف مكلل بنفيس الجوهر وخلعة من لباس الحاكم . كما أرسل اليه سجلا فيه من التشريف ما لم يصل لأحد قبله . ولم يكتف الحاكم بذلك ، بل أرسل فى نفس السنة سجلا آخر للمعز ومعه خمسة عشر علما منسوجة بالذهب (٤) .

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٦ ص ١٣
(٢) ابن ابى دينار ، " " ، ص ٨٣
(٣) المنصورية مدينة أنشأها المنصور بن القائم ثالث الخلفاء الفاطميين قرب القيروان وظلت عاصمة الفاطميين منذئذ ، كما أصبحت عاصمة بنى باديس حتى خربت على يد بنى هلال ــ أنظر المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١١٥ .
(٤) المقريزى ، المصدر السابق
أبن عذارى ، " " ، ص ٢٦٩ ــ ٢٧٠ ويذكر ابن عذارى أن السجل الأخير كان جوابا على رسالة أرسلها المعز للحاكم يذكر =

ولما تولى الخليفة الظاهر ابن الحاكم أرسل سنة ٤١٤ هـ رسولا يحمل للمعز من السجلات ما لم يصل مثلها قبل ، وزاده لقب شرف الدولة وعضدها ، كما بشره بمولد ابن له ، وبعث مع السجلات ثلاثة أفراس بسروج ثقيلة وخلعة ومنجوقين قد نسجا بالذهب على قصب من الفضة ، وعشرين بندا مذهبة . فلقيهما المعز بن باديس أجمل لقاء وقرئت السجلات بين يديه ، ثم قرئت بجامع القيروان ، وأمر بنسخها وارسال نسخها الى مختلف الجهات (١) .

ولم يقصر المعز بدوره فى ارسال الهدايا الى القاهرة ، فبعث سنة ٤٢٠ هـ هدية ثمينة فيها عشرون جارية لم ير كحسنهن وثلاثة أفراس فيها كميت بسرج ذهب زنته قنطار ذهب ، وأشقر بسرج لؤلؤ وأدهم بسرج فضة زنتها قنطار كما أرسل معها عبيد وثياب وزعفران .

وقد جلس الخليفة الظاهر خصيصا فى الإيوان لعرض الهدية

= فيها من أخبار الأندلس وانقراض الدولة الأموية فيها وقيام القاسم ابن حمود .

(١) المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٣٢
ابن عذارى ، " " ص ٢٧١ — ٢٧٢
وقد ذكر ابن عذارى أن تلقيب المعز بشرف الدولة وعضدها كان فى سجل آخر وصل فى نفس السنة .
والمنجوق : نوع من الاعلام والبنود .

وقراءة كتاب المعز عليه ، وذلك لاظهار رضاه . ثم بعث الى المعز بثياب مصنوعة فى تنيس ودمياط ، وطرائف من الهند واليمن وأشياء عظيمة[1] . وفى سنة ٤٢٤هـ أرسل المعز هدية جليلة القدر وصلت القاهرة يوم الأحد ثامن عشر ذى القعدة[2] .

ورغم هذه المجاملات لم يتوقف اضطهاد الشيعة . فيذكر ابن الأثير[3] فى أحداث سنة ٤٢٣هـ أن عددا كبيرا من الشيعة بأفريقية ساروا الى بلد من أعمال نفطة[4] وسكنوه فجرد اليهم المعز عسكرا حاربوا الشيعة وقتلوهم أجمعين .

ثم حدث تطور أخطر سنة ٤٣٣هـ أو سنة ٤٣٥هـ[5] ، اذ جاهر

---

(١) المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٧٧ – ١٧٨ :
والكميت من الخيل بين الأسود والأحمر ويفرق بينه وبين الأشقر بالعرف والذنب ، فان كانا أحمرين فهو أشقر وان كانا أسود ين فهو الكميت . أما الأدهم فهو الفرس الأسود .

(٢) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ١٨١

(٣) ابن الأثير ، « « ، جـ ٩ ص ٤٢٧ .

(٤) نفطة : من بلاد الجريد غربى توزر وقابس .

(٥) ذكر ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٧٥ التاريخ الأول ، أما التاريخ الثانى فقد أورده ابن الأثير ، المصدر السابق جـ٩ ص ٥٢١ وابن أبى دينار ، المصدر السابق ، ص ٨٣
والمقريزى ، المصدر السابق جـ ٢ ص ١٩٠ .

المعز بالدعوة للعباسيين وخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢ ـ ٤٦٦ هـ) وأرسل له الخليفة الخلع والتقليد ببلاد أفريقية وجميع ما يفتح ، ولقبه « الملك الأوحد ثقة الاسلام وشرف الامام وعمدة الأنام ، ناصر دين الله ، قاهر أعداء الله ، ومؤيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبى تميم المعز بن باديس ، وأرسل اليه سيفا وفرسا واعلاما عن طريق القسطنطينية فوصل ذلك يوم الجمعة ، فدخل الى الجامع ، والخطيب ابن الفاكاه على المنبر يخطب الخطبة الثانية فدخلت الأعلام فقال : « هذا لواء الحمد يجمعكم ، وهذا معز الدين يسمعكم » (١).

ومن الغريب أن تصمت المصادر بعد ذلك ، حتى تخرج علينا بعد سنة ٤٤٠هـ لتعلن مرة أخرى أن المعز قطع الخطبة للفاطميين. فماذا حدث في هذه الفترة وماذا كان موقف الخلفاء الفاطميين ، وهل استمر المعز في قطع الخطبة للفاطميين ؟ ولماذا كرر قطعها بعد ذلك إ هذه أسئلة لا نستطيع أن نجيب عنها الا ترجيحا ، ما دمنا لا نستطيع أن نرفض ما ذكرته المصادر من قطع الخطبة سنة ٤٣٣هـ أو سنة ٤٣٥ هـ .

الذي نرجحه ، أن المعز ربما عاد الى الخطبة للفاطميين

---

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ٩ ص ٥٢٢ .

وقد يرجع الفضل في ذلك الى الوزير الجرجرائي (١) وزير الظاهر والمستنصر ، الذي سيطر على أمور الدولة ، والذي كان ملوك الأطراف تهابه . ومما ذكره التجاني في رحلته ، وابن أبي دينار وابن خلدون ، أن المعز ، أخذ يكاتب الجرجرائي مستميلا له ، ومعرضا بالتحوب معه على بني عبيد الله ، وانما يفعل ذلك رمزا وتعريضا له لعله يرى منه قبولا ، فيجد في السعي معه على القوم . وكتب الى الجرجرائي مرة بخطه قطعة تمثل بها منها :

وفيك صاحبت قوما لا خلاق لهم .

لولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا

يشير بذلك الى الفاطميين ، ويزعم أنه انما أبقى عليهم بعض الأبقاء من أجل حبه فيه . .

ولقد عرف الجرجرائي أن المعز انما يفعل ذلك في محاولة

---

(١) هو الوزير الأجل الأوحد صفي أمير المؤمنين وخالصته ، أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي ، عراقي الأصل ، ولقبه الجرجرائي نسبة الى قرية جرجرايا بسواد العراق . حضر الى مصر ، والتحق بخدمة الفاطميين . وقد أمر الحاكم بقطع يديه في ربيع الآخر سنة ٤٠٤هـ ومع ذلك ظل يخدم الدولة بأخلاص ، وأخذ يترقى في الخدمة حتى ولي الوزارة . في عهد الظاهر سنة ٤١٨هـ ، وسيطر على أمور الدولة سيطرة تامة ، وظل في الوزارة في عهد المستنصر حتى توفي سنة ٤٣٦هـ —
أنظر المناوي ، الوزارة والوزراء ، ص ٢٥٣ .

للوقيعة بينه وبين الخليفة ، فقال لجلسائه : "ألا تعجبون الا من هذا الأمير ، صبى مغربى بربرى يريد أن يخدع شيخا بغداديا عربيا (١) "

ولكن بعد أن مات الجرجرائى (٢) سنة ٤٣٦هـ ، جاء بعده أربعة وزراء لم يكن لهم كبير شأن ، حتى ولى الوزارة سنة ٤٤٢هـ أبو محمد الحسن بن على اليازورى (٣) . فاستطاع المعز فى هذه الفترة بين موت الجرجرائى ووزارة اليازورى ، أن ينتهز الفرصة ليقطع صلاته بالفاطميين واحدة بعد الأخرى . ولعل هذا ما جعل المؤرخين يختلفون فى التاريخ الذى قطع فيه المعز صلته بالفاطميين (٤) ، فالكثرة ذكرت أنه كان سنة ٤٤٠هـ ، فى

---

(١) التجانى ، الرحلة ص ١٩ — ابن أبى دينار ، المصدر السابق ص ٨٤ — ابن خلدون ، المصدر السابق ج ٦ ص ١٣

(٢) المقريزى ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٩٠

(٣) هو الناصر للدين غياث المسلمين ، الوزير الأجل ، الأوحد المكين سيد الوزراء ، تاج الأصفياء ، قاضى القضاة ، وداعى الدعاة ، علم المجد ، خليل أمير المؤمنين ، أبو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن اليازورى ، فلسطينى الأصل ، من قرية يازور جاء الى مصر واستطاع أن يصل الى خدمة أم الخليفة المستنصر ، وكان لها النفوذ القوى ، فأصبح مديرا لأعمالها ، ثم أضيف اليه قضاء القضاة ثم تولى الوزارة فى السابع من المحرم سنة ٤٤٢ . وبلغ من نفوذه أن كتب اسمه على الطراز وعلى السكة . وظل اليازورى يملك ناصية الأمور حتى قبض عليه فجاءة فى أول المحرم سنة ٤٥٠هـ وقتل بتنيس وهى مدينة كانت على الساحل الشمالى لمصر شرقى دمياط . ولقد دخلت مصر بعد عزله من منصبه فى فترة من أحلك فترات تاريخها ، وتعرضت لأسوأ مجاعة وعمها الفوضى والاضطراب ، أنظر المناوى ، المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

(٤) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٩ ص ٥٦٦

فى حين ذكر ابن الخطيب[١] أن ذلك كان سنة ٤٤١هـ ، أما المقريزى وابن تغرى بردى فيحددان تاريخا ثالثا هو سنة ٤٤٣هـ[٢] .

ولكن ابن عذارى يخرجنا من هذه الحيرة ، فيبين لنا مراحل قطع الصلات السياسية والمذهبية بين المغرب ومصر[٣] ، فيقول : « أنه فى سنة ٤٤٠هـ قطعت الخطبة لصاحب مصر ، وأحرقت بنوده ، كما أمر بلعنهم فى عيد الأضحى من نفس العام ، ونعتهم فى الخطب بالفسقة الكبار المارقين الفجار ، أعداء الدين وأنصار الشيطان . وفى سنة ٤٤١هـ فى شهر شعبان الغى السكة التى عليها أسماء الفاطميين ، وأمر بنقش سكة جديدة على أحد وجهيها « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » ، وعلى الوجه الآخر « لا اله الا الله محمد رسول الله » . كما أزال أسماء الفاطميين من الرايات والبنود . ثم أنتهى الى المرحلة الأخيرة ، وهى نبذ شعار الفاطميين فأمر بلبس السواد شعار العباسيين وذلك سنة ٤٤٣هـ ، يقول ابن عذارى[٤] : « وفى سنة ٤٤٣هـ كان لباس السواد بالقيروان والدعاء

= ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٧٧ ـ ابن ابى دينار ، المصدر السابق ، ص ٨٣ ـ المراكشى ، المصدر السابق ص ٤٣٢ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٦٢ .

(١) ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٢) المقريزى ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢١٤
ابن تغرى بردى ، المصدر السابق ، ج ٥ ص ٥٠

(٣) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٧٧ ـ ٢٨٠

(٤) « « ، « « ، ص ٢٨٠

لبني العباس .

واذا كان الجرجرائي قد جعل المعز يتردد في فصم علاقته بالفاطميين ، فان اليازوري دفع المعز الى ذلك دفعا . وذلك لسوء العلاقات بين الرجلين ، على نقيض ما كان بينه وبين الجرجرائي وقد أورد المقريزي كيف ساءت العلاقة بين المعز واليازوري في أسلوب أنفرد به عن بقية المصادر . ونورد نص ما ذكره المقريزي لأهميته. يقول[1] أن اليازوري « كاتب ملوك الأطراف ، فأجابوه بوفور حقه ، الا معز الدولة بن باديس الصنهاجي صاحب أفريقية ، فانه قصر في المكاتبة عما كان يكاتب به من تقدم من الوزراء ، فانه كان يكاتب كلا منهم « بعبده » فجعل مكاتبته صنيعته ، فأستدعى الوزير أبا القاسم ابن الأخوه ، وكيل ابن باديس بمصر ، وعتب صاحبه عنده ، وقال : أظن معزا ينقصني عمن تقدمني ، اذا لم أكن من أهل صنعة الكتابة ، وأن لم أكن أوفي منهم فما أنا دونهم ، ومن رفعه السلطان أرتفع وان كان خاملا ، ومن وضعه أتضع وان كان جليلا نبيلا ، فأكتب اليه بما يرجعه الى الصواب . فكتب اليه بذلك ، وقد أذكى الوزير عليه عيونا يطالعونه بأنفاسه . فلما وقف على كتاب أبن الأخوه قال : ما الذي يريد مني هذا الفلاح ، لا كنت عبده ولا كان ، هذا لا يكون أبدا ، وما كتبت اليه فكثير

---

(١) أنظر المقريزي ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢١٢ ـ ٢١٣

فطالمه عيونه بقوله ، فأحضر ابن الأخوه وقال له : قد جرى صاحبك على عادته فى الجهل ، فأكتب اليه بما يردعه فيه ، والا عرفته بنفسى اذ لم يعرفنى . فكتب اليه بذلك ، فأجاب بما هو أقبح من الأول . فدس اليه الوزير من تلطف فى أخذ سكين دواته ، فلما وصلت اليه أحضر ابن الأخوه وقال له : كنت أظن بصاحبك أن الذى حمله على ماكان منه شروة الشبيبة وقلة خبرة بما تقضى به الأقدار ، وأنه اذا نبه تنبه ، فاذا الجهل مستول عليه ، وظنه أن بعد المسافة بيننا وبينه يمنع من الأنتصاف منه والوصول اليه بما يكره ، وقد تلطفنا فى أخذ سكين دواته ، وها هى ذى فأنفذها اليه ، وأعلمه أن كما تلطفنا فى أخذها ، أنا نتلطف فى ذبحه بها . ودفعها اليه . فكتب ابن الأخوه بذلك ، فأزداد شرا وبطرا . فدس عليه من أخذ نعله ، وكان يمشى فى الأحذية السندية . فلما وصلت اليه ، أحضر ابن الأخوه وقال له : أكتب الى هذا البربرى الأحمق وقل له : ان عقلت وأحسنت أدبك ، والا جعلنا تأديبك بهذه . فجرى على عادته فى القول القبيح » .

ولقد حاول الخليفة المستنصر أن يدخل بنفسه لعله يستطيع أن يعيد المعز الى الطاعة ، فكتب له فى كلام طويل : « هلا أقتفيت آثار أبائك فى الطاعة والولاء » . فرد

عليه المعز يقول له فى تحد ظاهر " ان أبائى وأجدادى كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك ، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ، ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم " (١)

وهكذا أصبح طريق اللاعودة أمرا محتما ، وأتجه المعز نهائيا الى بغداد ، فأرسل الى الخليفة العباسى ليقيم الدعوة العباسية ، واستدعاء الخلعة . وقد بادر الخليفة القائم بأمر الله ، بأرسال الخلع والعهد واللواء الأسود مع أبى غالب الشيرازى ، الذى أضطر الى المرور على القسطنطينية ليعبر منها الى أفريقية . ولما كان بين الأمبراطور قسطنطين أمبراطور بيزنطة والمستنصر معاهدة ، فقد أرسل أبا غالب الى القاهرة حيث طيف به على جمل وكتاب العهد فى عنقه والهدية بين يديه ، ثم أحرقت الخلع والتقليد والهدية فى حفرة بين القصرين (٢) . وأعيد الرسول بعد ذلك الى القسطنطينية حيث أفرج عنه بعد تدخل طغرلبك السلجوقى (٣) .

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ٢٣٤ . فى ترجمته للمعز بن باديس

(٢) بين القصرين هو ميدان بين القصر الشرقى الكبير والقصر الغربى الصغير - أنظر المقريزى ، الخطط ، ج ١ ص ٣٨٤ .

(٣) أنظر المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٢١٤ ، ٢٢٣ وطغرلبك هو ركن الدين طغرلبك أبو طالب محمد إبن ميكائيل بن سلجوق ، أول السلاطين السلاجقة الذين أصبح لهم النفوذ فى بغداد بعد بنى بويه .

وقد حذا أهل صقلية وبرقة حذو المعز ، فخلعوا طاعة الفاطميين . فقد طرد أهل صقلية ولاتهم ، وملكوا عليهم المعز بن باديس.(١) أما برقة فقد أرسل أميرها جبارة بن مختار العربي سنة ٤٤٣هـ الى المعز يخبره بالدخول فى طاعته ، وأنهم أحرقوا المنابر التى كان يدعى عليها للعبيديين وأحرقوا راياتهم ويتبرؤون منهم ولعنهم على منابرهم وأنهم دعوا للقائم بأمر الله العباسى .(٢)

ولم يعد أمام المسئولين فى القاهرة الا أن يواجهوا المعز بسياسة القوة بعد أن فشلت سياسة المهادنة . ولما لم يكن فى قدرة مصر أن ترسل جيشا الى المغرب لتأديب المعز ، وذلك لبعد الشقة ، ولظروف مصر الداخلية ، فقد فكر اليازورى فى أمر لا كلفة فيه ، فقد رأى بطون بنى هلال وبنى سليم وقد عم بالبلاد ضررهم ، وأحرق الدولة شررهم ، وعانت مصر منهم الكثير ، فأشار بإرسال هذه القبائل الى أفريقية للقضاء على المعز ، وتوليتهم أمر بلاده فان ظفروا بالمعز كانوا أولياء للدعوة وعمالا لتلك البلاد ، وارتفع فى نفس الوقت عدوانهم عن ساحة الخلافة ، أما اذا ظفر بهم المعز فلها ما بعدها .(٣)

---

(١) المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٢١
(٢) ابن عذارى ، " " ، ص ٢٨٨
(٣) ابن خلدون ، " " ، جـ ٦ ص ١٤

وقد أخذ الخليفة المستنصر بنصيحة اليازورى . وهكذا تقررت الغزوة الهلالية للمغرب ، وان لم يقدروا نتائجها على بلاد المغرب الاسلامى . وكتب اليازورى الى المعز « أما بعد فقد أنفذنا اليكم خيولا فحولا ، وأرسلنا عليها رجالا كهولا ليقضى الله أمرا كان مفعولا » .(١)

. . . .

. . . .

. . . .

. . . . . .

.

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٦ ص ١٤ .
ابن الأثير ، « « ، جـ ٩ ص ٥٦٦ .
المقريزى ، « « ، جـ ٢ ص ٢١٦ .
التجانى ، « « ، ص ١٩ .

ويذكر التجانى ص ٢٠ أن اليازورى كان قد كتب الى المعز قبل ذلك كتاب وعيد وتهديد ، قال فيه : « وان لم ترجع عن رأيك ، أتتك الجيوش موصلة سنابك خيلها ، بنقصها ووميضها حكم نهارها وليلها » .

الغـــزوة الهـــلالـية :ـ

أختلـفت المصـادر فى تاريخ تحـرك القبائـل العربيـــة الى المغـر ب ، فلدينـا تواريـخ متفاوتـة لغـزو العرب للمغرب ، فى سـنة ٤٤٠ هـ(١) و سـنة ٤٤١ هـ(٢) و سـنة ٤٤٢ هـ(٣) و سـنة ٤٤٣ هـ(٤) . ولمـا كان الوزيـر اليازورى ـ وهو الذى أشـار بخـروج العرب الـى المغـر ب ـ قد تولـى الوزارة فى المحـرم سـنة ٤٤٢ هـ(٥) ، فعلـى ذلك يمكـن تر جـيح أواخـر سـنة ٤٤٢ هـ أو أوائل سـنة ٤٤٣ هـ لهـذه الغـزوة .

وكما أختلـف فى تاريخ الغـزوة ، أختلف أيضا فى أسـماء القبـائل الغازيـة . وبأسـتقراء المصـادر المختلفة ، يمكن أن نذكر القبـائل والبطـون التى أشـتركت فى الغـزو ، مع ملاحظـة أن بعض هذه القبائـل قد أجمعـت المصـادر على ذكرها ، فـى حين أنفـرد هذا المصـدر أو ذاك فى ذكر قبائل لم تذكرهـا المصادر الاخرى . أما بطون هـلال وسـليم فهـى ، زغبة وريـاح

(١) المراكشـى ، المصدر السـابق ، ص ٤٣٢ .
(٢) ابن خلدون ، " " ، ج ٦ ص ١٤ .
المقـريزى ، " " ، ج ٢ ص ٢١٦ .
ابن الخطيب ، " " ، ص ٧٥ .
(٣) ابن الاثير ، " " ، ج٩ ص ٥٦٦ .
المقـريزى ، " " ، ج ٢ ص ٢١٢ .
(٤) ابن ميسـر ، أخبار مصر ، ج ٢ ص ٥ـ٦
ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٨٨
(٥) أنظر المنـاوى ، المرجع السـابق ، ص ٢٥٧ .

والأثبج وربيعه وعدى والأتروزينيه وظرود ولهب ورواحة وناصره وذباب وعوف وزغب وهبيب وقره والخلط وسفيان (١)

وقد أشتركت قبائل أخرى غير بنى هلال وبنى سليم ذكرها ابن خلدون فيقول (٢) : « وكان فيهم من غير هلال كثير من فزاره وأشجع من بطون غطفان ، وجشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وسلول بن مره بن صعصعة بن معاوية ، والمعقل من بطون اليمنية ، وعمره بن أسد بن ربيعه بن نزار ، وبنى ثور بن معاوية بن عباده بن ربيعه البكاء بن عامر بن صعصعة ، وعدوان بن عمر بن قيس بن عيلان ، وطرود بطن من فهم ابن قيس . الا أنهم كلهم مندرجون فى هلال وفى الأثبج منهم خصوصا ، لأن الرياسة عند دخولهم الأثبج وهلال ، فأدخلوا فيهم وصاروا مندرجين فى جملتهم . »

وقول ابن خلدون هذا قد يعطينا جوابا على تساؤل راود كثيرا من المؤرخين المحدثين ، هو : لماذا غلبت اسم الهلالية ، وأسم بنى هلال على هذه القبائل التى أتجهت

(١) التجانى ، المصدر السابق ، ص ١٨ .
ابن عذارى ، « « ، ص ٢٩٧ .
ابن ابى دينار ، « « ، ص ٨٤ .
ابن خلدون ، « « ، ج ٤ ص ٦٢ وج ٦ ص ١٤ ــ ١٧ وص ١٩ وص ٧٢ .
المقريزى ، « السابق ، ج ٢ ص ٢١٥ ــ ٢١٧ .
(٢) ابن خلدون ، « « ، ج ٦ ص ١٦ ــ ١٧ .

غربا ، رغم مشاركة بنى سليم لهم ، وهم لم يكونوا أقل من بنى هلال شأنا ، ان لم يفوقوهم عددا وصيتا ، ورغم مشاركة قبائل أخرى مضرية غير قيسية ، بل ويمانية قحطانية ؟ . أقول لعل ما ذكره ابن خلدون من أن كثيرا من هذه القبائل اندرجت فى بنى هلال وأن الرياسة كانت فيهم ، وخاصة فى الأثبج . ويزيد الدكتور عبد الحميد يونس[1] ، أن هناك عامل مساعد هو استئثار بنى هلال بالشهرة المتأخرة ، وهو عامل لا يمكن اغفاله ، كما أن اسم هلال وسهولة دورانه على الألسنة له أثر فى ذلك .

عندما حازت فكرة اليازورى القبول ، وتقرر أن تتكفل القبائل العربية بحملة تأديب المعز ، كان على المسئولين فى القاهرة أن يزيلوا ما بين هذه القبائل من خلاف ، وأن يتحمل الخليفة ما بينهما من ديات . ثم أجزل العطاء لأمرائهم ، وصرف لكل فرد من عامتهم دينارا وبعيرا ، وأبيح لهم عبور النيل الى الغرب ولم يكن ذلك مباحا من قبل[2] . وأباح لهم بلاد المعز وعقد الخليفة لزعمائهم

(١) الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى ، ص ٦٢
(٢) ابن الاثير ، المصدر السابق ، جـ ٩ ص ٥٦٦ .
ابن عذارى ، " " ، ص ٢٨٨ .
ابن خلدون ، " " ، جـ ٦ ص ١٤ . =

على ما يفتحوه من أمصار ، فقلد موسى بن يحيى المرداسى القيروان وباجه ، وعقد لزغبه على طرابلس وقابس ، وعقد لحسن بن سرحان على قسنطينة (١) . وبدأت الأعداد الكبيرة تجتاز النيل الى برقة ، وأفتتحوا أمصارها ووجدوها بلادا كثيرة المرعى ، خالية من السكان ، لأن المعز بن باديس كان قد أباد أهلها من قبيلة زناته البربرية فأستوطنها العرب وأقاموا بها مدة (٢) .

ولكن هذه الهجرة التى شجعها الفاطميون ، تبعتها هجرة أخرى شجعها الأخبار التى وصلت ممن سبقوهم الى برقة يرغبوهم فى هذه البلاد وخيراتها ، فتسارعوا ليشاركوا أخوانهم الغنيمة . وهنا رأى الفاطميون الفرصة سانحة لاسترداد ما دفعوه للعابرين من قبل ففرضوا على كل من يريد العبور دينارين ، فأخذوا منهم أضعاف ما دفعوه (٣) .

يقول ابن الأثير وأبن خلدون ، أن المعز لما بلغه مقدم

= المقريزى ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢١٦

(١) ابن خلدون ، " " ، ج ٦ ص ١٩

(٢) ابن الأثير ، " " ، ج ٩ ص ٥٦٧

ابن عذارى ، " " ، ص ٢٨٨

ابن خلدون ، " " ، ج ٤ ص ٦٢ و ج ٦ ص ١٤

المقريزى ، " " ، ج ٢ ص ٢١٧

(٣) ابن خلدون ، " " ، ج ٦ ص ١٤

المقريزى ، " " ، ج ٢ ص ٢١٧

العرب أحتقر شأنهم ، وأشترى العبيد وأستكثر منهم حتى أجتمع له منهم ثلاثون ألفا (١) ، ولكن المعز عندما سار اليهم ببرقة فى أربعين ألفا ليوقع بهم ، هزموه وتبعوه الى أفريقية (٢) . وأستولى بنو زغبه على طرابلس سنة ٤٤٦هـ (٣) .

ويدل هذا على أن تقدم العرب كان بطيئا ، اذ أستغرق وصولهم الى طرابلس ثلاثة أو أربعة أعوام . ويرى الدكتور عبد الحميد يونس (٤) ، أن انتقالهم ككل هجرة جماعية كان بطيئا متثاقلا ، وأن ذلك يستقيم مع الحياة القبلية التى تستلزم النقلة الجماعية ، التى يشترك فيها الى جانب القادرين على حمل السلاح ، الشيوخ والنساء والأطفال والدواب والمتاع . ولاشك أنهم تجاهلوا مصالح الدولة الفاطمية التى أوفدتهم لغرض معين ، هو الايقاع بالمعز بن باديس ، وبدءوا يسيرون حسب مصالحهم الشخصية ، فنرى أمراءهم وعلى رأسهم مؤنس بن يحيى من بنى مرداس الرياحين يتصلون بالمعز بن باديس الذى أكرمهم وأجزل لهم العطاء (٥) . ويقول أبن عذارى (٦) : « فلطف

---

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ٩ ص ٥٦٧
ابن خلدون ، " " جـ ٤ ص ٦٢
(٢) المقريزى ، " " جـ ٢ ص ٢١٥
(٣) ابن الأثير ، " " جـ ٩ ص ٥٦٧
ابن خلدون ، " " جـ ٤ ص ٦٢
(٤) المرجع السابق ، ص ٦٩
(٥) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٦٢ — ٦٣
(٦) ابن عذارى ، " " ، ص ٢٨٨ .

عنده (أى المعز) محل مؤنس هذا ، وكان سيدا فى قومه ، شجاعا عاقلا ، فشاوره المعز فى أتخاذ بنى عمه رياح جندا له ، فأشار عليه بأن لا يفعل ، وعرفه بقلة اجتماع القوم على الكلمة ، وعدم انقيادهم الى الطاعة ". ولكن المعز لم يقبل منه ، وألح عليه فى ذلك لأنه كان كارها لقبيلته صنهاجة ، محبا للاستبدال بهم حاقدا عليهم . ويستطرد ابن عذارى (١) ، أن مؤنس جاء بقومه الذين أشاعوا الفساد والعبث ، فأتهم المعز مؤنسا بأنه انما حرضهم على ذلك ، ليظهر له صدق نصيحته ، وقبض على أهله . فأغضب ذلك مؤنسا وعظم بلاؤه وأشتدت نكايته لأنه كان قد علم عورات القيروان .

وقبل أن نستطرد فى سرد الأحداث ، نقف قليلا عند ما ذكره ابن عذارى ، من أن العرب ، رغم ارسال المعز بعض الفقهاء لهم ومعهم مكاتبات وشروطا ، وأنهم أخذوا عليهم العهود والمواثيق للرجوع الى الطاعة ، بعد أن أطلق لهم أعطياتهم ، الا أنهم نكثوا وعدهم ، وأشاعوا الفساد فى كل مكان (٢) . هذا القول يجعلنا نرجح مع الدكتور ماجد (٣) ، أن المعز حاول الوقيعة بين العرب ، وخاصة أقربهم اليه ، وهم زغبه

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .
(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .
(٣) ماجد ، الامام المستنصر ، ص ١٣٩ .

ورياح ، وأنه نجح فى ذلك . بدليل مسارعة اليازورى الى معالجة الأمر ، بأرسال أحد كبار الأمراء مندوبا للتوفيق بين هذين الحيين ، وأنه نجح فى ذلك ، فكانت الطامة على المعز يؤيد ذلك أمران : —

الأول : ما ذكره المقريزى[1] « وكان بطرابلس الغرب وما والاها زغبه ورياح ، وهم قبيلتان من العرب وبينهم حروب وعداوة ، فأحضر الوزير — اليازورى مكين الدولة أبا الحسن بن على بن ملهم بن دينار العقيلى[2] ، أحد أمراء الدولة ، وكان رجلا عاقلا ، وسيره الى زغبه ورياح بخلع سنية وأنعام كثيرة ، وأمره أن يصلح ذات بينهما ، ويتحمل ما بينهما من ديات ، ويفديه بالزيادة فى اقطاعاتهما . فلما تم له ذلك أمرهم بالمسير الى المعز بن باديس ، وأباحهم دياره ، وتشدد فى هذا الأمر ، حتى توجه المذكورون الى ديار أبن باديس وملكوها » .

---

(١) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢١٥

(٢) من كبار رجال الدولة . وقد أصبح أبن ملهم قائدا للجيش الفاطمى فى الشام فى سنة ٤٤٩هـ أو قبلها وخرج لمحاربة الروم أكثر من مرة ، ثم صار واليا على طبرية وعكا فى صفر سنة ٤٥٤هـ .
أنظر المناوى ، المرجع السابق ، ص ٢٠١

الثانـي : فهو سجل صادر عن الخليفة المستنصر فى رمضان سنة ٤٥٥هـ الى على بن محمد الصليحى سلطان اليمن (١) ، ذكـر فيه فتنـة المعـز وارسـال قبائل الرياحية والزغبيـة لقتـاله ، وأنه سـير الأمير أمين الدولة ومكينها حسـن بن على ليؤلف بين قلوبهم ، وأنه نجح فى ذلـك اذ « لم يذر غـلا فى الصـدور الا نزعـه ، ولا شـمـلا من صـلاح الجمهور الا جمـعه ...... وأنه سـار فيهم بجيش يغص بهم البر ..... حتى أحـدقـوا بحصـن الخائـن الذى لا يكاد من بأس يحصـنه ، ولا من أخـذه الأليـم يؤمنه ..... وأنه خلـف ابن باديـس اللعين محصـورا فى مثفاه مـن الأرض، محصـولا على شـفا جـرف الأخـذ والقبض ، قـد فغـر الردى له فمـه ، ولن يبعد بعون اللـه أن يلتقـمه ...... » ويـؤكد السجل المذكـور أن أبن ملهم ظل مع القبائل الغازية ينظم أمورها ، ويزيـل خلافاتها ، ويمين الولاة على ما يفتح من بلاد ، ثـم عاد الى القاهرة ومعه الغنائم والمستأمنين من كبـار رجـال المغـرب .

---

(١) السجلات المستنصرية ، نشر ماجد – سجل ٥ – ونـص السجل ملحـق بآخـر البحـث .

وهكذا بدأ المعز يواجه أحداثا جساما ، وعزائم ساحقة ، أو كما يقول ابن خلدون « ونزل بأفريقية بلاء لم ينزل بها مثله » وذلك منذ سنة ٤٤٦هـ (١) • هذا وأن جمل ابن عذارى تاريخ ذلك (٢) سنة ٤٤٣هـ ، وهو ما لا يمكن قبوله ، اذ أن ابن عذارى نفسه يجعل (٣) تاريخ دخول العرب برقة سنة ٤٤٣هـ ، ويذكر أنهم ظلوا هناك مدة •

يقول ابن الأثير (٤) « تسابقت رياح والأثبج وبنو عدى الى أفريقية ، وقطعوا السبيل ، وعاثوا فى الأرض ، وأرادوا الوصول الى القيروان ، فقال مؤنس بن يحيى المرداسى ، ليس المبادرة عندى برأى • وأخذ بساطا بسطه ثم سألهم من يدخل الى وسط البساط من غير أن يمشى عليه • وقال هكذا القيروان ، وأن عليهم الاستيلاء على ضواحيها ، حتى لا يبقى الا القيروان فيسهل عليهم أمرهم •

أخذ العرب يشنون الغارات ويقطعون الطريق أو يفسدون الزروع والثمار وحاصروا المدن • فضاق الناس بالأمر وساءت الأحوال ، وخشى الأهالى التنقل من مكان الى مكان • وكان

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٦٣
ابن الأثير ، « « ، ج ٩ ص ٥٦٧
المقريزى ، « « ، ج ٢ ص ٢١٥ •
(٢) ابن عذارى ، « « ص ٢٨٩ •
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٨٨ •
(٤) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج ٩ ص ٥٦٧ •

على المعز أن يواجه هذا الخطر ، فخرج الى ظاهر القيروان عند جبل حيدران (١) ، ومعه ثلاثون ألف فارس ، ومثلها رجالة . وأعانه ابن عمه صاحب قلعة حماد القائد بن حماد بكتيبة من ألف فارس ، كما أنضمت اليه زناته وبقايا عرب الفتح . فلما رأى العرب ، وكان عددهم لا يزيد على ثلاثة آلاف ، هذا العدد الكبير ، هالهم الأمر . فقال لهم مؤنس بن يحيى : ما هذا بيوم فرار ! فسألوه وأين نطمن وقد لبسوا الكزاغندات والمغافر (٢) . قال في أعينهم . فسمى ذلك اليوم يوم العين (٣) . ولما التقى الفريقان ، أنحاز عرب الفتح الى الهلاليين ، وأنخذلت زناته ، أما الصنهاجيون قبيلة المعز ، فيبدو أنهم وقد رأوا أزورار المعز عنهم وتفضيله لعبيده ، أرادوه أن يعاين بنفسه موقف العبيد ، فأتفقوا على الهزيمة ، وترك المعز مع مع العبيد حتى يرى فعلهم ويقتل أكثرهم ، فمنذ ذلك يدخلون المعركة ضد العرب ويقدر المعز شجاعتهم . وكانت النتيجة أن قتل العدد الكبير من العبيد الذين ثبتوا مع المعز

---

(١) التجاني ، الرحلة ، ص ٢٠ . وقد أطلق عليه ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٧ ، اسم جبل جندران وقال أنه جبل بينه وبين القيروان ثلاثة أيام .

(٢) الكزاغندات مفردها كزغند وهي سترات مبطنة أي دروع — والمغافر مفردها مغفر : وهي الخوذة أنظر ماجد ، المرجع السابق ، ص ١٣٩

(٣) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج ٩ ص ٥٦٧ وما بعدها — وأنظر عن هذه المعركة ابن خلدون المصدر السابق ، ج ٤ ص ٦٢ وج ٦ ص ١٥ وابن عذاري ، " " ، ص ٢٨٩ المقريزي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢١٥ — التجاني ، المصدر السابق ، ص ١٩ ، ابن دينار ، المصدر السابق ص ٨٤

فلما أراد تصنهاجة الرجوع على الحرب ، لم يمكنهم ذلك • وانهزم المعز الى القيروان ، وغنم العرب معسكره وما فيه من مال وفير وخيول • وفى ذلك يقول أحد الشعراء فى قصيدة منها :ــ

وان ابن باديس لأفضل مالك

ولكن لعمرى ما لديه رجال

ثلاثون ألفا منهم غلبتهم

ثلاثة آلاف أن ذا المحال (١)

يقول ابن عذارى (٢) « وفى ثانى عيد الأضحى من هذه السنة كانت الداهية العظمى والمصيبة الكبرى ، وذلك أن السلطان

---

(١) ابن الاثير ، المصدر السابق ، جـ ٩ ص ٥٦٧ ولم يذكر اسم الشاعر ــ ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٠ ــ ويذكر أن الشاعر هو على بن رزق كما ذكر الشطر الأخير من البيت الثانى « ثلاث آلاف أن ذا النكال •
ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٦ ص ١٥ • ويقول أن الشاعر هو على بن رزق الرياحى ويقال أنها لأبن شداد ــ كما أورد الشطر الثانى من البيت الثانى هكذا « ثلاثة آلاف وذلك ضلال •

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ •
وقد جعل ابن عذارى تاريخ الوقعة سنة ٤٤٣ هـ ، وهو خطأ لا شك ، والصحيح هو سنة ٤٤٦ هـ كما يذكر ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ٩ ص ٥٦٨ •
ابن خلدون ، " " ، جـ ٤ ص ٦٢ •

عيّد يوم الأثنين ، ومشى صباح هذا اليوم الى ناحية قرية تعرف ببنى هلال ، فلما كان نصف النهار أتته الأخبار أن القوم قد قربوا منه بأجمعهم ، فأمر بالنزول فى أوعار وأودية ، فلم يستتم النزول حتى حمل العرب عليهم حملة رجل واحد ، فانهزم المسكر ، وصبر المعز صبرا عظيما ، الى أن وصلت اليه رماح العرب . ومات من العبيد بين يديه خلق عظيم فدوه بأنفسهم . وأما بنو مناد وجميع صنهاجة وغيرهم من القبائل فانهم فروا ، وأنتهبت العرب مضاربهم ، وأستولى العرب على غنائم لا تحصى وأسروا خلقا كثير من الصنهاجين .(١)

وتقدمت العرب حتى نزلت بمصلى القيروان ، فتصدى المعز لهم للمرة الثالثة ، فقتل من رجاله المدد الكبير ، وأضطر أن يبيح لهم دخول القيروان (٢) . وفرض العرب حمايتهم على القرى المجاورة وجعلوا كما يقول ابن عذارى (٣) كل من سبق الى قرية يسمى نفسه لهم ، ويؤ منهم ، ويعطيهم قلنسوته أو رقعة يكتبها لهم علامة ليعلم

(١) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٠ . ويذكر أن المعسكر المهزوم كان ثمانين ألف فارس ومثلهم من الرجالة . ويشاركه فى ذلك المقريزى ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ٢١٥ — فى حين أن ابن الاثير ، المصدر السابق ج ٩ ص ٥٦٨ أن عددهم كان سبعة وعشرين ألف فارس .

(٢) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج ٩ ص ٥٦٩ .
ابن خلدون ، " " ، ج ٤ ص ٦٣ .

(٣) ابن عذارى ، " " .

غيره أنه سبقه . وأستولى العرب على القيروان وتونس.(١)

وأضطر المعز الى أن يتقرب من العرب ، وذلك بمصاهرتهم فزوج ثلاثا من بناته لثلاثة من أمراء العرب ، هم فارس بن الغيث وأخوه عائذ والفضل بن أبى على ، وهم من بنى مرداس الرياحيين .(٢)

ولكن العرب أقاموا يحاصرون البلاد ، وينهبون الى سنة ٤٤٩هـ ، وأضطر المعز الى الأنتقال الى المهدية فى شهر رمضان من هذه السنة ، متخفيا فى زى امرأة على ما يذكر المقريزى(٣) . ولكن التجانى يذكر قولا آخر(٤) قد يكون أقرب للصحة اذ يقول : " فلما كانت سنة ٤٤٩هـ توجه المعز الى المهدية فى خفارة رجلين من العرب قد كان صاهرهما ببنتيه يعرف أحدهما الفضل بن أبى على وهو مرداسى ، ويعرف الآخر بفارس إبن أبى الغيث ، فتوجها اليه فأستخرجاه من صبره سرا ، وأحس باقى الأعراب بخروجه فلحقوه فى أثناء الطريق ، فواقفهم فارس بن أبى الغيث فى جماعة من قومه ، وجعل يؤنبهم على

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٥
(٢) التجانى ، " " ، ص ٣٢٩
ابن خلدون ، " " ، ج ٦ ص ١٦
(٣) المقريزى ، " " ، ج ٢ ص ٢١٥
(٤) التجانى ، " " ، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠

الأستخفاف بخفارته ، فقالوا له انك قد أعظمت التحامل علينا في خفارة مثل المعز ، وتركنا له عظايم ، والفائدة في أخذه كبير فلا تمنعنا منه . فلم يزل يوقفهم ويراجعهم ، الى أن خلص المعز وصاحبه الفضل بن أبى على ودخل المهدية ، ويقال انه قد كان أخرج بعض القطع البحرية وسيرها فى البحر محاذية له خوفا مما عساه أن يعرض له فى طريقه ، فلما لحقه الأعراب ، كما قدمنا ناداه أرباب القطع بالبدار اليهم ليعتصم بالبحر من أولئك الأعراب ، فلج فى السير وأبى من الدخول اليهم أنفة منه وجلدا الى أن خلص وحصل بالمهدية ".

واستولت العرب على دوره وغلمانه ، وانتهبوا ما كان فى قصوره ، وأرسل كثير مما نهب من قصور بنى باديس من الأسلحة والعدد والآلات والخيام وغيرها الى القاهرة ، فكان لدخولهم يوم مشهود (١).

وانتهى الأمر بأستيلاء العرب على أفريقية ، وأقتسامهم أياها . وملكوا الأرياض ، تاركين أمراء بنى باديس فى حاضرتهم على أن يدفعوا لهم الأتاوات . وهكذا نجح اليازورى فى الأنتقام من عدوه أشد انتقام .

---

(١) المقريزى ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢١٥ .
وأنظر ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .

وأضطر المعز الى استرضاء الخليفة المستنصر ، وخاصة بعد قتل عدوه اليازورى سنة ٤٥٠هـ ، فأرسل للخليفة سنة ٤٥٢هـ هدية قومت بأربعين ألف دينار ، منها ورقة مرصعة بالجوهر كانت للمهدى (١) . ولكن المعز ما لبث أن مات (٢) .

وسنكتفى هنا بما ذكرناه عن تحرك المغرب ، على أن نذكر فى الفصل التالى علاقتهم بخلفاء المعز ، وبالفرع الثانى من الأسرة الصنهاجية ، وهى دولة بنى حماد .

. . . .

. . . .

. . .

.

---

(١) المقريزى ، المرجع السابق ، ج ٢ ص ٢٦٠

(٢) أختلفت المصادر فى تاريخ وفاة المعز فابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ١٠ ص ١٦ وابن أبى دينار ، المصدر السابق ص ٨٥ . والمقريزى ، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦١ ، يذكرون أنه توفى سنة ٤٥٣هـ .

فى حين يذكر ابن الأبار ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢١ والتجانى ، المصدر السابق ، ص ٣٣٠ أن ذلك كان سنة ٤٥٤هـ أما ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٥ يقول أنه توفى سنة ٤٥٥هـ .

مواطن العرب في المغرب :ـ

يقول ابن خلدون أن العرب تقارعوا على البلاد ، فحصل لسليم الشرق ، ولهلال الغرب . ثم يقول في موضع آخر « واقتسمت العرب بلاد أفريقية سنة ٤٤٦هـ ، وكان لزغبه طرابلس وما يليها ، ولمرداس بن رياح باجة وما يليها ، ثم أقتسموا البلاد ثانية . » (١)

وما يقوله ابن خلدون لا يمكن أن نتقبله ببساطة ، وكأن هؤلاء العرب الدائبي الحركة يخضعون لمنطق التقسيم ويرضونه . فالأحداث التاريخية تدلنا على أن هذه القبائل كانت في حركة مستمرة ، ليس من الشرق الى الغرب فقط ، بل اننا نرى الكثيرين منهم يعودون أدراجهم في عصور متأخرة مشرقين مرة أخرى الى مصر . يقول الدكتور عابدين (٢) ، أن بني سليم أخذوا يعودون الى مصر مرة أخرى بعد بضعة قرون فيى موجات متوالية ، وأن هجرتهم في القرن الثامن عشر الميلادي تعد من أكبر الهجرات العربية التى وفدت الى مصر من طريق الغرب حتى ملؤا الصحراء الغربية وبعض جهات من وادي النيل ، وأنه الى الآن ينتسب جميع العرب الساكنين على الساحل

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٤ ـ ١٥

(٢) أنظر البيان والأعراب للمقريزي ، ص ١٦٧ .

غرب الاسكندرية الى قبيلة بنى سليم .

نخلص من ذلك أن مواطن هؤلاء العرب فى المغرب كانت كثيرة التغير نتيجة ظروف مختلفة . بعضها يدافع من مصالحهم ، وبعضها أجبروا عليها من قبل الدول القوية التى قامت فى المغرب مثل دولة الموحدين مثلا التى أجبرت الكثيرين منهم الى الأنتقال للمغرب الأقصى [1] ، كما أن الموحدين نقلوا كثيرا منهم الى الأندلس يقول المراكشى [2] ، أن عبد المؤمن بن على سلطان الموحدين (٥٢٤ ــ ٥٥٨) حينما عزم على غزو الأندلس ، استنفر عددا كبيرا من العرب ، فلما أرادوا العودة الى المغرب أسكنهم فى الأندلس فى نواحى قرطبة ونواحى أشبيلية .

بل أن العرب أنفسهم ، دخلوا بعد ذلك فى صراعات مع بعضهم البعض ، تحاول القبيلة القوية منهم طرد الأخرى والاستيلاء على مواطنها . يقول ابن عذارى [3] « وفى سنة ٤٦٦ هـ وقيل سنة ٤٦٧ هـ طردت زغبه من أفريقيا ، طردهم رياح منها .

---

(١) أنظر ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ٢١
(٢) المراكشى ، " " ، ص ٢٩٣ ــ ٢٩٥
(٣) ابن عذارى ، " " ، ص ٣٠٠ وأنظر ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج ١٠ ص ٩٨ . اذ يقول أحداث سنة ٤٦٧ هـ « وفيها كانت حرب شديدة بين بنى رياح وزغبه ببلاد أفريقية ، فقويت بنو رياح على زغبه فهزموهم وأخرجوهم عن البلاد » .

وفى سنة ٤٦٨هـ ، وصلت الى أفريقية عرب من برقة ونزلت حول القيروان وما والاها » . ويقول ابن عذارى (١) فى موضع آخر « وفى سنة ٤٩١هـ خرجت عدى من أفريقية أمام رياح » . وهكذا نرى قبيلة رياح تطرد أولاد عمومتها من الأماكن التى أقاموا بها ، ثم تطرد رياح بدورها ويحتل بعض أراضيها بطون من سليم ، اذ يذكر التجانى (٢) أن المنطقة من باشو الى سوسه (٣) كانت فى وقت رحلته فى يد بنى دلاج ، بطن من عوف بن سليم ، وكانت قبل هذا من منازل الرياحيين ، « فلم تزل وفود الأعراب عند وصولهم من المشرق تدع من بين يديها من العربان الذين كانوا وصلوا قبلهم ، الى أن حصلت هذه الأرض فى وقتنا لمن ذكرنا (٤) » . كما يذكر التجانى (٥) أيضا وهو يتكلم عن قابس ، أنه كان يحكمها بنو جامع الهلاليون حتى أجلاهم عنها الموحدون

وعلى ذلك فقد تكون هذه الأماكن التى سنذكرها ، هى الأماكن التى كان بها نسل هؤلاء العرب ، فى العصر الذى ألف فيه هذا المصدر أو ذاك . أى أن هذه الاماكن تتفق فى المقام الأول مع نتائج الأحداث لا مقدماتها .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٠٢

(٢) التجانى ، المصدر السابق ، ص ١٥

(٣) مدينة تسمى بها شبه جزيرة جنوب تونس .

(٤) التجانى ، المصدر السابق ، ص ١٥ ، علما أن رحلته كانت بين سنتى ٧٠٦ هـ ، ٧٠٨ هـ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٩٥ وقابس مدينة على الساحل غربى طرابلس .

لكن بوجه عام ، أقام بنو سليم فى المناطق الشرقية ، فى حين انساح بنو هلال غربا ، اذ يقول المقريزى[1] ، حصل لسليم الشرق ولهلال الغرب ..... وأقامت بطون من سليم وأحلافها بأرض برقة ، وسارت قبائل دياب وعرق وزغب وجميع بطون هلال الى أفريقية ، ...... وكان لزغبة طرابلس وما يليها ، ولمرداس بن رياح باجه وما يليها ».

ولكن رياح كما سبق أن ذكر ابن عذارى طردت زغبه ، ويبدو أنهم أقتسموا البلاد مرة ثانية[2] ، فأصبح لبنى هلال من قابس الى المغرب ، حيث تقاسمتها بطونهم رياح وزغبة والمعقل وجشم والأثبج وشداد والخلط وسفيان ».

واذا نحن تتبعنا هذه القبائل منذ دخولها حتى استقرارها فى القرن الثامن الهجرى أو أوائل التاسع[3] ، نجد أن قبيلة سليم أقاموا أول الأمر ببرقة وجهات طرابلس ، ثم صارت بعض قبائلهم الى أفريقية ، وبقى البعض فى برقة ، فالذين بقوا فى برقة ، هبيب ولبيد . أما من أتجه الى أفريقية[4] ، زغب ودباب وعوف[5] .

---

(١) المقريزى ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢١٧

(٢) « « « «

(٣) عينا هذا التاريخ حيث نعتمد على ابن خلدون والقلقشندى ، والمقريزى وهم من رجال القرن الثامن وأوائل التاسع الهجرى .

(٤) يقصد بأفريقية تونس الحالية والجزء الشرقى من الجزائر

(٥) أنظر ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ٧٢

يقول ابن خلدون أن مواطن هيب من أول أرض برقة ، مما يلي أفريقية الى العقبة الصغيرة من جهة الاسكندرية فأقاموا هنالك بعد دخول أخوانهم الى أفريقية (١) . وأول مايلي الغرب منهم بنو حميد لهم أجدابيه وجهاتها (٢) ، وهم عديد يرهبهم الحاج . وبنو شماخ منازلهم المرج وطلميسنا ، ولهم عدد وقبائل متميزة ولهم العز في هبيب لكونها حازت الأماكن المذكورة (٣) . وقد زاد المقريزي بطونا أخرى من هبيب لم يذكر ابن خلدون (٤) ، هم سباك وبنو حمدان وبنو زيد وزيان وبنو معز ومحارب . ويذكر القلقشندي (٥) ، أن بني محارب يقيمون شرق بني أحمد

أما بنو لبيد (٦) ، فمنازلهم بين برقة والعقبة الكبيرة . يقول القلقشندي (٧) ، وهم خلق كثير لا يكاد يحصى لهم عدد .

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ٧٢
القلقشندي ، " " ، ص ٤٤٤
(٢) ابن خلدون ، " " ، وقد أطلق عليهم القلقشندي ، المصدر السابق ، ص ٣٤ ، والمقريزي ، البيان والأعراب ، ص ٧٠ بنو أحمد .
(٣) القلقشندي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ – المقريزي ، المصدر السابق
المرج : مدينة بالجبل الاخضر ببرقة .
طلميسنا : مدينة ببرقة .
(٤) المصدر السابق
(٥) القلقشندي ، المصدر السابق ، ص ٤١٥
(٦) العقبة الكبرى هضبة عند السلوم – العقبة الصغرى هضبة عند مرسى مطروح
(٧) القلقشندي ، المصدر السابق ، ص ٤١٠

ومن بطونهم ، أولاد سلام وأولاد سليمان والبركات والبشره والبلابيس والجواشنه والحداده والدروع والرواشد والزرازير والحوته والسبوت والسوالم والشبله والشراعية والصرابرات والعواكله والملاوية والموالك والنيله والندوة والنواقله وبنو قطاب (١) . وقد زاد ابن خلدون على هذه البطون أولاد مقدم ، وهم بطنان ، أولاد التركية وأولاد قائد (٢) ، وقال ، هم ينسبون الى لبيد ويستطرد ، ذكر لى سلام شيخ أولاد التركية ، أن أولاد مقدم من ربيعة بن نزار (٣) .

وعوف بن بهثه بن سليم كانوا (٤) ، كما يقول ابن خلدون ، يقيمون ببرقة عند دخولهم مع الهلاليين . ولما كانت فتنة ابن غانيه وقراقوش الغزى (٥) ، لم يشاركوا فيها ، بل قاوموها ، فلما أستقل أبو زكريا يحيى الأول بأفريقية (٦) ، جاء ببنى مرداس وعلاق

---

(١) القلقشندى ، المصدر السابق ، صفحات ١٠٦ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ــ ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ــ ١٦١ ، ٤٠٠ ــ وأنظر المقريزى ، المصدر السابق ، ص ٦٩ ــ ٧١

(٢) يذكرهم المقريزى ، المصدر السابق ، ص ٧١ أولاد فايد بالفاء وليس بالقاف .

(٣) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٦ ص ٥

(٤) " " ، " " ، جـ ٦ ص ٧٣ ومابعدها .

(٥) سنتعرض لهذه الفتنة فى الفصل التالى .

(٦) أول سلاطين الحفصيين ، أستقل بأفريقية عن الموحدين سنة ٦٢٥ هـ .

وهما من بنى عوف بن سليم الى نواحى السواحل وقابس .
وقد كانوا يقيمون فى هذه المنطقة أثناء قيام التجانى برحلته بين عامى ٧٠٦ هـ ـ ٧٠٨ هـ (١) .

ويوجد بطن من عوف ، هم دلاج ، كانت تقيم
ما بين باشو وسوسه جنوب مدينة تونس يقول التجانى
" ومن أول الجزيرة هذه (جزيرة باشو) ، أبتدأنا بالسلوك
فى منازل العرب المتولين لأرض أفريقية ، وهذه الأرض الآن
من منازل بنى دلاج ، وهم فرقة من بنى عوف بن سليم . وكانت
قبل هذا منازل الرياحين ، فلم تزل وفود الأعراب عند وصولها
من المشرق تدع من بين يديها من العربان الذين كانوا وصلوا
قبلهم ، الى أن حصلت هذه الأرض فى وقتنا هذا لمن ذكرنا ....
وجور هذه الطائفة المعروفة بدلاج فى فعلها وعبثها فى البلاد
وأهلها أشهر من أن نشير اليه ، أو ندل بعبارة مختصرة عليه " .

أما بنو دباب بن مالك بن بهثسه ، فأماكن أقامتهم تمتد
فى ما بين طرابلس وقابس ، وبين قابس وبلاد الجريد ، وكذلك الى
الشمال من قابس . وبطونهم كثيرة متعددة منها :ـ

بنو صابر بن دباب ومنازلهم بنواحى قابس (٢) .

---

(١) التجانى ، المصدر السابق ، ص ٨٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ،
٤١٨ ، وأنظر المقريزى ، المصدر السابق ص ٦٩
(٢) القلقشندى ، المصدر السابق ص ٣١١

الوشاحيون ، أولاد وشاح بن عامر بن جابر بن رافع : يقول التجانى فى رحلته أن رئاسة الوشاحيين فى عهده ، محصورة فى قبيلتى الجوارى والمحاميد . ويوجد الى جانب هاتين القبيلتين قبيلتان أخريان من الوشاحيين هم الصمور والجواوية . ولم يكونا فى زمان التجانى من الكثرة أن يقوم كل قبيل منها بنفسه ، فهم فهم تابعون لأحدى قبيلتى أخوتهم الجوارى أو المحاميد . ومنازل الوشاحيين بين طرابلس وقابس (١) .

النوائل أولاد بن عامر بن جابر بن فائد بن رافع بن دباب ، ومنازلهم شمال قابس (٢) .

بنو أحمد بن دباب وكانوا يقيمون بين قابس وتوزر (٣) .

بنو يزيد ويشاركون بنى أحمد فى منازلهم . يقول التجانى « وبنو يزيد أربعة أفخاذ من دباب تحالفت وانتسبت على مدلول الزيادة ، لا الى رجل متسم بيزيد » . وهم الصهبه أولاد صهب بن جابر بن

---

(١) أنظر التجانى ، المصدر السابق ، صفحات : ٨٦ ، ١١٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ـ
القلقشندى ، المصدر السابق صفحات : ١٢٦ ، ١٥٨ ، ٢٥٠ ـ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ٨٢ ـ ٨٥
المقريزى ، المصدر السابق ، ص ٦٩
(٢) أنظر التجانى ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٣٤ . وتوزر من بلاد الجريد تقع الى الغرب من قابس .

رافع بن دباب ، والحطارنه بنو حمران بن جابر أخوتهم و والخرجه وهم جماعة من آل سليمان بن رافع بن دباب ، والأصابعة الذين ينتسبون الى رجل كانت له أصبع زائدة . ويقول التجانى أن دباب ينمون عليهم نسبهم ، وأنهم خارجون عنهم .(١)

أما بنو زغب بن مالك بن بهثه ، فقد سكنوا بأفريقية جوار أخوانهم من بنى دباب بن مالك ، ويبدو أنهم أتجهوا قليلا الى الشرق حيث صاروا الى جوار بنى هبيب .(٢)

وهناك بطون أخرى من سليم ، يبدو أنها ظهرت بعد مجيئهم الى المغرب . وبطون أخرى ليست من سليم وانما نزلت بجواهرم ، وهذه البطون هى :ـ

بنو سلمان ، ويقول القلقشندى(٣) أنهم بطن من بهثه ، ومنازلهم بين طرابلس وقابس .

بنو حكيم بن علاق وبنو حصن بن علاق ، يقيمون بين سوسه والجم .(٤)

---

(١) المصدر السابق
(٢) القلقشندى ، المصدر السابق ، ص ٢٧٢ .
ابن خلدون ، " " ، ج ٦ ص ٧٢ .
(٣) القلقشندى ، " " ، ص ٢٩٢ .
(٤) ابن خلدون ، " " ، ج ٦ ص ٨٢ .
التجانى ، " " ص ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٥ ويقول أن =

أما طرود فيقيمون مع بني حكيم [(١)] . ويذكر القلقشندى أن طرود بن فهم ، بطن من قيس عيلان ، وأن بأفريقية حى عظيم منهم يظعنون مع سليم [(٢)] .

آل قجر ، ذكرهم القلقشندى انهم بطن من العرب ولم ينسبهم ، ويذكر أنهم يقيمون حول قابس [(٣)] .

الكعوب بطن من سليم ، منهم أولاد بني الليل ، وفيهم مشيخة الكعوب ، وأمتدت منازلهم من قابس الى بونه [(٤)] .

أما قبائل بني هلال ، فمن أهمهم الأثبج ورياح وزغبه والى جانبهم جشم والمعقل حلفاء بني هلال . وسنتتبع مواطن هذه القبائل حتى استقرارها فى عهد ابن خلدون .

والأثبج كما يقول ابن خلدون [(٥)] ، كانوا من أوفر بني هلال عددا ،

= الجم أعظم حصون أفريقية وأشهرها ، وليس بأفريقية بعد الحنايا التى بقرطاجنة بناء أضخم منه ولا أعجب . وهو يقع الى القرب من المهدية .

(١) التجانى ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .
(٢) القلقشندى ، " " ، ص ٣٢٢ .
(٣) " ، " " ، ص ٩٩ .
(٤) أنظر ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ٣٣
القلقشندى ، المصدر السابق ، ص ١١٤ وص ١٥٦ ـ ١٦٧
وبونه هى ميناء عنابه الحالية شرق الجزائر قرب الحدود التونسية
(٥) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٩ ـ ٢٤

وأكثرهم بطونا . ومن بطونهم الضحاك وعياض ومقدم والعاصم واللطيف ودريد وكرفه .

وكانت مواطن الأثبج قسنطينه وشرقي جبل أوراس . وقد وقعت الفتن والحروب بين هذه البطون من الأثبج . فلما ملك الموحدون أفريقية ، نقلوا بطون العاصم ومقدم الذين أشتركوا فى ثورة بنى غانيه ، ومعهم قبائل جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن الى المغرب الأقصى ، حيث أنزلوهم بلاد تامسنا ما بين سلا ومراكش .

وبقيت عياض والضحاك ولطيف بمواطنهم ، حيث استقرت عياض بجبل قلعة حماد ، وغلبوا قبائله على أمرهم . أما الضحاك واللطيف فاستقرت ببلاد الزاب حتى غلبهم الزواوده من رياح فصاروا فى جملتهم .

أما دريد وكرفه ، فكانت بينهم من الحروب والفتن التى قتل فيها حسن بن سرحان مقدم دريد وصاحب قسنطينه . وظلت الفتن بينهم حتى عهد الموحدين وأفترق أمرهم .

أما رياح ، فقد كانت من أعز قبائل هلال وأكثرهم جمعا عند دخولهم أفريقية وهم رياح بن أبى ربيعه بن نهيك بن هلال بن عامر . ومن أهم بطونهم مرداس وقد عقد الخليفة المستنصر

الفاطمى لمقدمهم موسى بن يحيى المرداسى على القيروان وباجه .

وقد تمكنت رياح من مد نفوذها على حساب أقربائها من الأثبج الى قسنطينه والمسيلة والزاب (١) .

وقد نقل الخليفة الموحدى أبو يوسف يعقوب المنصور قبائل رياح الى المغرب الأقصى ما بين طنجه وسلا (٢) .

على أن الزواوده ، وهم بطن كبير من رياح ظلوا حتى زمن ابن خلدون فى منطقة جبل أوراس والزاب والمناطق الغربية من جبل أوراس كما تغلبوا على قسنطينه وبجاية (٣) .

وكان لزغبه أخوة رياح عزه وكثره عند دخولهم المغرب ، حيث تغلبوا على ضواحى طرابلس وقابس (٤) . ولم يزالوا بتلك المحال الى أن غلب الموحدون على أفريقية ، وشاربها أبن غانيه وانضمت زغبه الى الموحدين فأنتقلوا الى المغرب الأوسط حتى تلمسان غربا ، وهناك أقاموا فى القفار فى حين أقامت زياناته فى التلول والضواحى (٥) . ومن أهم بطون زغبه ، بنو يزيد وبنو عامر وبنو عروه .

---

(١) أنظر ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ٣١ وما بعدها
القلقشندى ، " " ، ص ٢٦٦ ــ ٢٧٧ .
(٢) ابن خلدون ، " " ، ج ٦ ص ٢١ .
(٣) المصدر السابق ، ج ٦ ص ٣٤ .
(٤) " " ، ج ٦ ص ٢١ ، ٤٠
(٥) أنظر ابن خلدون ، المصدر " ، ج ٦ ص ٤٠ وما بعدها

أما المعقل ، وهم أحلاف هلال ، وان لم ينتسبوا اليهم . ويرجح ابن خلدون أنهم من عرب اليمن (١) . وقد كانت مواطنهم فى عهد ابن خلدون قفار المغرب الأقصى ، يحازيهم من الشرق بنو زغبه ، وتمتد مواطنهم من تلمسان شرقا الى المحيط غربا .

والمعقل ثلاث بطون ذوو عبد الله وذوو منصور وذوو حسان فأقام ذوو عبد الله مجاورين لزغبه ، بين تلمسان وتلوريرت . ومواطن ذوو منصور من تلوريرت الى بلاد درعه ، حيث تمتد أماكنهم من وادى ملوية الى سجلماسه . ومن أهم مدنهم درعه وتازى وفاس ومكناسة وبلاد تادلا . أما ذوو حسان فتمتد مناطنهم من درعه الى المحيط ، وكان شيوخهم ينزلون قول قاعدة السوس ، وكانوا يهيمنون على السوس الأقصى وينتجعون فى الرمال الى مواطن الملثمين ، من كدالة ومسوفه ولمتونه (٢) .

الى جانب هؤلاء ذكر ابن خلدون الخلط ، فقال أن بالمغرب من بنى المنتفق أحياء دخلوا مع هلال بن عامر ، كلهم يعرفون بالخلط . ومواطنهم بالمغرب الأقصى ما بين فاس ومراكش (٣) .

---

(١) المصدر السابق ، ج ٦ ص ٥٩
(٢) ابن خلدون ، المصدر السابق ج ٦ ص ٥٨ وما بعدها .
(٣) المصدر السابق ، ص ١١

وتقول دائرة المعارف (١) أن المنازل التى يسكنها الخلط فى أيامنا هذه تمتد خمسين ميلا فى الطول من الشمال الى الجنوب ، وعشرين ميلا فى العرض من الشرق الى الغرب. ويفصلهم عن المحيط شقة ضيقة من أرض الساحل .

. . . .

. . . .

. . . .

.

(١) دائرة المعارف ، مادة الخلط .

الفصل الثالث

علاقات العرب بدول المغرب

- العلاقة مع صنهاجه وزناته.
- العلاقة مع الموحدين.
- العلاقة مع الحفصيين والمرينيين والزيانيين.

العلاقات مع صنهاجه وزناته :ـ

ونقصد بصنهاجة ، دولتي بني زيري وبني حماد ، وصنهاجة من قبائل البربر البرانس التي ناصرت الفاطميين منذ قيام دولتهم ، شأنها في ذلك شأن قبيلة كتامه التي قامت الدولة الفاطمية على رماحهم . وقد انتقلت معظم كتامة مع الفاطميين الى مصر ، في حين بقيت صنهاجة لتحكم المغرب بأسم الفاطميين تحت سلطان الدولة الزيرية . ولكن هذه الدولة انقسمت الى دولة بني زيري في أفريقية ، ودولة بني حماد في المغرب الأوسط . وقد كان التنافس شديدا بين هاتين الدولتين ، وأدى هذا الأنقسام الى تدخل العرب في شئونهما . كما عمدت كل منهما الى الاستعانة بفريق من العرب ضد الأخرى ، كما سنفصله فيما بعد .

أما زناته ، فهي قبيلة بربرية كبيرة من البتر ، وكانت منافسة منذ القدم لصنهاجة ، حتى أنها كانت من ألد أعداء الفاطميين الذين حالفتهم صنهاجة ، وقاموا ضدها بثورة كادت أن تقضي عليها هي ثورة أبي يزيد بن كيداد (١) .

(١) هو أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي ، كان يعتنق مذهب الخوارج ، وقام بثورته ضد الفاطميين التي أستمرت من سنة ٣٣٢هـ حتى سنة ٣٣٦هـ ـ أنظر عن هذه الثورة ابن خلدون ج ٤ ص ٨٤ وما بعدها .

ولما رحل الفاطميون الى مصر ، ظل العداء بين الدولة الصنهاجية وبين زناته ، وقامت بينهما حروب عدة . فلما جاءت الغزوة الهلالية ، ناصب الهلاليون زناته العداء ، وقد يكون ذلك بتحريض من بنى حماد (١) .

ولقد رأينا فى الفصل السابق كيف أن العرب انتصروا على المعز بن باديس ، الذى لم يستطيع الوقوف أمامهم ، وكيف أضطر أخيرا الى الانسحاب الى المهدية ، حيث بقى الى أن توفى . وخلفه ابنه تميم الذى تقلصت دولته ، واقتصرت على المهدية وشريط ساحلى ضيق يشمل سفاقس وقابس وجزيرة جربه (٢) .

ولقد كان فى مقدور العرب لو أرادوا أن يكونوا لهم دولة . ولكن على ما يبدو فان طبيعتهم البدوية ، جعلتهم يكتفون بتملك الضواحى ، تاركين الحواضر تحت رحمتهم وسلطانهم . وبدأ العرب يمارسون النزاع فيما بينهم هم أنفسهم ، حتى أنقسموا الى فرق متطاحنة ظلت فى صراع فيما بينها ، أو يثيرون القلاقل والفتن للدول الموجودة فى المنطقة ، ينضمون لهذا الفريق أو ذاك ، حسب ما يتراءونه على أنه مصالحهم . فلا احترام لسلطان دولة الا اذا أجبرتهم

---

(١) أنظر ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ٩ ص ٣٩٠ .
(٢) دكتور سيد عبد العزيز سالم ، المرجع السبق ، ص ٦٧١ .

الدولة على ذلك أن أستطاعت . فكثرت الفتن بينهم ، وعجزت الدول - الا في النادر - عن قيادهم .

لما ملك تميم بن المعز (٤٥٣هـ - ٥٠١هـ) ، غلبه العرب على أمره ، وحاول هو بدوره أن يحالف بعض القبائل من العرب ويستعين بهم ضد من يحاول أن يثور عليه ببلد من بلاده . وكانت سفاقس أول من ثار على تميم (١) ، اذ تحالف صاحبها حمو بن مليل البرغواطي مع عرب عدى والأثبج ومن أنضم اليهم ، وزحف بهم الى المهدية ليحاصرها سنة ٤٥٥هـ . ولكن تميم أستطاع أن يهزم حمو بعد أن قتل الكثيرين من أصحابه ، وتراجع حمو الى سفاقس (٢) ولم يزل تميم يتحين الفرص حتى تمكن من دخول سفاقس سنة ٤٩٣هـ ، وفر حمو منها مستجيرا بأمير رياح ، مكى بن كامل الرياحي بقابس (٣) .

ولقد كان تميم يسعى دائما لأذكاء نار العداوة بين قبائل العرب ، حتى يستطيع الاستعانة ببعضهم ضد

---

(١) التجاني ، المصدر السابق ، ص ٣٣٠ .
(٢) التجاني ، " " ، ص ٧٠ - ابن الأثير المصدر السابق ، ج ١٠ ص ١٦ ، ٢٩ - ابن أبي دينار المصدر السابق ، ص ٨٥ وقد أطلق عليه حمو بن فلفل - ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .
(٣) التجاني ، " " ، ص ٧١ .

البعض ، أو ضد خصومه ، ومن ذلك أن رجلا من عدى قتل رجلا من رياح ، وحاولت القبيلتان احتواء هذا الحادث ، وعقد الصلح بين الطرفين . فرأى تميم أن بقاء العداوة بينهما أجدى لسياسته . فأرسل يحرض رياحا قائلا .

متى كانت دماؤكمو تطل	أما فيكم بثأر مستقل
أغانم ثم سالم أن فشلتم	فما كانت أوائلكم تذل
ونمتم عن طلاب الثأر حتى	كأن العز فيكم مضمحل
وما كسرتم فيه العوالى	ولا بيض تفل ولا تسل

فهاجت الفتنة بين الحيين من جديد ، حتى أنجلت عدى عن أفريقية (١) . ولعله هو أيضا الذى أوقع الخلاف بين رياح وزغبه ، فقامت بينهما حرب طاحنة سنة ٤٦٧هـ تمكنت فيهما رياح من طرد زغبه من أفريقية (٢) .

وكانت رياح ، كما ذكرنا فى الفصل السابق ، قد سيطرت على قابس ، وأصبح صاحبها مؤنس بن يحيى الرياحى . وقد لجأ اليه أثنان من كبار رجال دولة المعز هما ابراهيم وقاضى (٣) ابنى محمد الصنهاجى ، وأصبح ابراهيم يحكم صنهاجة

---

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ١٠ ص ٤٥٠ .
(٢) « « « ، ج ١٠ ص ٩٨ .
(٣) يسميه ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٦٦ ماضى

تحت سلطان العرب[١] • فلما تولى تميم بن المعز خرج ابراهيم سنة ٤٧٦هـ ومعه جموع عظيمة من العرب على رأسهم مالك بن علوى الصخرى لحصار المهدية[٢] ، فأرسل تميم الى أحلافه من العرب أموالا ، فهجموا على عسكر ابراهيم ، ثم خرج تميم بجنده ، فهجموا عليهم من الجهة الأخرى ، فهزم ابراهيم ورجع الى قابس • أما مالك بن علوى فتوجه الى القيروان ، حيث حصره تميم بها مدة ولكنه تمكن من الهروب[٣] • ويظهر أنه قد تم صلح بين تميم ومالك ، حيث يقول ابن الأثير[٤] ، فى أحداث سنة ٤٨٢هـ أن ابن علوى نقض فيها ما بينه وبين تميم بن المعز من العهد ، وأنه أستولى على سوسه ، وجرى بينه وبين أهلها ومن بها من عسكر قتال شديد ، وأيقن مالك أنه لن يستقيم له الأمر مع تميم ، فخرج من سوسه وأقام فى الصحراء •

أما ابراهيم بن محمد الصنهاجى ، فقد ظل فى قابس حتى مات • وخلفه أخوه قاضى ، الذى قتله أهل قابس ، وتمكن

---

(١) التجانى ، المصدر السابق ، ص ٩٦ ـ ٩٧ •
(٢) ابن الأثير ، " " ، ج ١٠ ص ١٣٢ •
ابن عذارى ، " " ، ص ٣٠٠ •
التجانى ، " " ، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ وقد أورده مالك بن علوان ، ابن أبى دينار ، المصدر السابق ، ص ٨٥ وقد أطلق عليه اسم مالك بن على •
(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٣٢ •
التجانى ، " " ، ص ٣٣١ •
ابن خلدون ، " " ، ج ٦ ص ١٦٦ ـ ١٦٧ •
(٤) ابن الأثير ، " " ، ج ١٠ ص ١٧٩ •

المعز من استمادتها . الا أنها خرجت عن طاعته ، ود خلت في طاعة العرب مرة أخرى ، ووليها مكي بن مالك الرياحي الذي ذكرنا أنه أجار حمو بن مليل البرغواطي سنة ٤٩٣هـ ، ثم وليها من بعده ، ابنه رافع بن مكي الذي ظل على علاقات ودية مع يحيى بن تميم (٥٠١ ـ ٥٠٩ هـ) فلما ولي علي بن يحيى (٥٠٩ ـ ٥١٥ هـ) ساءت العلاقات بينه وبين رافع ، وذلك أن رافعا أنشأ بساحل قابس سفينة ضخمة ، فكره علي ذلك ، وأبى أن يشاركه أحد في البحر ، فأرسل أسطولا لمنع السفينة الأقلاع في البحر ، والاستيلاء عليها . فلما علم رافع بذلك أرسل الى روجار صاحب صقلية يسأله العون . ويخبره أنه أنما بنى هذه السفينة ليرسل عليها هديه له . فأرسل روجار الى قابس أسطولا ضخما لنصرة رافع . ورغم أن رجال الدولة نصحوا عليا بعدم التعرض لرافع أو للأسطول النورماندي حفاظا على الهدنة مع روجار الا أنه هاجم قابس والأسطول النورماندي . وكان هذا من الأسباب التي أدت الى سوء العلاقات بين روجار وعلي ثم ابنه الحسن من بعده ، وأنتهت بأستيلاء روجار على المهدية وانقراض دولة بني زيري . وقد شجع هذا الأنتصار عليا ، على أن يهاجم قابس بحرا سنة ٥١١هـ ، وحاول رافع مصالحته ، فلم يجبه على لذلك ،(١)

---

(١) التجاني ، المصدر السابق ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

وتمكن على من ضم جموع من العرب الى صفوفه ضد رافع . فلما رأى رافع عدم قدرته على الوقوف أمام على ، ترك قابس الى القيروان التى كانت تحت سلطان العرب فولوه عليها (١) .
على أن قابس ظلت مع ذلك تحت أسره بنى جامع الى أن أستولى عليها الموحدون (٢) .

ولكن لما بدأ النورمان يهاجمون سواحل بنى زيرى هب العرب الى معاونتهم فى صد هذه الغارات ، اذ يذكر ابن عذارى فى أحداث سنة ٥١٦هـ وسنة ٥١٧هـ (٣) ، أن روجار صاحب صقلية جمع جموعه لمهاجمة الحسن بن على بن تميم ، فأستعد الحسن وحشد القبائل ، وأستقدم العرب ، وفى أواخر جماد الأولى وصل أسطول النورمان المكون من ثلاث وعشرين شينيا (٤) وأستولى على جزيرة الأحاسى ، ولكن العرب هاجموهم ، وأنزلوا بهم هزيمة منكرة حتى طلبوا الأمان من السلطان الحسن بن على بن تميم ، ولكن العرب لم يقبلوا وقتلوهم عن آخرهم .

---

(١) التجانى ، المصدر السابق ، ص ٩٩ ـ ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ ـ ابن ابى دينار ، المصدر السابق ، ص ٩١ .
(٢) التجانى ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ .
(٣) ابن عذارى ، " " ، ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ .
(٤) الشينى : سفينة حربية ويسمى أيضا الغراب ، وله مئة وأربعون مجدافا ، وكانت تقام فيه أبراج وقلاع للدفاع ـ أنظر المناوى ، نهر النيل فى المكتبة العربية ، ص ١٩٨ .

اذا انتقلنا الى علاقات العرب بالشطر الثانى من الدولة الصنهاجية ، أى دولة بنى حماد بالمغرب الأوسط ، نلاحظ أن العرب أخذوا ينساحون غربا على ثلاث جبهات ، الأولى فى الشمال أى الجهات الساحلية ، وهى مناطق كتامه البربرية ويرى الأستاذ الميلى [1] ، أن تقدم الهلاليين فى هذه المناطق لم يلق مقاومة من كتامه ، ويعلل ذلك ، اما أن يكون الفاطميون قد كاتبوا كتامه بتأييدهم ، واما أن يكون الكتاميون فعلوا ذلك نكاية فى صنهاجة . ويستشهد على حسن العلاقة بين أهالى هذه المناطق مع العرب ، بما ذكره الأدريسى من أن مدن هذه المنطقة كانت حالتها التجارية حسنة وأهلها مياسير وبينهم وبين العرب معاملات ومشاركة فى الحرث والأتجار .

أما الجبهتان الأخريان ، التى تقدم اليها العرب ، فهما المنطقة الوسطى حيث الحماديون ، والمنطقة الجنوبية حيث قبيلة زناته . وكان تقدم العرب فى هاتين المنطقتين شاقا ، ويلاقى مقاومة شديدة .

أما بنو حماد ، فقد حاول الناصر بن علناس بن حماد (٤٥٤هـ سنة ـ ٤٨١هـ سنة) بعد أن رأى ما حل بدولة أبناء

---

(١) الميلى ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

عمومته الزيريين ، أن يتحالف مع العرب ويستولى على المهدية ،
فحالف الأثبج . فلما سمع تميم بن المعز بذلك حالف رياحا
وزغبه (١) . ولكن العرب سرعان ما فطنوا الى محاولات صنهاجة
للتفريق بينهم ، فأجمعوا أمرهم على قتال الناصر بن علناس .
وقد أورد ابن الأثير نصا هاما يوضح لنا موقف الطرفين ، نورده
لأهميته . يقول فى أحداث سنة ٤٥٧ هـ (٢) . « فى هذه السنة
كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حماد ومن معه من رجال
المغاربه من صنهاجة ومن زناته ، ومن العرب عدى والأثبج ،
وبين رياح وزغبه وسليم ومع هؤلاء المعز بن زيرى الزناتى على
مدينة سبيبه (٣) ، وكان سببها أن حماد بن بلكين جد الناصر
كان بينه وبين باديس بن المنصور من الخلف ، وموت باديس محاصرا
قلعة حماد (٤) ما هو مذكور ، ولولا تلك القلعة لأخذ سريعا ، وأنما
أمتنع هو وأولاده بها بعده ، وهى من أمنع الحصون . وكذلك
ما أستمر بين حماد والمعز بن باديس ود خول حماد فى طاعته ،
وكذلك أيضا ما كان بين القائد بن حماد وبين المعز ، وكان القائد
يضمر الغدر وخلع طاعة المعز ، والعجز يمنعه من ذلك ، فلما

---

(١) أنظر ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٩ .
(٢) ابن الأثير ، " " ، ج ١٠ ص ٤٤ ـ ٤٦ .
(٣) سبيبه : ناحية من أعمال القيروان . ياقوت ، معجم البلدان
(٤) قلعة حماد : بناها حماد بن يوسف بن زيرى سنة ٣٩٨ هـ قرب أشير فى المغرب الأدنى وهى قلعة حصينة تشبه قلعة أنطاكية فى حصانتها ، بينها وبين سطيف ثلاث مراحل ياقوت ، معجم البلدان .

رأى القائد قوة العرب وما نال المعز منهم ، خلع الطاعة وأستبد بالبلاد ، وبعده ولده محسن وبعده ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد ، وبعده أبن عمه الناصر بن علناس بن محمد ابن حماد ، وكل منهم متحصن بالقلعة ، وقد جعلها دار ملكهم . فلما رحل المعز من القيروان وصبره الى المهدية ، تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد ، فأنتقل كثير من أهلها الى بلاد بنى حماد لكونها جبالا وعره ويمكن الأمتناع بها من العرب ، فعمرت بلادهم وكثرت أموالها ، وفى نفوسهم الضغائن والحقود من باديس ومن بعده من أولادهم ، يرثوه صغير عن كبير وولى تميم بن المعز بعد أبيه ، فأستبد كل من هو ببلد وقلعة بمكانه ، وتميم صابر يدارى ويتجلد . وأتصل بتميم أن الناصر بن علناس يقع فيه فى مجلسه ويذمه وأنه عزم على المسير اليه ليحاصره بالمهدية ، وأنه قد حالف بعض صنهاجة وزناته وبنى هلال ليعينوه على حصار المهدية . فلما صح ذلك عنده ، أرسل الى أمراء بنى رياح فأحضرهم اليه وقال : أنتم تعلمون أن المهدية حصن منيع ، أكثره فى البحر ، لا يقابل منه فى البر غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا ، وأنما جمع الناصر هذه العساكر اليكم . فقالوا له : الذى تقوله حق ، ونحب منك المعونة ، فأعطاهم المال والسلاح فجمعوا قومهم وأتفقوا على لقاء الناصر .

وأرسلوا الى من مع الناصر بن بنى هلال يقبحون عندهم مساعدتهم للناصر ويخيفونهم منه أن قوى ، وأنه يهلكهم بمن معه من زناته وصنهاجة ، وانه انما يستمر لهم المقام والاستيلاء على البلاد اذا تم الخلف وضعف السلطان ، فأجابهم بنو هلال الى الموافقة ، وقالوا : أجعلوا أول حملة تحملونها علينا فنحن ننهزم بالناس ، ونعود عليهم ، ويكون لنا ثلث الغنيمة ، فأجابوهم الى ذلك واستقر الأمر .

وأرسل المعز بن زيرى الزناتى الى من مع الناصر من زناته بنحو ذلك ، فوعدوه أيضا أن ينهزموا ، فحينئذ رحلت رياح وزناته جميعها ، وسار اليهم الناصر بصنهاجة وزناته وبنى هلال ، فالتقت العساكر بمدينة سبيبه فحملت رياح على بنى هلال ، وحمل المعز على زناته ، فانهزمت الطائفتان وتبعهم عساكر الناصر منهزمين ، ووقع فيهم القتل ، فقتل فيمن قتل القاسم بن علناس أخو الناصر وكان مبلغ من قتل من صنهاجة أربعة وعشرين ألفا وسلم الناصر فى نفر يسير ، وغنمت العرب جميع ما كان فى العسكر من مال وسلاح ودواب وغير ذلك ، فاقتسموها على ما استقر بينهم . وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد ، فانهم قدموها فى ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم ، وقل الحامى عن البلاد . .

ويذكر ابن خلدون[(١)] أن الناصر فر الى قسنطينه وريـاح في أثره ، ثم تحصن بالقلعة فحاصرها العرب وخربوا جنباتها ، وعاجوا على ما هنالك من الأمصار فخربوها وأزعجوا ساكنيها ، وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير ، وغوروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في الأرض الفساد ، وهجروا ملوك أفريقية والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالها في الأمصار وملكوا عليهم الضواحي يتحينون جوانبهم ويقعدون لهم بالمرصاد ويأخذون الأتاوات ولم يزل هذا دأبهم حتى لقد هجر الناصر بن علناس سكن القلعة واختط مدينة بجاية[(٢)] ونقل اليها مقر ملكه لينأى عن خطر العرب الذين سيطروا على طرق القوافل ، فلا يجتازها غيرهم الا بخفارة أحدهم

على أن الناصر سرعان ما قرب اليه عرب الأثبج واستطاع بمعاونتهم أن يفتح مدينة الأربس[(٣)] سنة ٤٦٠هـ ، كما وصل الى القيروان ودخلها معا لعرب ، الا أنه سرعان ما ترك القيروان سنة ٤٦١هـ وعاد الى قلعته خوفا من جموع العرب[(٤)] .

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٦ ص ١٩ ــ ٢٠
وأنظر ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .

(٢) مدينة على ساحل الجزائر شمال قسنطينه .

(٣) الأربس : مدينة وكورة بأفريقية ، غرب القيروان ــ ياقوت ، معجم البلدان .

(٤) أنظر ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٩ ــ ٣٠٠
ابن أبي دينار ، " " ، ص ٨٥ .

ولقد صالح المنصور بن الناصر (٤٨١هـ سنة ـ ٤٩٨هـ سنة)
العرب على أن يجعل لهم نصف غلة البلاد من تمر وبر وغير
ذلك (١) .

وكان بنو حماد يختصون الأثبج بمحالفتهم ويختصونهم
بالرياسة ، الى أن ضعف الأثبج نتيجة الفتن بينهم (٢) ، وذهبت
دولتهم بذهاب صنهاجة ودولتهم (٣) .

أما الجبهة الثالثة الجنوبية لتقدم العرب غربا ، فهى جهة
الصحراء حيث قبائل زناته ، وقد دافعت زناته عن مواطنها
بقوة ، وقد كانت أملك للبأس من صنهاجة لبداوتها وتقارب
ما بين حياتها وحياة العرب (٤) . يقول ابن خلدون : أنه لما
غلبت العرب صنهاجة أجتهدت زناته فى مدافعتهم « بما
كانوا أملك للبأس والتجدة بالبداوة فحاربوهم ورجعوا اليهم
من أفريقية والمغرب الأوسط (٥) » .

وزناته قبيلة بربرية قوية ، وهم كما يقول ابن خلدون ، مثل
العرب فى أساليب معيشتهم وقوة بأسهم ، من حيث سكنى الخيام

---

(١) المراكشى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .
وأنظر الميلى ، المرجع " ، ص ٢٠٤ .
(٢) بينا ذلك فى الفصل السابق .
(٣) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ٢٠
(٤) الميلى ، المرجع " ، ص ١٥١
(٥) ابن خلدون ، المصدر " ، ج ٦ ص ١٩

واتخاذ الأبل وركوب الخيل والتقلب فى الأرض ، وايلاف الرحلتين ، وتخطف الناس من العمران ، والأباء عن الأنقياد للنصفة (١) .

وعند ما دخل العرب من بنى سليم وبنى هلال الى برقه وجدوها خالية من سكانها من زناته التى أبادهم المعز (٢) . ولما غلبوا المعز بن باديس على أعمال أفريقية وأقتسموها ، كانت قابس وطرابلس فى قسمة زغبه ، والبلد (طرابلس) لبنى خزرون الزناتين ، الذين ظلوا بها بعد أن غلب بنو سليم على هذه المناطق .

وحالف المنتصر بن خزرون صاحب طرابلس بنى عدى الهلاليين ضد الناصر بن علناس بن حماد ، وخرج اليه بجموعه ، ولكن الناصر هزمهم ففر المنتصر الى الصحراء ولكنه ظل يضايق الناصر حتى عرض عليه الصلح وأقطعه الزاب ، ولكنه فى الوقت نفسه حرض عروس بن سندى صاحب بسكره (٣) على التخلص منه ، وفعلا تمكن من قتله غيلة سنة ٤٦٠هـ (٤) .

ولما تحالف الحماديون مع الأثبج وزغبه كما ـ ذكرنا ـ أستظهروا بهم على قبائل زناته بالمغرب الأوسط ، وأنزلوهم بالزاب وأقطعوهم

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٧ ص ٢ .
(٢) تعرضنا لذلك فى الفصل الثانى .
(٣) بسكره مدينة على حافة الصحراء فى الجزائر قرب تهوده التى قتل فيها عقبة بن نافع فاتح المغرب وبها قبر عقبه .
(٤) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٧ ص ٤٤ ـ ٤٥

الكثير من أعماله . فكان لابد من الصدام مع آل خزر الزناتيين أمراء تلمسان (١) ، ودا فعتهم زناته عن هذه الجهة فكانت بين الفريقين مواقف خلدها الهلاليون فى أشعارهم ، وكانت بينهم وبين بنى يعلى أمراء تلمسان حروب ووقائع وكانت زغبه أقرب اليهم موطنا ، وكان أمير تلمسان يحيى بن يعلى وكان وزيره وقائد حروبه أبا سعيد ابن خليفه اليفرنى الذى كان كثيرا ما يخرج من تلمسان لقتال الأثبج وزغبه . وكان يحتشد اليه زناته المغرب الأوسط مثل مغراوه وبنى يفرن وبنى يلوموا وبنى عبد الواد وتوجين وبنى مرين . وقد قتل أبو سعيد فى هذه الحرب فى نواحى الزاب . وتغلب العرب على الضواحى فى كل مكان ، يقول ابن خلدون : وعجزت زناته عن مدافعتهم بأفريقيا والزاب وصار الملتحم بينهم فى الضواحى بجبل راشد ومصاب من بلاد المغرب الأوسط (٢) .

وبطون زناته كثيرة ، وأختلفت علاقة هذه البطون بالعرب ، فأبن خلدون وهو يتكلم عن بنى سنجاس وبنى ريغة من قبائل مغراوه الزناتية يقول أن دولة بنى حماد كانت تعمل دائما على كسر شوكتهم ، فلما جاء بنو هلال وغلبوا صنهاجة وزناتة على الضواحى ، تحيز هؤلاء الى الحصون والمعاقل ، وفرضت عليهم المغارم ، وغلب عليهم الهلاليون ونزلوا معهم وملكوا

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٧ ص ٤٥ .
(٢) أنظر ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٩ ، وج ٧ ص ٤٥ ، ٦١ ــ ٦٢ .

عليهم أمرهم ، واصاروهم خولا .(١)

في حين أن الأغواط ، وهم فخذ من مغراوه ، انحازوا الى الصحراء فيما بين الزاب وجبل راشد(٢) ، يقول ابن خلدون : أنهم مشهورون بالقوة والبأس والامتناع من العرب(٣) وقد تمركزت زناتة في المغرب الأوسط نتيجة الغزوة الهلالية ، اذ يقول ابن خلدون(٤) « وغلب الهلاليون قبائل زناتة على جميع الضواحي ، وأزاحوهم عن الزاب وما اليه من بلاد أفريقية ، وانشمر بنو واسين عن الزاب الى مواطنهم بصحراء المغرب الأوسط بين مصاب وجبل راشد الى ملويه ، ثم الى سجلماسة ولاذوا ببنى وماتو وبني يلوى ملوك الضواحي بالمغرب الأوسط ، وتفيئوا ظلهم واقتسموا ذلك القفر » .

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٧ ص ٤٧ .
(٢) جبل راشد : لم أعثر على تعريف له . ويفهم من كلام ابن خلدون أنه في المغرب الأوسط شمال الزاب .
(٣) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٧ ص ٤٨
(٤) « « ، « « ، ج ٧ ص ٦١ ـ ٦٢

العلاقة مع الموحدين :ـ

كان موقف العرب من دولتى بنى زيرى وبنى حماد موقف القوى فى غالب الأحيان • ووجدت هذه القبائل بغيتهم فى دولتى صنهاجة لضعفهما • ولكن الأمر أختلف عندما قامت دولة الموحدين (٥٢٤ ــ ٦٦٨ هـ) ، وأمتد نفوذها الى كل المغرب ، فقد كانت فى معظم الأحيان دولة قوية قادرة على بسط سلطانها • لذلك أخذ موقف العرب فى التذبذب بين الطاعة والولاء وبين شق عصا الطاعة أو الاشتراك فى الثورات التى أندلعت فى المغرب مثل ثورة بنى غانيه •

عندما زحف عبد المؤمن بن على أول خلفاء الموحدين (٥٢٤ ــ ٥٥٨هـ) ، الى المغرب الأوسط وأفريقية سنة ٥٤١هـ ، سارع العرب الى لقائه ، ووفد عليه بالجزائر أبو الجليل بن شاكر وحباس بن شيفر أمير جشم ، فأحسن عبد المؤمن لقاءهما ، وعقد لهما على قومهما • (١)

ولكن العرب لما رأوا أن عبد المؤمن يعتزم فتح المغرب كله بعد أستيلائه على بجايه ، أحسوا بالخطر الذى أصبح يتهددهم • ودعتهم المصلحة المشتركة أن يتناسوا خصوماتهم ، وأن

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ٢٠

يكونوا يدا واحدة ، والعمل على اخراج عبد المؤمن من البلاد قبل أن يرسخ نفوذه ويقوى سلطانه . فاجتمع العرب الهلاليون من كل مكان ، وقالوا أن جاورنا عبد المؤمن أجلانا من المغرب ، وليس الرأى الا القاء الجد معه ، واخراجه من البلاد قبل أن يتمكن (١) .

تحالف العرب من الأثبج ورياح وزغبه وعدى وغيرهم ، وخرجوا بأموالهم ونسائهم ليحاربوا دفاعا عن أعراضهم وأموالهم ، وكان على رأسهم محرز بن زياد بن قادع الرياحى . واتصل خبرهم بالملك روجر صاحب صقلية ، فأرسل الى محرز بن زياد وغيره من أمراء العرب مثل جباره بن كامل ، وحسن بن ثعلب ، وعيسى بن حسن يحثهم على لقاء عبد المؤمن ويعرض عليهم أن يمدهم بخمسة آلاف فارس يقاتلون معهم ، على شرط أن يرسلوا اليهم الرهائن ، لكنهم رفضوا قائلين لانستعين بغير المسلمين (٢) .

سار العرب فى عدد كبير ، وكان عبد المؤمن قد رحل من بجاية الى بلاد المغرب ، فلما بلغه خبرهم ، جهز جيشا يزيد على الثلاثين ألف فارس على رأسه ابنه عبد الله (٣) ، والتقى الجمعان عند سطيف سنة ٥٤٨هـ حيث ظل القتال أربعة أيام ، انتهت بهزيمة العرب

---

(١) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج ١١ ص ١٨٥
ابن خلدون ، " " ، ج ٦ ص ٢٠
(٢) ابن الاثير ، " " ، ج ١١ ص ١٨٥ — ١٨٦
(٣) ابن خلدون ، " " ، ج ٦ ص ٢٠
ابن الاثير ، " " ، ج ١١ ص ١٨٦ ولكنه =

الذين تركوا نساءهم وأموالهم ، فاستولى عليها الموحدون . وقسم عبد المؤمن الأموال على جنده ، ولكنه أمر بالحفاظ على النساء والأولاد وصيانتهم ووكل بهم من يقوم بخدمتهم ، ثم أنزلهم المساكن الفسيحة بمراكش ، وأجرى عليهم النفقات الواسعة . وكان يهدف من ذلك أن يتألف قلوب العرب ، اذ أمر أبنه محمدا أن يرسل الى أمرائهم يعلمهم أن نساءهم وأولادهم تحت الحفظ والصيانة ، ويطلب منهم الحضور ليصحبوا نساءهم وأولادهم ، وأعلمهم أن أباه قد بذل لهم الأمان . فلما وصل كتاب محمد سارع العرب الى مراكش ، حيث أكرمهم عبد المؤمن ، وأعاد اليهم نساءهم وأولادهم ، وبذل لهم الأموال الطائلة ، فاسترق بذلك قلوبهم (١) .

وقد أستعان عبد المؤمن بأمراء العرب فى نقل ولاية العهد من عمر هنتاتى الى محمد بن عبد المؤمن سنة ٥٥١هـ . وذلك أن الاتفاق كان أن يلى عمر ، وهو أحد كبار الموحدين ، الخلافة بعد عبد المؤمن فلما تمكن عبد المؤمن من السلطة وكثر أولاده ، أحب أن ينقل الملك اليهم . فأحضر أمراء العرب الهلاليين ، ووصلهم وأحسن اليهم وأوحى اليهم عن طريق بعض رجاله أن يطلبوا من عبد المؤمن أن يجعل الأمر من بعده لولده . وفعلا فاتحوا عبد المؤمن فى ذلك ، وهو يتأبى اكراما

= يذكر أن الذى كان على رأس جيش الموحدين عبد الله بن عمر الهنتاتى وسعد الله بن يحيى .

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق .

لعمر هنتاتى لعلو منزلته فى الموحدين . فلما علم عمر ذلك ، أدرك حيلة عبد المؤمن وخاف على نفسه ، فحضر الى عبد المؤمن ، وخلع نفسه من ولاية العهد ، فحينئذ بويع لمحمد بولاية العهد (١) .

ولكن بعض قبائل العرب ظلت تقف موقف العداء من الموحدين ، منهم بنو جامع الرياحيين أصحاب قابس . وكان آخر من ملكها من بنى جامع مدافع بن رشيد الذى أبى الدخول فى طاعة عبد المؤمن ، رغم أن عبد المؤمن لاطفه وأستدعاه بأشعار بها الكثير من اللوم والكثير من الأغراء . ولكن مدافع ظل على عناده ، حتى قصده عبد الله بن عبد المؤمن والى بجايه بجيش كبير . وأضطر مدافع الى الهرب مدة ، ثم لحق بعبد المؤمن عندما وصل الى أفريقية لفتحها وأستعادة المهدية من النورمنديين سنة ٥٥٤هـ (٢) ، فقبل عبد المؤمن منه ورضى عنه .

ولما فرغ عبد المؤمن من فتح أفريقيا وطرد النورمنديين ، أخضع العرب هناك لسلطانه ، وأستولى على البلاد التى كانوا متغلبين عليها . ويبدو أنه حاول توزيع العرب الذين تكاثروا هناك ، فى أنحاء المغرب المختلفة فأخذ من كل قبيلة من عرب أفريقية ألفا وأدخلهم الى المغرب بعيالهم (٣) . كما أنه عمل على نقلهم للأندلس ،

---

(١) أبن الأثير ، المصدر السابق ج ١١ ص ٢١١
(٢) التجانى ، " " ص ١٠٠ — ١٠١
(٣) ابن ابى دينار ، " " ص ١١٧

والأستعانة بهم ضد المسيحيين . يقول ابن الأثير (١) ، أن عبد المؤمن لما فرغ من استرداد المهدية من يد النورمان وأراد العودة الى المغرب ، جمع أمراء العرب من بني رياح ، وبيّن لهم أن المشركين قد أستفحل أمرهم في الأندلس ، وأستولوا على كثير من بلاد المسلمين ، وأن العرب هم الند القوى لهم ، وأن بهم فتحت البلاد أول الاسلام ، وبهم يدفع عنها العدو الآن . وطلب منهم عشرة آلاف فارس للجهاد في سبيل الله ، فأجابوه ، وأحلفهم على المصحف وخرجوا معه . ولكنه علم من أحد أمرائهم وهو يوسف بن مالك ، أن العرب كرهت المسير الى الأندلس وقالوا أنما غرضه اخراجهم من بلاده ، ولذلك فلن يفوا بما أقسموا عليه.

وصح ما ذكره يوسف بن مالك ، اذ هرب العرب وتوغلوا في الصحراء ولم يبق مع عبد المؤمن الا يوسف هذا ، لذلك أسماه عبد المؤمن ، يوسف الصادق . وتظاهر عبد المؤمن بالمضى الى المغرب ، ونزل قرب قسنطينة ، حيث ظل مده متجاهلا العرب ، الى أن أمن العرب الهاربون وعادوا الى بلادهم . فأرسل اليهم جيشا قوامه ثلاثون ألف على رأسه ولداه محمد وعبد الله ، وباغتهم جيش الموحدين وحال دون هروبهم الى الصحراء ، وأستولى على أموالهم وحريمهم ، فعاد العرب من رياح والأثبج الى الطاعة ، وأذعنوا للعبور للأندلس . يقول ابن الأثير (١) ، وبقيت أفريقية مع نواب عبد المؤمن آمنة ، ولم يبق منها من أمراء

---

(١) ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ١١ ص ٢٤٦

العرب خارجا عن طاعته الا مسعود بن زمام[١] .

على أن المراكشي[٢] يذكر رواية أخرى تخالف ما ذكره ابن الأثير ،
فيقول أن عبد المؤمن لما أراد العبور الى الأندلس كتب للعرب رسالة
يستنفرهم الى الغزو بجزيرة الأندلس ، وأمر أن تكتب آخرها أبيات من
شعره منها :

أقيموا الى العلياء هوج الرواحل
وقودوا الى الهيجاء جرد الصواهل
وقوموا لنصر الدين قومة ثائر
وشدوا على الأعداء شدة صائل
بني العم من عليا هلال بن عامر
وما جمعت من باسل وابن باسل
تعالوا فقد شدت الى الغزو نية
عواقبها منصورة بالأوائل .

فاستجاب له منهم جمع ضخم . فلما أرادوا الانفصال عن الجزيرة ، رتبهم

---

(١) ذكره التجاني مسعود بن رمان أمير الرياحيين ، وقال أنه ظل مخالفا لبني عبد المؤمن وأنه أنضم الى فتنة قراقوش — أنظر التجاني ، المصدر السابق ، ص ١١٣

(٢) المراكشي ، " " ، ص ٢٩٤ — ٢٩٥

فيها • فجعل بعضهم فى نواحى قرطبة ، وبعضهم فى نواحى اشبيليه مما يلى مدينة شريش وأعمالها • يقول المراكشى « فهم باقون الى وقتنا هذا — وهو سنة ٦٢١ هـ — وقد انتشر من نسلهم بتلك المواضع خلق كثير ، وزاد فيهم أبو يعقوب وأبو يوسف (١) حتى كثروا هنالك ، ففى الجزيرة اليوم من العرب من زغبه ورياح وجشم بن بكر وغيرهم نحو من خمسة آلاف فارس سوى الرجالة » (٢) •

على أن الموحدين واجهوا حركتين خطيرتين ، ظهرتا فى وقت واحد تقريبا • أحداهما جاءت من الشرق من مصر ، وهى حركة قراقوش الأرمنى • أما الأخرى فكان مصدرها جزيرة ميورقة قرب الساحل الشرقى للأندلس ، وتعرف هذه الحركة بثورة أبن غانيه • وقد أنضم كثير من القبائل العربية الى هاتين الحركتين ، وسببوا بذلك للموحدين الكثير من العناء حتى قضوا عليهما •

أما قراقوش الأرمنى فقد كان من مماليك الملك المظفر تقى الدين أبن شاهنشاه أبن أخى صلاح الدين الأيوبى • أما سبب مجيئه للمغرب ، فكما يقول التجانى (٣) أنه كان فى جيش المظفر الذى أرسله صلاح الدين لفتح المغرب فى الوقت الذى أرسل فيه أخاه تورانشاه الى

---

(١) أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ٥٥٨ — ٥٨٠ هـ وأبو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف ٥٨٠ — ٥٩٥ هـ •

(٢) المراكشى ، المصدر السابق ص ٢٩٥ • وجاء فى حاشية الصفحة قول المحقق ، وبعض الأسبان اليوم من بنى هلال بن عامر ، يتصل نسبهم بأبى زيد الهيلالى •

(٣) التجانى ، المصدر السابق ، ص ١١٢

اليمن . ونجح تورانشاه فى حملته على اليمن ، أما المظفر فقد عدل عن غزو المغرب ، حينئذ أنفصل قراقوش بطائفة من الجند وسار الى المغرب يفتح البلاد بأسم صلاح الدين حتى وصل الى طرابلس ، (١) فأجتمع عليه الدبابيون من بنى سليم ، وساعدوه على الاستيلاء على جبل نفوسه (٢) وغنم أموالا طائلة أرضى بها العرب الذين ألتفوا حوله . وقد أتفق أن أمير الرياحيين من بنى هلال ، مسعود بن رمان (زمام) خرج على الموحدين ، فلما سمع بوصول قراقوش أنضم اليه مع رجاله من بنى رياح .

وهكذا قويت شوكة قراقوش وأستطاع الاستيلاء على طرابلس وتونس وغيرها سنة ٥٨٦هـ (٣) ، وأنضمت اليه العرب من كل مكان . ولكن قراقوش كأى مغامر تخبط فى سياسته ، فكان طورا ينضم للموحدين وطورا لبنى غانيه .

أما ثورة أبن غانيه ، فكانت أخطر ، اذ لم يكن هدفها المغامرة مثل قراقوش ، بل محاولة أحياء دولة المرابطين التى أسقطها الموحدون ، والاعتراف بالخلافة العباسية .

وبنو غانيه أصلهم من قبيلة مسوفة ، وكان على بن يحيى المسوفى

---

(١) المصدر السابق ، ص ١١٣
(٢) جبل نفوسه مركز الخوارج الأباضية ويقع جنوبى طرابلس
(٣) التجانى ، المصدر السابق ، ص ١١٣ وص ٢٤٣

مقربا لدى يوسف بن تاشفين أمير المرابطين فزوجه أمرأة من أهل بيته تسمى غانيه (١) ، ولذلك سموا بني غانيه ، وقد حكموا ميورقة والجزائر الشرقية باسم المرابطين • فلما سقطت دولة المرابطين بقي بنو غانيه يدعون لبني العباس دون الموحدين الذين لم يتعرضوا لهم •

فلما أستشهد أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الخليفة الموحدى بالأندلس سنة ٥٨٠ هـ ، طمع بنو غانيه في احياء دولة المرابطين بالمغرب على أعتقاد أن الموحدين ستختلف كلمتهم فيمن يخلف يوسف (٢) •

وقد خرج على بن أسحق أمير ميورقة والجزائر الشرقية من أبناء غانية (٣) في شعبان سنة ٥٨٠ هـ وأستولى على بجاية • يقول المراكشى : " وهذا أول اختلال وقع في دولة المصامدة (الموحدين) لم يزل أثره باقيا الى وقتنا هذا وهو سنة ٦٢١ هـ (٤) " •

وقد انضمت جموع العرب الى على بن غانيه ، وعلى

---

(١) الميلى ، المرجع السابق ، ص ٢٥٣
(٢) المراكشى ، المصدر السابق ، ص ٣٤٥
(٣) غلب عليه اسم الميورقى نسبة الى جزيرة ميورقة
(٤) المراكشى ، المصدر السابق ، ص ٣٤٢ -
ابن خلدون ، " " ، ج ٦ ص ٢٠ ويجمل ابن خلدون دخول ابن غانيه بجايه سنة ٥٨١ هـ

رأسهم القبائل الهلالية جشم ورياح والأثبج ، فى حين أنضمت قبائل زغبه الى الموحديين فى قتالهم ضد ابن غانيه . كما أن قبائل بنى سليم انضمت الى ابن غانيه ، بعد أن كانت فى صفوف قراقوش (١) . ويبدو أن بنى سليم انضموا الى بنى غانيه نتيجة اتصال على بن غانيه بهم ، اذ يقول التجانى (٢) : « ومما كتب به الميورقى الى العرب يذكرهم الرحم الذى بينهم وبينه ، لأنه وأياهم من سليم (٣) ، ويعيرهم انقيادهم لقراقوش ويستدعيهم للوصول الى حضرته .

يا أيها الراكب السارى لطيته
على عذافره تشقى بها الأكم

بلغ سليما على بعد المزار لها
بينى وبينكم الرحمن والرحم

ياقومنا لا تشبوا الحرب ان خمدت
واستمسكوا بعرى الأيمان واعتصموا

يقود هم أرمنى لا خلاق له
كأنه فيهم من جهلهم علم

---

(١) أنظر ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٦ ص ٢١
(٢) التجانى ، « « ، ص ١١٤ ــ ١١٥
(٣) لاشك أن هذا ادعاء باطل ، فبنو غانيه من البربر

الله يعلم أنى ما دعوتكم

دعاء ذى ثورة يوما فينتقم

ولا لجأت لأمر يستعان به

من الأمور وهذا الحق قد علموا

لكن لأمر رسول الله عن رحم

يمس اليه وترعى تلكم الذمم

فان أتيتم فحبل الود متصل

وان أبيتم فعند السيف نحتكم

وقد رأى أبو يوسف يعقوب المنصور خليفة الموحدين أن يفرق شمل القبائل العربية التى اشتركت فى ثورة ابن غانية ، فنقل جشم وبطونا من رياح الى المغرب الأقصى ، وأنزل زغبة حلفاء الموحدين فى المغرب الأوسط (١) • كما استظهر الموحدون بالكعوب من بنى سليم وشجعوهم على طرد الزواودة من بنى رياح من ضواحى أفريقية • وأصبح الكعوب أولياء الدولة ، فأقطعتهم ما شاءوا من الأعمال والخراج ، وأسكنوهم المنطقة من قابس الى باجة (٢) •

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٤٠
(٢) " " ، " " ، ج ٧ ص ٢٣

ولقد استمرت ثورة ابن غانيه التى تولاها على ثم أخوه يحيى من بعده ، نصف القرن جابوا فيها أنحاء المغرب بين نصر وهزيمة . ولقد بلغ من خطورة هذه الثورة ، وخاصة بعد انضمام قراقوش الأرمنى اليها ، أن خرج الخليفة المنصور بنفسه لمواجهتها سنة ٥٨٦ هـ ، وتمكن من هزيمة يحيى ابن غانيه الذى تولى الأمر بعد مقتل أخيه على وأستولى على قابس وطرابلس (١) .

ولكن ابن غانيه ما لبث أن جمع قواته وأنضمت اليه جموع العرب وأستولى على المهدية وتونس سنة ٥٩٧ هـ ، وأمتد سلطانه على القيروان وبلاد الجريد وصفاقس وقابس وطرابلس ، وخطب للعباسيين فى هذه الجهات حتى اضطر الناصر محمد بن يعقوب (٥٩٥ ـ ٦١٠ هـ) الى الخروج اليه بنفسه والحق به هزيمة منكرة عند القيروان سنة ٦٠١ هـ (٢) وهرب ابن غانيه الى صحراء برقه ، ولكنه ما لبث أن عاد الى طرابلس حيث اجتمعت عليه العرب من بنى هلال وبنى سليم .

وكان الناصر قد عين على ولاية أفريقية أبا محمد عبد الواحد بن أبى حفص سنة ٦٠٣ هـ ، وبدأ بذلك عهد جديد اذ أستقل الحفصيون

---

(١) الزاوى ، تاريخ ليبيا ، ص ٣٢٠ .
(٢) التجانى ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

بأمر أفريقية ، وقامت الدولة الحفصية فى عهد ابنه أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد سنة ٦٢٥ هـ • وقد أهتم عبد الواحد وابنه يحيى بالقضاء على هذه الثورة وبعد معارك عديدة تمكن أبو زكريا يحيى من أن يلاحق يحيى بن غانيه حتى أستطاع القضاء على ثورته سنة ٦٣١ هـ •

أما فى المغرب الأقصى فقد كانت قبيلة جشم التى نقلها المنصور الى منطقة تامسنا قد أصبحت هناك ذات عدد وقوة • وكان شيخ الخلط أحد بطون جشم وهو هلال بن حميدان فلما ولى العادل عبد الله بن المنصور يعقوب (٦٢١ ـ ٦٢٤ هـ) ثاروا ضده وهزموا جيوشه التى جردها عليهم ، وبعث هلال بن حميدان ببيعته الى المأمون أدريس بن المنصور سنة ٦٢٥ هـ ، وكان هذا سببا فى تمكن المأمون من أعتلاء عرش الخلافة • وظل هلال فى ولائه للمأمون ومن بعده لابنه الرشيد (٦٣٠ ـ ٦٤٠ هـ) فى حين تحيز أعداؤهم سفيان وهم بطن آخر من جشم الى يحيى بن الناصر منافسه على الخلافة ولذلك قرب الرشيد الخلط وأباح لهم ديار سفيان (١) •

ولكن لما توفى هلال وخلفه أخوه مسعود ، انتقض

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ٢٩ •

على الرشيد وأنضم الى حركة عمر بن أوقاريط أحد قادة الموحدين . ولكن الرشيد تمكن بالحيلة من استقدامه الى مراكش هو وجماعة من قومه ، ثم قتلهم سنة ٦٣٢ هـ . ودعا ذلك الى قيام قومه بمعاضدة لبن أوقاريط ويحيى بن الناصر وتمكنوا من أحتلال مراكش وعاثوا فيها ، الى أن تمكن الرشيد من استعادتها سنة ٦٣٣ هـ وقضى على نفوذهم بعد قتل مشايخهم (١) . كما تمكن الرشيد أيضا من اخضاع بني جابر من جشم ، وكانوا قد أنضموا الى فتنة يحيى بن الناصر . وقد اضطروا الى الألتجاء الى سفح الجبل بتادلا وما اليها ، حتى يأمنوا على أنفسهم من هجمات الموحدين (٢) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٠

(٢) " " ، ص ٣٠ ـ ٣١

العلاقة مع الحفصيين والمرينين والزيانيين :ــ

بأنهيار دولة الموحدين ، انقسمت دولتهم الواسعة في المغرب بين ثلاث دول بربرية مستقلة ، هي بنو حفص في أفريقيا ، وبنو عبد الواد الزيانيين في المغرب الأوسط ، وبنو مرين في المغرب الأقصى .

وقد وجد العرب في هذا الأنقسام السياسي الجديد فرصتهم التي أفتقدوها طويلا منذ قيام دولة الموحدين . فهذه الدول كانت في صراع فيما بينها ، الى جانب الفتن الداخلية في سبيل الوصول الى السلطة ، وهذا الصراع وهذه الفتن جعلت حاجة ملوك تلك الدول ماسة الى مناصرة القبائل العربية . الا أنه في أوقات أخرى كانوا يضطرون للوقوف أمام أطماع هذه القبائل .

وهكذا تذبذبت سياسة هؤلاء الملوك حيال العرب ، فطالما كانت الحاجة اليهم ، أقطعوهم الأراضي ، وأوكلوا اليهم جباية القبائل المستضعفة بل وربما صاهروهم وجعلوا منهم مستشارين لهم . أما اذا وجدوا في أنفسهم القوة ، أو وجدوا من العرب تماديا أنقلبوا عليهم .

وعاملهم العرب بنفس الأسلوب ، فهم يخلصون لهم اذا كان في ذلك مصلحتهم ، ويعاونونهم على أعدائهم في الداخل أو الخارج .

وقد يدبسرون ضدهم القلاقل ، اذا أضطروا لذلك ـ وأعانوا الخارجين عليهم . ولقد أحسن العرب الاستفادة من هذه الظروف ، وعملوا على توسيع مجالات اقامتهم وزيادة نفوذهم . وأصبحت القاعدة بينهم أن يفترقوا بين هذه القوى حسب مصالحهم ، لا مصالح هذه الدولة أو تلك .

لما أستقل ابو زكريا يحيى بن عبد الواحد بحكم أفريقية سنة ٦٢٥هـ عن الموحدين ، رأى أن يضرب العرب بعضهم ببعض ، وأن يفرق بينهم . ولما كانت بنو عوف ، من بنى سليم ، قد أنضمت الى أبى زكريا وأبيه عبد الواحد من قبله ، فى محاربة أبن غانيه ، فى حين كانت رياح الهلالية من أنصار أبن غانيه ، لذلك أصطنع أبو زكريا عوفا على رياح ، حتى أخرجتهم من مواطنهم . ومع ذلك عمد أبو زكريا فى الوقت نفسه الى بث بذور الشقاق بين بطون بنى عوف وهم مرداس وعلاق (١) .

وقد حاول الحفصيون أن يحاصروا رياحا من الناحية الغربية كما حاصروهم من الشرق ببنى عوف . لذلك أقطعوا قبيلة كرفه من الأثبج منطقة بادس والزاب الشرقى وجباية أوراس الشرق . ولكن كرفه أكتفت بالمحافظة على اقطاعها ، ولم يجد الحفصيون فى بقية بطون

---

(١) التجانى ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

الأثبج من يستطيع مقاومة رياح ، بل أن الأثبج عجزوا عن الظعن وأقاموا بالمدن وأصبحوا من جملة الرعايا[١] .

هذا فى الوقت الذى غلبت فيه رياح على منطقة الهضاب والصحارى جنوبى قسنطينة ، وأمنوا سطوة الدولة لبعدهم عن العاصمة ، وقوى أمرهم واثروا وأصبحت مناطقهم مأوى للخارجين على الدولة والساخطين عليها . وكانت الدولة تضطر لشن حملات التأديب عليهم . ففى سنة ٦٦٦هـ خرج المستنصر أبو عبد الله محمد ابن يحيى وأوقع ببنى رياح لمبايعتهم أخاه ابراهيم ، وقبض على جماعة من رؤسائهم ، فضربت أعناقهم وبعث الى تونس برؤسهم على أسنة الرماح[٢] ، وذلك لمبايعتهم أبن عمه أبا القاسم أبن عبد الرحمن .

واضطر بنو رياح الى الألتجاء الى يغمراسن بن زيان (٦٢٣ ــ ٦٨١ هـ) أول ملوك بنى زيان بتلمسان ، فأمدهم بالمال والخيل والأبل والسلاح ، فأستطاعوا مرة أخرى أن يتقدموا الى الزاب وملكوا جبل أوراس ، وأضطرت الدولة الحفصية الى مهادنتهم ، وأقطعهم السلطان أبو أسحق ابراهيم بن أبى زكريا

---

(١) الميلى ، المرجع السابق ، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥ .
(٢) أبن أبى دينار ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ .
أبن خلدون ، " " ، ج ٦ ص ٣٣ .

يحيى (٦٧٨ ـ ٦٨٣ هـ) ما غلبوا عليه (١) .

ومع ذلك لم يسكن الرياحيون الى الطاعة ، بل أن مرغم ابن جابر الرياحى آزر ثورة الدعى (٢) ، والتفت العرب حوله وبايعوه بأسم الفضل بن الواثق . وعظم أمر هذا الدعى فى سنة ٦٨١ هـ حتى أخذ يستولى على البلاد ، وهزم جيشا أرسله أبو أسحق ابراهيم وعلى رأسه ابنه عبد الواحد ، وأضطر أبو أسحق أن يخرج بنفسه لملاقاة الدعى عند المهدية . ولكن أنصاره أنفضوا من حوله فهرب الى بجاية ، ودخل الدعى تونس وخطب له على منابر أفريقية . ولكنه كان سفاكا للدماء وتمادى فى جوره ، حتى مقته الناس والجند (٣) .

انتهز العرب فرصة هذه الفوضى ، وأستبدوا بالبلاد

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٣٣ ـ ٣٥ .

(٢) هو احمد بن مرزوق بن أبى عمارة المسيلى ، أحترف مهنة الخياطة فى بجاية ، ثم أدعى أنه يحيل المعادن الى الذهب كيماوية ، وأخذ يتنقل فى البلاد حتى وصل طرابلس . وهناك قابل نصيرا مولى الواثق يحيى بن محمد المستنصر (٦٧٥ ـ ٦٧٨ هـ) ، وكان الواثق قد خلعه عن العرش عمه ابراهيم بن يحيى ثم قتله وأجرى مذبحة فى قصره لم ينج منها الا نصير هذا . ووجد نصير فى أحمد ابن مرزوق الذى أشتهر بأسم الدعى ، شبها من الفضل أبن مولاه الواثق . وأتفق الأثنان على الخروج على ابراهيم ، وأدعى نصير أنه الفضل أبن الواثق .

(٣) ابن أبى دينار ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ ـ ١٤٠ .
ابن خلدون ، " " ، ص ٣٠٢ وما بعدها .
العامرى ، المرجع السابق ، ص ٨٢ ـ ٨٤ .

وأستولوا على القرى ، وتمزق شمل الدولة • ولكن الأمور لم تطل بالدعى ، اذ أنكشف أمره ، والتف الناس حول الأمير أبى حفص عمر بن محمد المستنصر ، الذى كان ملتجأ الى قلعة سنان (١) • وأستطاع عمر أن يدخل تونس سنة ٦٨٣ هـ وقتل الدعى وأعاد السلطة للحفصيين مرة أخرى (٢) • ولكن حدث فى عهده أن أنقسمت دولة الحفصيين الى دولتين ، شرقية وغربية ، اذ أستبد بالأجزاء الغربية أبو زكريا يحيى بن ابراهيم ، فى حين ظل القسم الشرقى تحت حكم أبى حفص عمر •

وأستغل العرب هذا الأنقسام وما جره من ضعف للدولة ، فأمتلكوا البلاد التى تقع جنوب تونس مباشرة ، اذ يذكر التجانى (٣) ، أنهم بعد أن خرجوا من تونس بدءوا عند وصولهم باشو ، وهى لا تبعد كثيرا عن تونس ، بالسلوك فى منازل العرب المتولين لأرض أفريقية ، ونراه فى كل رحلته فى هذه الأقاليم الممتدة حتى طرابلس شرقا وبلاد الجريد غربا ، يذكر العرب المسيطرين على كل جزء منها وكلهم من سليم •

ويصف العبدرى الذى زار افريقية سنة ٦٨٨ هـ ، أى قبل رحلة

---

(١) قلعة قريبة من مدينة قساله •
(٢) أبن أبى دينار ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ •
العامرى ، المرجع السابق ، ص ٨٦ •
(٣) التجانى ، المصدر السابق ، ص ١٥ •

التجانى بحوالى العشرين عاما ، حالة البلاد ، وسطوة العرب على الدولة الحفصية ، فيقول « ولا يعدم من عربانها ايلام خاطر ولقد استوى لديهم الصالح والطالح ، واتفق فى مذاقهم بكفرهم ونفاقهم كل عذب ومالح ، اتخذوا أخذ الحاج خلقا ودينا ، واعتقدوا هلاكه ملة ودينا ، فما عندهم طعمة أحلى من مال اليتيم فى الولى الفاجر اللئيم » وجاء فى وصفة لمدينة باجة « أن أهلها لا يفارقون السور خوفا من العربان ، وأنهم يستعدون لدفن الجنائز . كما يستعدون يوم الضرب والطعان » .(١)

ولم يكتف العرب بذلك ، بل أخذوا يغيرون على أطراف العاصمة ، وخاصة قبائل الكعوب من بنى سليم الذين أكثروا من مضايقاتهم للأهالى بل وحاولوا مبايعة أحد أحفاد بنى عبد المؤمن سلطانا على تونس ، فأخفقوا وقبض على بعض زعمائهم . فلجأ عرب الكعوب الى خالد بن أبى زكريا المستقل بالقسم الغربى ، ومكنوه من الاستيلاء على تونس سنة ٧٠٩ هـ .(٢)

---

(١) العبدرى ، رحلة العبدرى ، ص ٣٥ ، ٣٨
وباجة : مدينة شمال سوسة .
(٢) ابن أبى دينار ، المصدر السابق ، ص ١٤٣ .
الزاوى ، المرجع " ، ص ٣٤١ .
حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضى والحاضر . ص ١٥٥ .
العامرى ، المرجع السابق ، ص ٨٩ .

ولكن فى هذه الأثناء أستطاع شيخ الموحدين[1] أبو يحيى زكريا أبن أحمد اللحيانى[2] ، الذى كان فى طريق عودته من الحج ، الاستقلال بطرابلس ، وأنضم اليه الكثير من العرب الذين بايعوه بالأمارة . وتقدم أبو يحيى الى تونس ودخلها بعد أن خلع خالد بن أبى زكريا نفسه سنة ٧١١هـ . وقد اضطر أبو يحيى أن يتألف العرب حتى يتقوى بهم ضد أطماع أبى بكر بن أبى زكريا أخى خالد والذى كان مستوليا على القسم الغربى . لذلك قرب العرب وأباح لهم التصرف فى البلاد ، وأقطعهم اياها اقطاعات[3] . ومع ذلك لم يتمكن من الوقوف أمام أبى بكر ، ففر من تونس وأستولى عليها أبو بكر سنة ٧١٨هـ[4] . وقد تمكن أبو بكر من أنزال الهزائم بالعرب ودانت له البلاد[5] .

---

(١) شيوخ الموحدين لقب يطلق على طبقة الموحدين ، وهم أفراد الطبقة الممتازة فى دولة الموحدين ثم الحفصيين ، وهم أهل الشورى . ورئيسهم يطلق عليه « شيخ الموحدين » وكانت نيابة الملك مقصورة عليه . أنظر العامرى ، المرجع السبق ص ٢٠

(٢) ولد أبو يحيى فى تونس سنة ٦٥١هـ وأمه مسيحية تسمى محرم ، وكان عالما محدثا كاتبا شاعرا . أخذ فى صغره بالمشرق عن علماء مشهورين منهم شيخ الأسلام ابن تيمية . ولما أستولى على السلطة أسقط من الخطبة اسم المهدى الموحدى التى جرت بها عادة الحفصيين وأستبدلها بأسم محمد بن قلاوون سلطان مصر لما كان بينه وبين هذا السلطان المملوكى من الولاء والمجاملة . وقد رحل أبو زكريا بعد هروبه من البلاد الى الاسكندرية حيث توفى بها فى المحرم سنة ٧٢٧هـ وقد جمع ديوان شعره مدة اقامته بمصر كما ألف خطبا للجمعة أسماها روضات الجنات . أنظر رحلة التجانى ، ص ٢٧ م .

(٣) العامرى ، المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٤) الزاوى ، " " ، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٤ .
العامرى ، " " ، ص ٩١ .
حسن سليمان محمود ، المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

(٥) أبن أبى دينار ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ . ويذكر أنه بويع سنة ٧١٠هـ

ولما توفى أبو بكر سنة ٧٤٧هـ دخلت البلاد فى فترة أضطرابات جديدة ، اذ أستولى على السلطة أبنه عمر دون أخيه أبى العباس الذى كان ولى عهد أبيه . لذلك جمع أبو العباس العرب وزحف الى تونس وبعد أحداث أضطر أبو العباس للهرب ، وقامت العامة فى تونس على من بها من العرب ، فلم يفلت منهم الا القليل .(١)

ولجأت العرب الى بنى مرين أصحاب المغرب الأقصى ، وأغروا أبا الحسن على ابن أبى يوسف بن عبد الحق المرينى ورغبوه ، فى الأستيلاء على أملاك الحفصيين ، وعاونهم فى ذلك أبن تافراجين وزير السلطان أبى حفص . فتحرك أبو الحسن من المغرب ، وأجتمعت عليه الأعراب ، وتقدم نحو تونس مكتسحا المغرب كله حتى دخل تونس سنة ٧٤٩هـ بجيوش لا تحصى .(٢)

ولكن العرب سرعان ما ندموا على أنضمامهم لأبى الحسن ، لأنه ما أن تمكن من البلاد حتى أستولى على الاقطاعات التى كانت بأيدى العرب ، ومنع الأعطيات التى كانت مفروضة لهم ، وحرم عليهم أخذ الأتاوات من الناس . بل أنه أخذ فى الضرب على أيديهم ، ويحاسب رؤساءهم على ما قد تشنه أعراب البادية من غارات على الأطراف . فأستكان العرب على مضض ، وهم يحاولون انتهاز الفرصة

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٥ .
(٢) " " ، ص ١٤٦ .
ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٣٥٨ .

للانقضاض عليه ، حتى نجحوا فى ذلك واضطروه آخر الأمر الى الفرار الى المغرب . وعادت الدولة الحفصية سنة ٧٥٠ هـ ، بدخول الفضل بن أبى يحيى بن أبى بكر ، تونس وأعاد سلطان الحفصيين .(١)

وبلغ سلطان العرب فى دولة الفضل درجة كبيرة ، اذ ركن الى الراحة واللهو ، واحتوت العرب على دولته ، وشاركته فى الديوان وأكثروا فى مطالبهم . وبلغ الفساد أن أخذ العرب البرطيل (الرشوة) على تولية الشهود . ورغبة فى أن يطول ملكه ، زوج الفضل أخته لأبى الليل بن حمزة زعيم أولاد أبى الليل للاستظهار بهم ، يقول ابن أبى دينار(٢) " ولم يسبقه أحد لذلك "

ومع ذلك لم يطل به الأمر ، اذ قامت ضده ثورة قتل فيها ، وتولى الأمر أخوه أبو اسحق ابراهيم سنة ٧٥١ هـ ، الذى استخلص قواعد البلاد من أيدى العرب مثل قرطاجنة والقيروان وسوسه وباجه والأربس وجعلها فى أيدى أوليائه .(٣)

وفى عهد أبى اسحق هذا ، تمكن السلطان المرينى أبو عنان فارس بن على (٧٤٩ – ٧٥٩ هـ) أن يستولى على تونس سنة ٧٥٨ هـ . ولكن العرب شمروا مرة أخرى بالخطر

---

(١) ابن أبى دينار ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ – ١٤٨ .
ابن خلدون ، " " ، ص ٣٥٩ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) " " ، ص ١٤٩ .

المريني على نفوذهم ، فأجتمعوا حول أبي أسحق ابراهيم والتقوا بالجيش المريني عند تبسه (١) ، فأضطر المرينيون للهروب عائدين الى المغرب ، وفشلت بذلك الحملة المرينية الثانية على الدولة الحفصية (٢) .

أما في المغرب الأقصى ، فقد كانت بطون جشم وبطون رياح التي نقلهم الموحدون الى هناك ، قد أستغلوا ضعف دولة الموحدين ، فسيطروا على هذه الجهات . فلما قامت دولة بني مرين على أنقاض الموحدين لم تكن في هذه الجهات كما يقول أبن خلدون حامية أشد من جشم ورياح بأسا ، لذلك أضطرت الدولة الى العمل على أخضاعهم ، فكانت بينهم وقائع تمكن بعدها بنو مرين من اخضاعهم والزامهم بالطاعة . ثم قربهم المرينيون حتى أصهروا اليهم ، فقد تزوج السلطان يعقوب بن عبد الحق (٦٥٧ – ٦٨٥ هـ) أبنة مهلهل بن يحيى بن مقدم شيخ الخلط أحد بطون جشم ، وأنجب منها أبنه أبا سعيد عثمان الذي تولى السلطة (٧١٠ – ٧٣١ هـ) . وظل الخلط بذلك مقربين من المرينيين ، حتى أن السلطان أبا الحسن علي بن عثمان أرسل شيخ الخلط عطيه بن مهلهل سفيرا الى سلطان مصر الملك الناصر (٣) .

---

(١) مدينة على الحدود بين الجزائر وتونس حاليا .
(٢) العامري ، المرجع السابق ، ص ١١٠ – ١١١ .
(٣) أبن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٣٠ .

أما بنو جابر من جشم ، فقد رأينا أنهم قد التجأوا الى سفوح الجبال هربا من سطوة الموحديين ، وبذلك أصبحوا ملجأ لكل ثائر على سلطان المرينيين وكانت الدولة تحاول موادعتهم حينا ومحاربتهم حينا (١) .

أما بنو زيان فعندما قامت دولتهم فى المغرب الأوسط ، كانت زغبه قد تغلبت على نواحيه هى وعرب المعقل . ولكن بنى عبد الواد تمكنوا من زحزحة العرب وألجائهم الى الصحراء ، وملكت الدولة عليهم التلول والأراضى الخصبة ، فضعف أمرهم حتى دفعوا الأتاوة والصدقة . وظلوا هكذا حتى وهن أمر الدولة وقامت فيها الفتن الداخلية ، عندئذ أصبحت مناطق العرب الملجأ لكل خارج على الدولة ، وقاموا بقطع الطريق واثارة الفتن ، وتغلبوا مرة أخرى على التلال وأقطعتهم الدولة الكثير من نواحى المغرب الأوسط وأمصاره حتى تستظهر بهم (٢) .

لما ملك يغمراسن بن زيان تلمسان ونواحيها (٦٣٣ ـ ٦٨١ هـ) كان عرب المعقل قد كثر عبثهم وفسادهم فى مناطق تواجدهم ، فعمد يغمراسن الى جلب بطون بنى عامر بن زغبه من الصحراء وأنزلهم بجواره فى صحراء تلمسان كيدا للمعقل

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣١ .
(٢) " " ، ص ٤٠

ومزاحمة لهم ، ثم تحتهم بعض بطون بنى يزيد بن زغبة (١)

كما أن بنى عبد السواد وجدوا بطون حصين بن زغبة يزعجون الأهالى ويأخذون منهم الأتاوات فأخضعوهم لسلطانهم أو كما يقول ابن خلدون (٢) " ساموهم خطة الخسف والذل ، والزموهم الوضائع والمغارم ، وأستلحموهم بالقتل وهضوهم بالتكاليف وصيروهم فى عداد القبائل الغارمة " . ولقد بلغت حروب يغمراسن مع العرب أثنين وسبعين حربا (٣) .

ولما ملك أبو حمو موسى بن يوسف (٧٦٠-٧٩١ هـ) وأستعاد سلطان بنى زيان من بنى مرين (٤) ، نازعه فى الملك ابن عمه أبو زيان الذى لجأ الى قبائل حصين هؤلاء ، فتلقوه بالترحاب وبايعوه ، وراسلوا أخوانهم من رؤساء زغبة لنصرته ، فأجتمعوا عليه . ودارت المعارك بينهم وبين أبى حمو حتى قتل . وبذلك كما يقول أبن خلدون هبت ريح العز للعرب ، ونالوا ماأرادوه من الأعتزاز على الدولة ، وتملكوا البلاد وأقطعوها فيما بينهم (٥) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤١ - ٤٢

(٢) " " ، ص ٤٣ .

(٣) الميلى ، المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .

(٤) كان السلطان أبو عنان فارس المرينى قد أستولى على تلمسان سنة ٧٥٣هـ ولكن أبا حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن ابن يحيى يغمراسن أستطاع استردادها مرة اخرى سنة ٧٦٠هـ وأعاد سلطان بنى زيان .

(٥) أبن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٤٣ ، ٤٨ .

أما بطون سويد بن عامر بن مالك بن زغبه فقد كانوا كما يقول أبن خلدون أخص بحلف بني عبد الواد وولايتهم من سائر زغبه ، حتى لقد أقطع يغمراسن ، يوسف بن مهدى أحد زعمائهم بلاد البطحاء وسيرات ، وأقطع زعيما آخر منهم هو عنتر بن طراد أبن عيسى بسوارى البطحاء . فكانوا يفرضون الأتاوات على الرعايا ، ولا تنكر الدولة عليهم ذلك ، بل أنه كان يستخلف أحيانا على تلمسان اذا خرج منها لبعض شأنه ، عمر بن مهدى أحد زعماء سويد .(١)

ولكن سرعان ما قامت الفتنة بين بطون سويد ويغمراسن ، وفيها قتل عمر بن مهدى ، وأضطرت سويد الى الألتجاء للصحراء المجاورة لأوطان بني توجين وصاروا (٢) حلفا معهم على بني عبد الواد . أما من عجز منهم عن الظعن ، وضعت عليه الأتاوات والمغارم وصاروا فى عداد الرعايا أهل الجباية .(٣)

أما بنو عامر بن زغبه ، فقد نقلهم يغمراسن الى قرب تلمسان ليكونوا بينها وبين المعقل ، ولكن العلاقات سرعان ما ساءت بين عثمان بن يغمراسن (٦٨١ — ٧٠٣ هـ) وبين داود بن عطاف شيخ بني عامر

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(٢) بنو توجين قبيلة بربرية كانت دائمة الخلاف على الدولة وتكررت فتنهم ومواطنهم جنوب المغرب الأوسط ومه القلاع الحصينة — أنظر الميلى ، المرجع السابق ص ٣٥٠ ، ٣٧١ .

(٣) أبن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .

بن زغبه ، وذلك أن داود أجار الأمير أبا زكريا أبن السلطان أبى أسحق الحفصى حين فر من تلمسان معتزما التوجه الى تونس للخروج على الخليفة الحفصى . وكان بين عثمان بن يغمراسن وبين الخليفة الحفصى ولاء ، فأراد اعادة أبى زكريا ، فأبى داود أن يسلمه ورحل معه حتى لحق بالزواودة . وأستطاع أبو زكريا بمعاونة العرب الأستيلاء على بجاية وقسنطينه ، وأقطع داود الأقطاعات مكافأة له (١) .

أما ذوو عبيد الله من المعقل فكانت بينهم وبين بنى عبد الواد وقائع كثيرة ، وكان يغمراسن كثيرا الايقاع بهم ، حتى دانوا له بالطاعة ، وأعطوا الصدقة وأصبحوا جندا للدولة فى حروبها . وظلوا كذلك حتى ضعفت بنو عبد الواد فعاد ذوو عبيد الله وأستوطنوا التلول ، وتملكوا الأقطاعات وفرضوا الأتاوات ، ثم أتصلوا بخدمة السلطان أبى الحسن المرينى عندما تغلب على تلمسان (٢) .

من هذا العرض ، نلاحظ أن الأوضاع فى المغرب بأقسامه الثلاثة كانت تزخر بالكثير من التقلبات ، نتيجة أستناد دوله الى القبائل العربية . وكانت هذه الدول تنظر الى العرب كقوى يمكن شراؤها وأستخدامها ضد بعضها البعض . وأنتهز العرب الفرصة وأستغلوها لمصالحهم الخاصة ، فأستولوا على كثير من البلاد

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥١ .
(٢) " " ، ص ٦١ .

وأقاموا بها ما يمكن أن نسميه دويلات عربية مستقلة ، كما هيمنوا على الضواحى ، وتحكموا فى الطرق وفرضوا الأتاوات ، وأصبحوا قوة تقرر مصير الحرب ، وتضمن النصر لهذا الفريق أو ذاك .

. . . .

. . . .

. . . .

. .

.

الفصل الرابع

أثر الغزوة الهلالية على بلاد المغرب

- الأثر السياسى.
- الأثر الاقتصادى والاجتماعى.
- الأثر اللغوى والأدبى.

الأثـر السـياسـى :ـ

كان لغـزو العرب للمغرب آثـار سـياسـية خطـيرة ،ولقـد بدأت هذه الآثـار منذ الوهلة الأولى لقـدم العرب ، ثم استمرت بعـد ذلك باستمرار تواجدهم ، وتغير مواطنهم ، وتقلب الأحـداث • لذلـك لم تتوقف النتائج السياسية لغزوة بنى هـلال وبنى سـليم عند حد أو زمـن فهم قـد أصـبحوا جزءا من شـعوب المغرب ، يؤثرون فى أحـداثه ، ويتأثرون هم أيضا بأحداثه وينتج من هذا التفاعل آثـار متجددة لها خطورتها ليس فى تاريخ المغرب الاسـلامى فقط ، بل وفى تاريخ العالم الاسـلامى كلـه •

أرسـل الفاطميون العرب انتقاما من المعز بن باديس ، وسـارع الهلاليون الى أفريقيـة طلبـا للمغـنم ، لا حبـا فى الفاطميـين ولا فـى مذهبهم • فهم كانوا أنصارا للقرامطـة من قبـل لا تأييدا لمبادئهم ، ولكن طمعا فى ما يجره عليهم ذلك من مصـالح •

ونلاحظ أنه عندما وصل العرب الى برقـة ، وجدوها بلادا كثـيرة المرعى خالية من السكان لأن المعز بن باديس كان قد أبـاد أهلها من زناته، فأسـتقر بها العرب ، وأقاموا هناك مدة ، وتوافدت عليهم جمـوع من اخوانهم فهم لم يبدءوا المعز بن باديس بالشـر ، حتى أنه حـاول أن يجعل منهـم جنـدا له ، وأكـرم زعماءهـم • الا أن موقـفه حيـال مؤنس بن يحيـى

المرداسي واتهامه والقبض على أسرته ، كان الخطأ القاتل . فقد حمل ، بسوء سياسته العرب على تنفيذ مارسمه لهم الفاطميون ، وأوقعوا بالمعز الهزائم وأستولوا على البلاد ، وحصروه في المهدية .(١)

نجح الفاطميون في الأنتقام من المعز ، ولكنهم لم يستفيدوا كثيرا من ذلك ، اذ أن مصر دخلت بعد مقتل اليازوري في فترة من الاضطرابات وقيام الفتن بين فرق الجيش ، وتعرضها لمجاعة طاحنة استمرت سبع سنوات عرفت بالشدة العظمى . وأخذت مصر تهتم بمشاكلها الداخلية أكثر من أهتمامها بعلاقتها مع المغرب .(٢)

ولكن المعز بن باديس هو الذي بدأ خطوة عودة العلاقات مع مصر ، خاصة بعد اختفاء عدوه اليازوري . يقول المقريزي في أحداث سنة ٤٥٢هـ ، وفيها قدمت هدية للمعز بن باديس فقومت بأربعين ألف دينار ، فيها ورقة مرصعة بالجوهر كانت للمهدي (٣) .. وحذا ابنه تميم حذوه وعاد الى استعمال السكة الفاطمية ، فبدأت السكة بأسم المستنصر بالله الفاطمي تظهر في المهدية من جديد منذ سنة ٤٥٤هـ (٤)

---

(١) أنظر تفاصيل ذلك في الفصل الثاني .
(٢) أنظر المناوي ، الوزارة والوزراء ، ص ١٤٦ و ص ١٩٢ .
(٣) أنظر المقريزي ، المصدر السابق ، ص ٢٦١
والمهدي : هو عبيد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين في المغرب سنة ٢٩٧ - سنة ٣٢٢ هـ
(٥) ماجد ، المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

وفى عهد يحيى بن تميم (٥٠١ – ٥٠٩ هـ) ، وابنه على بن يحيى (٥٠٩ – ٥١٥ هـ) ، تبودلت الهدايا بين القاهرة والمهدية اذ يذكر ابن عذارى « وفى سنة ٥٠٥هـ وصل سوار رسول صاحب مصر بهدية الى أمير أفريقية يحيى بن تميم ، فتلقاه بغاية الاكرام والاهتمام ، وأقام عنده حتى صرفه ، وأصحبه من الذخائر والألطاف مالا يحيط به الوصف » . كما أورد ابن عذارى أيضا فى أحداث سنة ٥١١هـ عن وصول رسول الخليفة الفاطمى بهدية الى المهدية (١) .

وقد أورد التجانى فى رحلته (٢) أن أسطول رودجر صاحب صقلية هاجم ميناء المهدية غدرا فأخذ منه مركبا كان الحسن (٣) قد أحتفل فيه وشحنه بذخائر ملوكية ليوجه بها الى الحافظ (٤) العبيدى صاحب مصر ، وكان ذلك المركب يسمى بنصف الدنيا » .

ولما هاجم النورمان المهدية سنة ٥٤٣هـ ، فكر الحسن فى الالتجاء الى الخليفة الحافظ بالقاهرة ، والذى كان حسن يخطب

(١) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٣٠٢ و ص ٣٠٧ .
ابن خلدون ، " " ، ج ٦ . ص ١٦٠ – ١٦١ .
(٢) ص ٣٤٠ .
(٣) هو حسن بن يحيى بن على بن تميم بن المعز بن باديس ، تولى سنة ٥١٥هـ وفى عهده ، أستولى النورمان على عاصمته المهدية سنة ٥٤٣هـ وانقرضت بذلك دولة بنى زيرى . وقد أسترد عبد المؤمن بن على الخليفة الموحدى المهدية سنة ٥٥٥هـ .
(٤) هو الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر تولى الخلافة من سنة ٥٢٤ – سنة ٥٤٤ هـ . وفى =

بأسمه فى بلاده ، ولكنه عدل عن ذلك خوفا من النورمان فلجأ الى بجاية[1] .

وهكذا نرى أن بنى زيرى عادوا الى الولاء للفاطميين ، ولكن بسقوط دولتهم أنقطعت صلة المغرب بمصر نهائيا ، كما شغلت مصر بدورها بمشاكل المشرق الاسلامى وتهديدات الصليبيين لها .

من أهم نتائج الغزو الهلالى للمغرب أيضا ، أتجاه ملوك بنى زيرى الى البحر ليكون مجال نشاطهم ، مما أدى الى صراع مع النورمنديين . فقد وجد تميم بن المعز انحسار دولته لتشمل شريطا على ساحل أفريقية ، بعد أن أستولى العرب على معظم مدنها الداخلية . لذلك وجه أهتمامه وعنايته بشؤون البحر فأسس أسطولا ضخما بدار الصناعة بالمهدية[2] . وساعده ذلك ، كما ساعد ابنه يحيى من بعده على القيام بنشاط بحرى ومهاجمة سواحل صقلية وايطالية التى كانت فى يد النورمنديين . ولم يقف

= عهده ، انقسم المذهب الاسماعيلى الى حافظية وطيبية نسبة الى الطيب بن الآمر . وكان المذهب الاسماعيلى قد انقسم من قبل بعد وفاة المستنصر الى مستعلية نسبة الى المستعلى الذى تولى الخلافة ونزارية نسبة الى نزار ابن المستنصر .

(١) أنظر التجانى ، المصدر السابق ، ص ٣٤٢ .
المقريزى ، " " ، جـ ٣ ص ١٨٧ .

(٢) د . عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، جـ ٢ ص ٦٧١ .

النورمنديون بدورهم ساكتين أمام هذا الخطر ، بل أخذوا ، يساعدهم فى ذلك الفرنجة ، فى القيام بهجمات مضادة . وظلت هذه الهجمات متبادلة حتى تمكن النورمان من الاستيلاء على المهدية وسقوط دولة بنى زيرى سنة ٥٤٣هـ .

ولم يقف العرب ساكتين أمام هذا الصراع بل أدلوا فيه بدلوهم ، أحيانا فى صف آل زيرى ، وحينا مع النورمان .

وكان أول هجوم قوى للنورمان سنة ٤٨٠هـ أو سنة ٤٨١هـ (١) بمعاونة أهل جنوة وأهل بيزا وبتأييد من البابا فكتور الثالث الذى شجع على تكوين طائفة من رجال البحر للاغارة على سواحل أفريقية (٢) .

يقول ابن الأثير فى أحداث سنة ٤٨١هـ « فى هذه السنة فتح الروم مدينة زويلة من أفريقية ، وهى بقرب المهدية . وسبب ذلك أن الأمير تميم بن المعز بن باديس صاحبها أكثر غزو بلاد الروم فى البحر ، فخربها وشتت أهلها ، فاجتمعوا من كل جهة واتفقوا على انشاء الشوانى لغزو المهدية ، ودخل معهم البيشانيون والجنويون وهما من الفرنج ، فأقاموا يعمرون الأسطول أربعة

(١) ذكر ابن عذارى التاريخ الأول ، فى حين ذكر ابن الأثير التاريخ الثانى . أنظر ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٣٠١ .
وأنظر ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـ ١٠ . ص ١٦٥ .

(٢) سالم ، المرجع السابق ، ص ٦٧٥ .
دائرة المعارف الاسلامية ، مادة تونس الدولة .

سنين ، واجتمعوا بجزيرة قوصرة (١) فى أربعمائة قطعة (٢) . فكتب أهل قوصرة كتابا على جناح طائر يذكرون وصولهم وعددهم وحكمهم على الجزيرة ، فأراد تميم أن يسير عثمان بن سعيد المعروف بالمهر مقدم الأسطول الذى له ، ليمنعهم من النزول . فمنعه من ذلك بعض قواده ، واسمه عبد الله بن منكور لعداوة بينه وبين المهر ، فجاء الروم وأرسلوا ، وطلعوا الى البر ونهبوا وخربوا ودخلوا زويلة ونهبوها ، وكانت عساكر تميم غائبة فى قتال الخارجين عن طاعته (٣) . واضطر تميم الى مصالحة المهاجمين على ثلاثين ألف دينار ورد جميع ما فى حوزتهم من السبى (٤) .

وقد ذكرنا فى الفصل الثالث (٥) كيف أن على بن يحيى بن تميم قد أغضبه قيام رافع بن مكى صاحب قابس ، ببناء سفينة كبيرة ، وكره أن يقاومه أحد من أهل أفريقية فى اجراء السفن فى البحر ، فأنفذ أسطولا الى قابس لمنع السفينة من الأقلاع . وقد استنجد رافع بروجر الذى أرسل أسطولا لمعونته ، وأن على بن يحيى استطاع هزيمة هذا الاسطول . وكان ذلك من أشد الأسباب فى

---

(١) هى جزيرة قرب الساحل التونسى ، وقد ذكرها التجانى قوسره السين – أنظر التجانى ، المصدر السابق ، ص ١٣ .
(٢) ذكر ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٣٠١ أن عددها ثلاثمائة مركب .
(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق .
ابن عذارى ، " " .
(٤) ابن الأثير ، " " .
(٥) أنظر صفحة ١٠٨ .

الوحشة التي وقعت بين ورد جر وعلى ثم ابنه الحسن من بعده ، حتى أدت الى تغلب النورمان على المهدية (١) .

وفى سنة ٥١٦هـ أخذ رودجر فى اعداد أسطول ضخم لمهاجمة أفريقية ، فعلم الحسن بن على بهذا الأستعداد ، فاهتم بتشييد الأسوار واتخاذ الأسلحة وحشد القبائل واستقدام العرب ، فجاءته الحشود من كل جهة ومكان . وفى سنة ٥١٧هـ فى أواخر جمادى الأولى وصل أسطول النورمان ، ولكن العرب أستطاعوا قتل المغيرين عن آخرهم (٢) .

ونورد هنا جزءا من كتاب أرسله الحسن الى الجهات المختلفة يشيد فيه بهذا النصر ، ويبين مدى معاونة العرب له فى رد المغيرين ، يقول فى هذا الكتاب " .... فأستظهرنا بأستقدام قبائل العرب المطيفة بنا فأقبلوا أفواجا ، وجاءوا مجيئ السيل يعتلج اعتلاجا ويتدفق أمواجا ، ولكنهم على نيات فى الجهاد خالصة ، وعزمات غير مترددة فى مواقف الموت ولا ناكصة (٣) " .

ولكن رودجر انتهز فرصة الصراع بين الدولتين الصنهاجيتين

---

(١) التجانى ، المصدر السابق ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .
(٢) فصلنا ذلك فى الفصل الثالث .
(٣) أنظر وصف هذه الواقعة ، وكتاب الحسن ، فى التجانى ، المصدر السابق ، ص ٣٣٥ وما بعدها .

بنى زيرى وبنى حماد ، وقد كان الغلاء المتوالى على أفريقية أضعف جند الحسن ، فباغت رود جر المهدية سنة ٥٤٣هـ واستولى عليها صلحا ، وخرج الحسن منها قائلا « سلامة المسلمين من القتل والأسر خير لى من الملك والقصر »(١) . وظلت المهدية فى أيدى النورمان حتى استخلصها منهم عبد المؤمن بن على خليفة الموحدين سنة ٥٥٥هـ(٢) .

أثر سياسى آخر للغزوة الهلالية ، وهو أثر استمر قرونا عدة . ذلك هو عدم الأستقرار السياسى فى المغرب الاسلامى . وقد رأينا أنه مع تغلب العرب على صنهاجة وزناته ، الا أنهم لم يؤسسوا ملكا ولم يشيدوا دولة . ويقول دكتور عبد الحميد يونس أن هذا هو الفارق الجوهرى بين هذه القبائل الغازية ، وبين عرب الفتح . اذ أن عرب الفتح كان الدافع لهم مثل عليا يريدون تحقيقها ، وهم خرجوا من دولة لها أسسها ومبادؤها وقيمها ، أما هؤلاء الأعراب ، وان جاءوا بتحريض من دولة ، الا أن المحرك لهم هو غرائزهم ، لذلك كانوا يؤثرون الضواحى والأرياض على الأمصار ، ويفضلون البداوة والنقلة المستمرة على الأستقرار . وكانت عصبيتهم أقوى من أن(٣)

---

(١) التجانى ، المصدر السابق ، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١

(٢) أنظر التجانى ، المصدر السابق ، ص ٣٤٦ ومابعدها ، فقد أورد كيفية استيلاء عبد المؤمن على المهدية فى سرد بديع رائع .

(٣) الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى ، ص ٧٤ .

تتحول الى ارتباط بأقليم أورقعة محدودة من الأرض . والمطالع لابن خلدون وهو يتكلم عن هذه القبائل (١) يلاحظ أنها كانت تكره الاستقرار ، فهو بالنسبة لها معناه الأستكانة لقوى الدولة القائمة أو لقوى قبائل أقوى وهو ما لا ترتضيه لنفسها .

حقيقة قامت ما يمكن أن نسميه امارات عربية فى قابس وصفاقس والقيروان والزاب ، وسمعنا عن أسر حاكمة مثل بنى جامع وبنى مزنى . الا أن حياة الظعن كانت تمثل لديهم القوة والقدرة . أما من ضعف منهم فكانوا ينزلون المدن والقرى ويشتغلون بالفلاحة ويستبدلون بالشاه البقر ويصبحون من القبائل الغارمة .

وقد احتاجت الدول التى قامت فى المغرب ، وهى كلها دول بربرية ، الى القبائل العربية لمواجهة أعدائها من الدول أو القبائل المجاورة ، كما كان يستعين بهم ولاة الأمور فى تعزيز مراكزهم فى الحكم ، أو يغريهم الطامعون فى الحكم ليصلوا على أكتافهم الى السلطة .

وقد تراوحت علاقة هذه الدول بالعرب بين التقريب أو الابعاد حسب مصالحها ، وفى نفس الوقت تذبذبت علاقة العرب بهذه الدول

(١) أنظر ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٦ .

بين المعاونة أو المعارضة حسب مصالحهم أيضا . لذلك اضطربت علاقة هذه الدول بالعرب ، فاذا كانت الحاجة اليهم قربوا رؤساءهم بالمصاهرة والمجالسة وأقطعتهم الأراضي ، واعتمدت عليهم في جباية القبائل المستضعفة واذا استغنوا عنهم حاولوا قهرهم وتجريدهم من امتيازاتهم .

وعرف العرب بدورهم أن مصالحهم رهن بضعف هذه الدول فكانوا يخلقون لها المشاكل ويدبرون عليها الثورات . ولم يعدم العرب في الطامعين في الملك أو الطامعين في التوسع ما يعينهم على ابقاء القلاقل قائمة ، وفي ذلك حفظ لامتيازاتهم .

كما أن العرب رغم ما كان يقوم بينهم من صراعات ومنازعات ، كانوا يسارعون الى الاتحاد اذا تعرضت مصالحهم للخطر.ولقد رأينا ذلك في تناولنا في الفصل الثالث ، وكيف اتحدوا جميعا للقضاء على دولة بني حماد ومقاتلة الناصر بن علناس . وكيف اتحدوا ضد عبد المؤمن بن على لأن في قوة دولته خطر على مصالحهم وامتيازاتهم فكانت وقعة سطيف التي مر ذكرها ، وكان اشتراكهم في ثورة قراقوش وثورة بني غانيه .

ولكن يجب أن نعترف أن العرب لم يكونوا وحدهم المسئولين عن هذه الفوضى السياسية ، بل أن الحكومات هي التي شجعتهم على ذلك . ولم تكن مشاغبات العرب لطمع في ملك أو رغبة في فوضى ، وانما كانت لحفظ حياتهم وبقائهم . والمطالع لتاريخ المغرب منذ دخول العرب

الهلالية وحتى زمن ابن خلدون يلاحظ ذلك تماما . فقد رأينا أن بنى حماد أرادوا التقوى بالعرب للاستيلاء على أملاك أبناء عومتهم الزيريين ، وكيف أن تميم بن المعز حرضهم على الناصر بن حماد . ورأينا الحكومات التى قامت فى المغرب على أنقاض الموحدين كالحفصيين والمرينيين والزيانيين يستعينون بالعرب ضد بعضهم البعض .

يقول الأستاذ الحصرى [١] أن أهم القوى التى كانت تستند اليها هذه الحكومات تتمثل فى العشائر البدوية ، العربية منها والبربرية ، المنبثة فى مختلف أقطار المغرب . لأنها كانت بمثابة قوات مسلحة مستعدة للغزو والحرب فى خدمة هذا الأمير أو ذاك وكان عملها يشبه الى حد كبير عمل « الجيوش المرتزقة » التى تكونت فى أوروبا ولاسيما فى ايطاليا فى أواخر القرون الوسطى . وأن انضمام مثل هذه العشائر القوية الى جانب ما ، كثيرا ما كان يقرر مصير الحرب ويضمن النصر لهذا أو ذاك .

ويتهم الأستاذ الحصرى [٢] ابن خلدون ، بأنه لعب دورا هاما فى سياسة الدول المغربية بطريقة جديدة وأسلوب خاص ، اذ صار يخدم هذا السلطان أو ذاك عن طريق استئلاف القبائل واستتباعها

---

(١) الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ٦١ ومابعدها
(٢) المرجع السابق ، ص ٨٠ ومابعدها .

دون أن يتولى منصبا رسميا ، ودون أن ينتسب الى حكومة من الحكومات . وأنه أصبح بارعا فى استمالة القبائل واستئلافها واستتباعها ، وأنه أصبح بمثابة الملتزم المورد لتلك القوى المسلحة ، وأنه كان يوجه المشائر الى خدمة السلاطين الذين يشايعهم .

الأثـر الأقتصـــادى :ــ

يكاد المؤرخون والكتاب يتفقـون على المبالغة فى تصويـر مـدى التدمير الاقتصـادى الذى ألحقـه العرب بالمغـرب • وأمسـك المستشرقون بهذا الخيـط ليحاولـوا أن يرجعوا كل ما واجهـه المغـرب من أزمـات أو كـوارث الى سـوء سـياسـة العرب •

وقبل أن ندلى برأينـا ، نعرض أولا ما ذكـره المؤرخون عـن الأثـر الأقتصـادى السـيئ الذى أعقب الغزوة الهـلالية •

يصف ابن خـلدون كيف استباح العرب القيروان وغيرها بعـا فـرار المعز بـن باديس الى المهدية ، فيقول : " وجاء العرب فدخلـوا البـلد وأسـتباحوه وأكتسـحوا المكاسـب ، وخربـوا المبـانى ، وعاثـوا فى محاسـنها ، وطمسـوا من الحسـن والرونـق معالمهـا ، وأستصفـوا ما كان لآل بلكـين فى قصـورها ، وشـملوا بالعبث والنهب سائر حريمهـا وتفـريق أهلهـا فى الأقطـار • فعظمت الرزيـة ، وأنتشر الـــداء ، وأعضـل الخطب • ثم أرتحـلوا الى المهدية فنزلـوها ، وضـيقوا عليهـا بمنـع المرافـق وأفســاد السـابلة ثم خربـوا زناتـه بعد صنهاجـة وغلبـوهم على الضـواحى وأتصـلت الفتنـة بينهم •••••• ولم يزل هذا دأب العـرب حتى غلبـوا صـنهاجة وزناتـه علـى ضواحـى أفريقيـة والزاب ، ونهـروا من بها من البـربر وأسـروهم عبيدا وخدمـا " •(١)

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٦ ص ١٦ •

كما يذكر ابن خلدون أيضا أنه بعد هزيمة العرب للناصر[(١)] ابن علناس صاحب قلعة حماد ، تبعوه حتى لحق بالقلعة » فنازلوها وخربوا جنباتها ، وأحبطوا عروشها ، وعاجوا على ما هنالك من الأمصار مثل طبنة ومسيلة فخربوها وأزعجوا ساكنيها ، وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير ، وغوروا المياه ، وأحتطبوا الشجر وأظهروا فى الأرض الفساد » .

ويقول أن الفاطميين أغروا قبيلة الكعوب من بنى سليم بالمغرب » فأجتازوا الى برقة على أثر الهلاليين فخربوا عمرانها وأجروا فى خلائها » .[(٢)]

أما المراكشى فيذكر أن العمران كان متصلا من مدينة الاسكندرية الى مدينة القيروان ، وأن القوافل كانت تسير فى هذا الطريق ليلا ونهارا ، وأن الحصون بين طرابلس والأسكندرية كانت متقاربة لرصد أى عدو يأتى من البحر » ولم يزل هذا معروفا من أمر البلاد الى أن خربت الأعراب تلك الحصون ، ونفت عنها أهلها أيام خلا بنو عبيد (الفاطميون) بينهم وبين الطريق الى المغرب ، فأستولى الخراب عليها الى وقتنا هذا ، وأستوطنها الأعراب من

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٩ – ٢٠

(٢) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ٧ ص ٢٧٣ .

سليم وغيره ، فهم اليوم بها وأثار المدن والحصون باقية الى اليوم (١) » .

كما يسرد المراكشى تاريخ القيروان منذ أنشائها حتى ملكها بنى زيرى ويقول « فلم يزل زيرى وبنوه ملوكا عليها الى أن كان آخرهم الذى أخرجه العرب عنها ، تميم بن المعز بن باديس ، فأنتهبها الأعراب وخربتها فهى كذلك خراب الى اليوم ، فيها عمارة قليلة يسكنها الفلاحون وأرباب البرية (٢) » .

ويتكلم ابن عذارى بدوره عن وقائع العرب مع المعز بن باديس عند القيروان ، فيقول : « قال ابن شرف أخبرنى من أثق به قال : خرجت من القيروان وسرت ليلا فكنت أكمن النهار ، فلم أمر بقرية الا وقد سحقت وأكلت ، أهلها عراة أمام حيطانها من رجل وامرأة وطفل ، يبكى جميعهم جوعا وبردا . وأنقطع المير عن القيروان ، وتعطلت الأسواق ، وأمسك العرب جميع من أسروه ، فلم يطلقوا أحدا الا بالفداء مثل أسرى الروم ، وأما الضعفاء والمساكين فأمسكوهم لخدمتهم (٣) » .

ويذكر فى أحداث سنة ٤٤٩هـ « فى أول يوم من رمضان أنتهب العرب مدينة القيروان وخربتها وكانت من أعظم مدن الدنيا (٤) » .

---

(١) المراكشى ، المصدر السابق ، ص ٤٣٢ ــ ٤٣٣ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤٤١ . ويقصد باليوم أى الى سنة ٦٢١ هـ
(٣) ابن عذارى ، المصدر السابق ص ٢٩١ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٩٤ .

أما ابن الخطيب فيصف دخول العرب أفريقية بقوله « فعبر منهم خلق عظيم شقى بهم المعز ومن بعده الى اليوم ، فسبوا البلاد واستحيوا الأولاد ، وانتهبوا الطارف والتلاد ، وحسبك بدخول مدينة القيروان شهره ، ووقيعة شنيعة ، والى اليوم فالخطب بهم لا يرفع ، والوطن الخصيب الرحيب قفر بلقع (١) » .

ويذكر ابن أبى دينار أنه فى أيام تميم بن المعز بن باديس « كانت المجاعة العظمى بأفريقية والوباء الذى لم يسمع بمثله وذلك سنة ٤٨٣هـ (٢) » .

وفى وصف قفصة يقول صاحب الاستبصار (٣) بأنها كانت أعظم بلاد أفريقية منظرا وكان حولها مئتى قصر آهله عامرة ، « وكانت القوافل اذا خطرت بين هذه القصور تكم أبلها ودوابها لئلا ترعى ورق الشجر لكثرته على ذلك الطريق . وهى اليوم لا أنس بها من وقت دخلت العرب بلاد أفريقية وأفسدت بلاد القيروان وغيرها من البلاد والقرى والعمائر وكثيرا من المدن بأفريقية » .

أما التجانى فى رحلته ، وهو يتكلم عن مرورهم بأرض بنى دلاج من بنى عوف بن سليم ، يصف هؤلاء القوم بقوله : « وجور

---

(١) ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص ٧٥ ويقصد الى اليوم أى الى زمنه فى القرن الثامن .
(٢) ابن أبى دينار ، المصدر السابق ، ص ٨٦
(٣) ص ١٥٤ . علما أن مؤلف الاستبصار من منتصف القرن السادس .

هذه الطائفة المعروفة بدلاج فى فعلها وعيثها فى البلاد وأهلها أشهر من أن نشير اليه ، أو نـدل بعبارة مختصرة عليه ، وأنصف الله من الجرجرائى الأقطع (١) فهو الذى أمكن العرب من الدخول الى هذه البلاد وعن فكره السيئ نشأ بأرض أفريقية ما نشأ من الفساد (٢) » .

كما يذكر أنه بعد رحيلهم عن الجم (٣) ودخولهم فى أرض قبيلة (٤) حصن من بنى سليم « كان سيرنا منذ فارقنا الجم فى الزيتون القديم المتصل المعروف بزيتون الساحل ، وقد أذهب افساد العرب أكثره ، وغير بعد الاستواء أسطره ، فكأنه كان مغروسا على حالة معلومة وأسطر متناسبة منظومة ، فأبطل الأفساد أكثر ذلك ، وعلى هذا الزيتون كان مدار غلات أفريقية فى القديم » .

ويصف صفاقس فيقول « كانت بها قبل غابة زيتون ملاصقة لسورها فأفسدتها العرب ، فليس بخارجها الآن شجرة قائمة (٥) » .

ويذكر التجانى أيضا ، أنه بعد وصولهم الى طرابلس مروا بزاوية أولاد سنان قرب طرابلس « وهذه الزاوية راجعة الى حكم عبد الله

---

(١) يصفه بالأقطع لأن الحاكم بأمر الله الفاطمى قد أمر بقطع يديه . ولقد وهم التجانى فيذكر أن الجرجرائى هو الذى أرسل العرب الى أفريقية
(٢) أنظر التجانى ، المصدر السابق ، ص ١٦ .
(٣) المصدر السابق ص ٦٥ .
(٤) الجم بلد فى منتصف الطريق بين سوسه وصفاقس ـ أنظر خريطة الرحلة الملحقة بالبحث .
(٥) التجانى ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .

ابن دباب (من سليم) الشديد القسوة المشهور هو وبنوه بربسط البربر وتعذيبهم بالنار وغيرها لاستخراج أموالهم »[1] .

أما العبدرى الذى مر بهذه المنطقة قبل رحلة التجانى بحوالى العشرين عاما ، فيصف باجه بأنها « مدينة جرعها الدهر أجاجه ، قد هتكتها الأيدى العادية وفتكت بها الخطوب المتمادية ، حتى صارت وهى حاضرة بادية ، فخشوعها لائح وضراعاتها بادية ، وقد حدثت بها أن أهلها لا يفارقون السور خوفا من العربان وأنهم يستعدون لدفن الجنائز كما يستعدون ليوم الضراب والطعان »[2] . ويقول عن القيروان « قد خلتها مجدا فى البحث غير وان فلم أر الا رسوما محتها يد الزمان ، وأثارا يقال عنها كان وكان ، وقد كان شأن القيروان فى غابر الزمان بحيث لا يجهله أنسان ولا يحصله لسان حسبك ببلد وضعت الأوضاع فى فضله وملئت الأسماع من وصف وابله وطله ، مأوى العلماء والصلحاء فى حياتهم وكفاتهم بعد وفاتهم ، بلد يناظر به أقليم ، ومتى ذكر علماؤه فليس الا التسليم ، ولكنها الأيام اذا أعطت أخذت وكلما أعطت نبذت »[3] .

ثم يصف طرابلس* فيقول أقفرت ظاهرا وباطنا ، وذمها الخبير بهما

(١) المصدر السابق ، ص ٢١٤ .

(٢) العبدرى ، المصدر السابق ، ٣٧ ــ ٣٨ .

وباجه مدينة الى الغرب من مدينة تونس قرب الحدود مع الجزائر الحالية

(٣) المصدر السابق ص ٦٤ .

سائرا وقاطنا ، اكتنفها البحر والقفر وأستولى عليها من عربان البر ونصارى البحر » .(١)

ويذكر العبدرى(٢) أن البكرى(٣) وصف سرت بأنها « مدينة كبيرة على ساحل البحر لها نخل وبساتين ، وذكر نحو ذلك فى أجدابية وبينهما نحو عشر مراحل . ولا وجود لشيء مما ذكر الا أن يكون مما غبر ودثر »

كما يذكر أيضا(٤) أنه بعد رجوعه من الحج مر على طريق الساحل الى القيروان ، ويقول : « وطريق الساحل على غابة أفريقية ، وهى غابة عظيمة من زيتون العمل يحمل كثيرا ويعصر زيتا طيبا كالحال فى زيتون الشام سواء ، ولكنه ليس فى الشام منه غابة متصلة كأتصال هذه مع عظمها ، وقد قطعناها فى ثلاثة أيام ، ولكنها الآن(٥) معطلة لفساد البلاد واستيلاء العربان عليها ، فأنقطعت منفعتها رأسا حتى صار الزيت بأفريقية مجلوبا من جزيرة جربة » .

أما أبن بطوطة(٦) فيصف حال سكان مدينة صفاقس وما يلاقونه من غارات العرب فى البر وأفساد الروم فى البحر

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٦ — ٧٧ .
(٢) العبدرى ، المصدر السابق ، ص ٨٥ .
(٣) توفى البكرى سنة ٤٨٧هـ . أى أنه من القرن الخامس .
(٤) العبدرى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٧ .
(٥) أى فى زمن العبدرى بعد سنة ٦٨٨هـ حيث أنه قام برحلته للحج فى ذى القعدة سنة ٦٨٨هـ .
(٦) أنظر ، رحلة ابن بطوطة ، ج ١ . بيروت ١٣٨٤ هـ . ص ١٩

ويتمثل بقول الشاعر : ـ

صفاقس لا صفا عيش لساكنها
ولا سقى أرضها غيث اذا انسكبا
ناهيك من بلدة من حل ساحتها
عانى بها العاديين : الروم والعربا
كم ضل في البر مسلوبا بضاعته
وبات في البحر يشكو الأسر والعطبا

ويصف انعدام (١) الأمن في طريق المسافرين ، وعدم امكان اجتيازها الا بالخفارة الشديدة ، فيقول : " ثم خرجنا من مدينة قابس قاصدين طرابلس ، وصحبنا في بعض المراحل اليها نحو مائة فارس أو يزيدون ، وكان بالركب قوم رماة فهابتهم العرب ، وتحامت مكانهم وعصمنا الله منهم " .

اذا نحن تتبعنا أقوال هؤلاء المؤرخين ، وأغلبهم من القرنين السابع والثامن ، نلاحظ أن وصفهم ينصب على الجزء الشرقي من المغرب ، أي المغرب الأدنى وجزء من المغرب الأوسط .

---

(١) المصدر السابق .

وهى منطقة عانت من حروب بنى هلال وبنى سليم ، ولكنها أيضا كانت مسرح ثورات عنيفة اجتاحت هذه المنطقة مثل ثورة قراقوش وثورة بنى غانيه التى استمرت أكثر من أربعين عاما ، كما عانت أيضا من هجمات النورمان والفرنج ، وكانت ميدانا للصراع بين بنى حفص وبنى مرين وبنى زيان .

ولا شك أن تحميل الهلاليين كل المسؤلية فيه مجافاة للحقيقة ، أو مبالغة فى غير محلها . لا ننكر أن عرب بنى سليم وبنى هلال الحقوا بالمغرب الكثير من الدمار . ولكن المسؤلية أيضا تقع على حكومات المغرب الذين استعملوا العرب أداة ضد بعضهم البعض فخربوا بيوتهم بأيديهم .

وأننا نتفق مع الأستاذ مبارك الميلى فى قوله « والمسؤل عما لحق بالمغرب من أضرار الحرب هى صنهاجة التى لم تحسن سياسة هؤلاء العرب وجرأتهم عليها بما كان بين دولتها من تنافس » كما ينعى الميلى على الكتّاب العرب مبالغتهم فى تقدير تلك الأضرار التى حملوا الهلاليين مسؤليتها ، ويرى أنهم لجأوا الى ذلك « لأنهم كتبوا لدول بربرية ولم يكن للهلاليين حكومة تطمعهم فى انعامها . ولبداوتهم لم يهتموا بدعاية سياسية تنشر لهم أو عليهم »[1].

---

(١) أنظر الميلى ، المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

وليس غريبا اذا أن يتلقف المستشرقون هذه الاتهامات ، فيحاولون بدورهم أن يلصقوا بالهلاليين وبالعرب كل نقيصة وكل حدث سيىء مرّ به المغرب حتى ولو كان قد حدث قبل مجيئهم بقرون . فهذا برونفسال يحاول أن يبرىء ما قامت به الكاهنه حوالى سنة ٧٥هـ من تخريب للمغرب أثناء حملة حسان بن النعمان ويقول : « من الواضح أن نسبة هذا العمل ، الذى يخالف طباع البربر ، الى الكاهنه لابد أن يكون محل شك . ولا ريب أن العرب — وهم المسؤلون الحقيقيون عما أصاب أفريقية من خراب البلاد الاقتصادى الزراعى بعد ذلك بسنوات — هم الذين نسبوا الى بطلة الأوراس هذه الجريمة التى لابد أن نضيفها الى حسابهم دون أدنى ظل من الشك أو التردد » (١) .

ويؤيد ما ذهبنا اليه قول الميلى « اتخذ كتّاب الفرنسوية مبالغات كتّاب العربية سلما لثلب العرب . وصاروا يطرون البربر بعد ما كانوا يقذفونهم بأشنع القذائف فى الدورين الرومانى والبيزنطى » .
ويستشهد بما ذكره الكاتب العسكرى الفرنسى كاريت الذى يقول « كان هجوم العرب الفاتحين كالأعصار يقتلع الأشجار ويهدم المنازل ، وهجوم الهلاليين كالحريق الهائل الذى يذر الأشجار والمساكن رمادا تذروه الرياح ، فما أبقاه الأعصار قضى عليه الحريق . وما بقى عن

---

(١) أنظر د . سعد زغلول ، تاريخ المغرب ، ص ١٨٨ . ويقصد برفنسال الهلاليين وأنهم السبب فى خراب أفريقية بعد ذلك بسنوات .

السياسة العربية قائما بالمغرب ذهب به الطبع العربى الهدام . فتمم الهلاليون أعمال التخريب التى ابتدأها الخلفاء الاولون (١) » .

واذا كان الميلى قد هالته مبالغات كتّاب العربية القدامى ، وأغضبه تهجمات المستشرقين ، فاننا للأسف نجد أكثر الكتّاب المعاصرين من العرب ينساقون فى هذا التيار ويصفون العرب بأنهم كانوا عوامل تخريب وتدمير .

ونرى مثلا لذلك المؤرخ التونسى المعاصر محمد الهادى العامرى فى كتابه « تاريخ المغرب العربى (٢) » وهو يؤرخ للدولة الحفصية والصراع مع بنى مرين يقول بالنص « وأصبحت البلاد الأفريقية ميدان فوضى يتسابق فيه العرب ، الأمر الذى حمل عبد الرحمن بن خلدون على كتابة فصول لاذعة ضد العرب فى مقدمة تاريخه خصوصا وقد كان ابن خلدون يعيش فى ذلك العهد . ومن تأمل الفصل السادس والعشرين من مقدمة تاريخ ابن خلدون الذى عنونه بقوله أن العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب ، علم صحة ذلك ، فانه حلل النفسية الأعرابية الوحشية ، وبرهن على استحكام عوائد التوحش فى هؤلاء العرب أو الأعراب لتمردهم ونفورهم من النظام ، ومنافاة طباعهم للأنقياد لوسائل التمدين ونظمه ، واندفاعهم لأنطماس معالم العمران ، واستئصالهم لكل نبات ، وتسابقهم

---

(١) الميلى ، المرجع السابق ، ص ١٥٣ .
(٢) ـــــ ص ١١٤ ، ١١٥ .

الى الغارات وانتهابهم للأمـــوال » •

ونسى العامرى أو تناسى أنه يذكر هذا النص وهو يتكلم عن حملة بنى مريـن على تونس سنة ٧٥٨هـ ونتائجها السيلسية ، وان ما وصل اليـه المغرب من أضطـراب سـياسى هو نتيجة للعداء بين دوله • كما نسـى أو تناسـى أشـتراك ابن خلدون نفســه فى خضم حوادث اضطراب أمور المغرب • وأن ما واجهه المغرب من أزمات سياسية أو اقتصاديـــة ، أن كان العرب قد شاركوا فيه فبتشـجيع من دولــه البربريــة (١) •

وســأحـاول هنا ـ للحقيقة التاريخية ـ أن أبـرئ الهلاليين أو على الأقـل نخفف الحكـم عليهم فلا نحملهم وحدهم كل المســـئولية • وسأستشهد بما ذكره نفس الكتّـاب العرب الذين أوردنا آراءهم فيما سبق • فالبكرى وهو أقرب الكـتّاب لأحـداث غـزوة بنى هـلال ـ اذ أنه توفـى سـنة ٤٨٧هـ ـ يصف القيروان وصفا يدل على مبلغ عمارتها (٢) ، ويقول « وسـائر جوانبها أرضـون طيـبة كريـمة ، وأحسنها الجانب الغربى وهو المعـروف بفحص الدرارة يصـاب فيه فى السنة الخصبة للحبة مئة » • ويذكـــر أن للمدينة أربعة عشـر بابا • فكيف نقارن هذا الوصف بما ذكره ابن خلــدون أو ابن عـذارى أو العبـدرى الذى نرجحه أن البكرى وهو معاصر ، ذكـر

---

(١) ويرى الأستاذ عبد القدوس الأنصارى ، بنو سـليم ص ١٦٩ ومابعدها أن هجوم ابن خلدون على عرب بنى هلال ربما يرجع الى العقد العرقية والنفسية التى تتحكم فى آرائه وذلك لكونه قحطانيا من عرب الجنوب •

(٢) أنـظر البكرى ، المغرب و ص ٢٤ •

حقيقة القيروان فى زمانه أما العبدرى وهو من القرن السابع وابن خلدون وابن عذارى وهما من القرن الثامن — وأن كنا لا ننكر أن ما وصفوه هو الحقيقة — الا أن وصفهم ينطبق على ما صارت عليه القيروان بعد أن توالت المحن عليها كهجوم الناصر بن علناس ، وثورات قراقوش وبنى غانيه وغير ذلك من أحداث قد تكون السبب فى ما وصلت اليه حال القيروان .

ونورد نصا هاما لابن عذارى ، يبين لنا بجلاء أن المعز بن باديس تسبب فيما حدث فى بلاده من تخريب . يقول ابن عذارى فى معرض حديثه عن حصار العرب للقيروان « وأمر السلطان كافة الناس بانتهاب الزروعات المحيطة بالقيروان وصبره وهى المنصورية (١) ، فسر المسلمون بذلك وحسبوها من أرزاقهم ، وكان مصيرها الى ما قدر الله من فسادها وأكل البهائم لها » كما يقول : « وأمر السلطان المعز أن ينتقل عامة أهل صبره وسوقتها الى القيروان ، ويخلوا الحوانيت كلها بصبره . وأمر جميع من بالقيروان من الصنهاجيين وغيرهم من العسكر أن ينتقلوا الى صبره وينزلوا فى حوانيتها وأسواقها ، فأرتج البلد لذلك وعظم الخطب واشتد الكرب ، ومد العبيد ورجال صنهاجة أيديهم الى خشب الحوانيت وسقائفها واقتلعوها ، وخربت العمارة العظيمة فى ساعة واحدة » (٢) .

---

(١) المنصورية ، مدينة قرب القيروان بناها المنصور اسماعيل ابن القائم بن المهدى ثالث خلفاء الفاطميين بالمغرب (سنة ٣٣٤ هـ — سنة ٣٤١ هـ) .

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٩١ .

هذا النص يوضح لنا بجلاء أن الصنهاجيين وعساكر الممزه قاموا بعملية تخريب واسعة ، وليس العرب وحدهم على الاقل .

ويذكر المراكشى وهو يتحدث عن ثورة قراقوش وبنى غانيه ، أن قفصه (١) خرجت عن طاعة الموحدين سنة ٥٨٣هـ ، فحاصرها الخليفة أبو يوسف يعقوب ودخلها عنوة فقتل أهلها قتالا ذريعا ، حيث قتل أكثرهم ذبحا ، وأمر بأسوارها فهدمت ، وخربوا ما حولها وقطعوا أشجارها (٢) .

وهذا أيضا يؤيد ما ذكرناه من أن أحداث هذه الثورات كانت عاملا كبيرا فيما واجهه المغرب من تخريب .

وقد أورد الميلى نقلا عن الأدريسى (٣) ، ما يدل على أن جهات المغرب الأوسط التى وصفها ابن خلدون أنها أصبحت أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير ، لم تكن على هذه الحال السيئة فى وقته . اذ يقول الميلى " فان الأدريسى تتبع الحملة الهلالية أحسن تتبع ووصف طبنه ومقرة والمسيلة وغيرها بالعمران (٤) " .

---

(١) مدينة تقع غرب تونس الحالية قرب الحدود مع الجزائر .
(٢) المراكشى ، المصدر السابق ، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .
(٣) والأدريسى كما أعلم قريب من أحداث الغزوة الهلالية اذ توفى سنة ٥٤٨هـ .
(٤) أنظر الميلى ، المرجع السابق ، ص ١٥٣ .
وهذه المدن الثلاث من مدن ولاية قسنطينه بالجزائر حاليا . وكانت وقتئذ من أملاك بنى حماد .

كما ينقل الميلى أيضا عن الأدريسى ما يدل على أن منطقة كتامه وهى الجزء الشمالى من المغرب الأوسط كانت على صلة حسنة مع العرب ، وكانت التجارة فيها رائجة ، والعرب يمونونها بالحبوب ، وبين أهلها وبين العرب معاملات ومشاركة فى الحرث والادخار (١) .

ويصف صاحب الاستبصار (٢) — وهو من رجال القرن السادس — طرابلس وقابس وصفاقس وسوسه وقفصه وصفا يدل على مدى عمرانها . فيقول عن طرابلس أنها مدينة كبيرة وبها سوق حافلة وحمامات كثيرة وبساتين كثيرة الفواكه جمة الخيرات . ويصف قابس بكثرة الثمار وبجودة الحرير الذى لا يعمل بأفريقية الا بها . أما صفاقس فتمتاز بزيتها الذى يستعمله أهل أفريقية وتحمله المراكب الى بلاد الروم .

ويصف سوسه بأنها مدينة كبيرة يعمل بها الثياب الرفيعة السوسيه التى لا نظير لها ، وأن لحومها من أطيب لحوم أفريقية لطيب مراعيها . أما عن قفصة فيذكر كثرة نخلها وزيتونها وفواكهها ورياحينها وأنه يصنع بها أردية وطيالس وعمائم من صوف فى غاية الرقة ، ويصنع بها أوان من خزف شديدة البياض ، وأن أهلها ذوو يسار وفيهم خير كثير ولهم صدقات .

---

(١) الميلى ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ .
(٢) أنظر صفحات ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٥٣ .

وهذا الوصف يدل على أن بلاد أفريقية حتى بعد منتصف القرن السادس ، أى قبل ثورة قراقوش وابن غانيه ، كانت على هذه الدرجة الكبيرة من الأزدهار .

ومما يؤكد ما سبق أن ما ذكرناه من أن المغرب عانى كثيرا من هذه الثورات ، ربما أكثر مما عانى من العرب ، ما ذكره التجانى نقلا عن ابن شداد (١) . يقول التجانى « وفى تاريخ أبن شداد وذكر شدة ما أنتهى اليه حال أفريقية أيام استيلاء على بن اسحاق الميورقى (٢) عليها قال : أخبرنى أبو عبد الله محمد بن البراء المهدوى وقد وصل الى دمشق هذه السنة يعنى سنة أثنتى وثمانين وخمسمائة . قال فسألته عن أحوال أفريقية : فقل هلك العباد وخرب البلاد ، ثم قال وسأخبرك ببعض ما تستدل به على الحال :

لما نزل على بن أسحاق على منزل باشو من الجزيرة وهو على بعض يوم من تونس سأله أهله الأمان فأمنهم ، ودخل عسكره الى المنزل المذكور فأنتهبوا جميع ما فيه وسلبوا أهله حتى ثيابهم التى تواريهم ، وأمتد أيدى العبيد وجفاة الأعراب الى البنات فأضطر أهله الى الفرار ففروا بأجمعهم الى تونس ونزلوا بين

---

(١) هو أبو محمد عبد العزيز بن شداد من ذرية المعز بن باديس . ومن رجال آخر القرن السادس الهجرى وقد هاجر الى الشام ومات به وكان من أمراء العساكر فى دولة صلاح الدين وله كتاب تاريخ ألفه لصلاح الدين يعرف بسيرة أبن شداد ـ أنظر التجانى ، المصدر السابق ص ١٤ هامش / ١ .

(٢) قائد الثورة المعروفة بثورة ابن غانية والتى بدأت باستيلائه على بجاية سنة ٥٨٠ هـ .

سوريها ، فدخل عليهم فصل الشتاء هنالك فأهلكهم البرد والماء ، وأحصى من مات منهم بتونس فكانوا أثنى عشر ألفا [1] .

وذكر التجانى أيضا نقلا عن القاضى الفاضل [2] « وفى مياومة الفاضل بن البيسانى أن الخبر وصلهم فى جمادى الأخرى من سنة خمس وثمانين (٥٨٥ هـ) أن يحيى بن أسحاق الميورقى [3] وأبا زياد المغربى [4] دخل الى جزيرة باشو بقرب من تونس وأستأصل أهلها فأنتقلوا الى تونس ودخلوا حفاة عراه فمات منهم بالجوع والبرد والانقطاع نحو أثنى عشر ألفا [5] » .

نصان آخران أوردهما التجانى يدلان على أن أمراء العرب بأفريقية كانوا يسهمون فى العمران . النص الأول يذكر فيه أن بقابس

---

(١) التجانى ، المصدر السابق .
(٢) هو القاضى الفاضل أبو على عبد الرحيم بن محمد اللخمى الغسانى المعروف بأبن البيسان . وكان من كبار رجال دولة صلاح الدين الأيوبى .
(٣) هو أخو على بن أسحاق وقد قاد الثورة بعد وفاة أخيه . ويذكر التجانى المصدر السابق ، ص ١٤ ــ ١٥ أنه لا بد قد وقع الغلط فى نسبة ذلك الى يحيى فان على بن اسحاق كان هو قائد الثورة وقتئذ .
(٤) جاء فى هامش / ١ ص ١٥ . من رحلة التجانى ما يلى :
اختلفت النسخ اختلافا لا يمكن معه ضبط هذا العلم ، ولا يبعد أن تكون تلك الروايات كلها محرفة من اسم يوزيا أو بوزيبا أو يوازيه الغزى الذى ذكره أبو شامه فى كتاب الروضتين ج ٢ . ص ١٧١ و ص ١٧٧ . وكذلك أبن الاثير فى كامل التاريخ ج ١١ . ص ٣٤٢
(٥) التجانى ، المصدر السابق .

« المبنى المشتهر المعروف بالعروسين الذى لا يرى مثله ظرفا وحسنا ، قد أستولى الخراب فى وقتنا هذا عليه ، والعروسان من بناء بنى جامع الهلاليين (١) » .

النص الثانى الذى أورده التجانى (٢) يصف فيه تاجوره بقوله : هى قرية كبيرة عامرة وبها قصر متسع يشتمل على دور كثيرة ، وفى وسط هذا القصر حصن أقدم بناء منه يقال أن حميد بن جارية أبا الجوارى (٣) ابتناه وشارك فيه فى العمل بنفسه ليحض أهل الموضع على اتمامه ، وهو الذى عمر هذه القرية ونقل أهلها اليها من أرض هنالك تعرف بأرض عبد رب وكان ابتداء عمارتها فى عام خمسين وخمسمائة (٤) » .

لسنا فى حاجة بعد ذلك أن نقول أن اتهام العرب بتخريب المغرب ، فيه على الأقل مبالغة كبيرة ، ما دمنا لا نستطيع أن نقول أنه اتهام فى غير محله .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٤ ـ ٩٥ .
أما أسرة جامع الهلاليين فقد ملكوا قابس وكان آخرهم مدافع بن رشيد ومن يده أخذها الموحدون سنة ٥٥٤هـ وقد مدح مدافع بن رشيد بأشعار كثيرة تدل على علو شأنه ويمكن الرجوع الى هذه الأشعار فى ملحق الشعر .

(٢) تاجوره بلدة تقع على الطريق الساحلى شرق طرابلس ـ أنظر خريطة رحلة التجانى الملحقة بالبحث .

(٣) الجوارى هم بنو جارية بن وشاح بن عامر من بنى سليم .

(٤) التجانى ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ .

الأثـــر الاجتماعـــي : ـ

اذا كان الفتح الأســـلامي للمغـرب قد حـوله الى بلد مسـلم فان الغـزو الهـلالي قد حـوله الى بلـد عربـي • بالغـزوة الهلاليـة قد أحـدثت في المغرب تعديلا جنسيا ، فحولتـه الى شعب تجرى فـي عـروقه الدمـاء العربيـــة ، ويكتسـب سـكانه العادات والتقاليـــد العربيـــة • فكان تأثـير الهلاليـين في الـبربر أجتماعيـا ، لغويـــا ، جنســـيا كما كان نفـوذ الفاتحـين دينيـا سـياسـيا •

يقـول ابن خـلدون « أن المغـلوب مولـع أبـدا بالأقتـــداء بالغالب في شـعاره وزيـه ونحلـته وسـائر أحـواله وعوائـده » • لذلـك بالمغلوب دائـما يتشـبه بالغـالب في ملبسـه ومركبـه وسـلاحه فـــي اتخاذهـا وأشـكالها بـل وفي سـائر أحوالهـا » (١) •

وان كان ما يقـوله ابن خلدون صحيحا الى حـد كبير ، الا أن تأثر البربـر بالعـرب كان أيضـا لتشـابه أسـلوب الحيـاة لديهما • فالهلاليون بـداة ظواعـن ، والـبربر في أغلبهم أيضـا على مثـل ذلك حتى قبـل أن يجيء الهلاليـون • وكان لتشـابه الحياتين أثره في أن يتأثر البربر بالعرب، خاصة بعد أن أختلطـوا بهم ، وان يأخذوا عنهم كثيرا من عاداتهم الاجتماعية واخـلاقهم وطباعهـم •

ونعلم مما مر في دراسـتنا أن عرب بني هلال وبني سـليم لمـــا

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٣ •

جاءوا الى المغرب وتم لهم الغلبة عليه ، لم يؤسسوا ملكا أو يقيموا دولة بل ظلوا على طبيعتهم يأنفون حياة الأستقرار ، وحافظوا ما أمكنهم على حياة الظمن حيث كان ذلك عندهم رمزا للقوة • أما من ضعف منهم فقد أستقروا بين البربر فى قراهم أو أقاموا لأنفسهم قرى جديدة • وكان لابد اذا أن يؤثروا فيمن جاورهم من البربر سواء من البرانس أو البتر ، ولم ينج من هذا التأثير الا البربر الذين أعتصموا فى المناطق الجبلية البعيدة عن مواطن العرب • ولقد ظل هذا التأثير على مدى قرون حتى بعد أن أنتهت الغزوة العربية ذاتها •

ونرى أبن خلدون وهو يتكلم عن بنى كهلان من بربر هوارة البرانس ، يقول أنهم كانوا يظعنون على عهده مع بنى سليم بأرض التلول ما بين تبسه وباجه ، وأنهم صاروا يتشبهون بعرب بنى سليم فى اللغة والزى وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الأبل وممارسة الحروب وايلاف الرحلتين فى الشتاء والصيف فى تلولهم قد نسوا رطانة البربر وأستبدلوا منها بفصاحة العرب فلا يكاد يفرق بينهم (١) •

أما عن زناته من البتر فيقول ابن خلدون « وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب فى سكنى الخيام واتخاذ الأبل وركوب الخيل والتقلب فى الأرض وايلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والأباية عن الانقياد للنصفة » (٢) •

---

(١) المصدر السابق ، ج ٦ • ص ١٤١ ــ ١٤٢ •
(٢) « « ، ج ٧ • ص ٢ •

والأكثر من ذلك أن زناته أخذت تنكر نسبها البربرى وتحاول أن تتخذ لنفسها نسبا عربيا . يذكر ابن خلدون أن نسابة زناته ينسبونهم الى حمير ، ولكنه ينكر ذلك عليهم ، ويقول : « وانما حمل نسابة زناته على الانتساب فى حمير الترفع عن النسب البربرى ، لما يرونهم فى هذا العهد خولا وعبيدا للجباية وعوامل الخراج ...... وصار اسم البربر مختصا لهذا العهد بأهل المغرم . فأنف زناته منه فرارا من الهضيمة ، وأعجبوا بالدخول فى النسب العربى لصراحته مع ما فى العربية أيضا من عز التوحش والسلامة من مذمومات الخلق بأنفرادهم فى البيداء . فأعجب زناته نسبهم وزينه لهم نسابتهم » (١) .

وجاء فى دائرة المعارف الاسلامية (٢) ، أنه كان من نتائج غزوة بنى هلال غير المباشرة ، تغيير جوهرى فى توزيع الأجناس فى شمال أفريقية ، وأن البربر الذين أختلطوا بالعرب فى السهول والهضاب هجروا لغتهم تدريجيا وعاداتهم ، وفقدوا أيضا أسمهم القديم وأستعاضوا عنه بأسم شخص وصلوا به نسبهم . حتى نستطيع أن نقول أنهم أستعربوا ، وان كان قد خلص من هذا بعض أقوام لم يكن الوصول الى مواطنهم سهلا ميسورا كمناطق الأوراس فى الجزائر وقبائل الريف فى المغرب الأقصى . وتستطرد دائرة

(١) المصدر السابق . ج ٧ . ص ٤ .
(٢) مادة البربر .

المعارف ، أن البربر قد تغيروا تغييرا عظيما لاختلاطهم بالعرب ، حتى ليستحيل تميزهم فى أغلب الأحيان ، فهم لم يعودوا يذكرون شيئا عن أصلهم الحقيقى أو لغتهم أو عاداتهم .

وأننا نرى هذا الأثر العرقى الأجتماعى فى كل أنحاء المغرب ففى برقة وطرابلس أستقر بنو سليم وأندمجوا مع الأهالى فى هذه البلاد ، وأمتزجوا بهم فى المعاملة والتجارة والمعايشة والمصاهرة حتى أن العديد من قبائل هذه المنطقة اليوم تجرى فى عروقهم الدماء العربية البربرية ، وخير مثل لذلك القبائل التى تنتمى الى قبائل أبى الليل من بنى سليم ، فجد هذه القبائل أبو الليل قد تزوج من زناته وأستقر هو وأبناؤه فى برقة . كما أن قبيلة بنى قرة وقبيلة هيب من سليم أيضا قد أستقرت هناك وأمتزجوا بأهلها أمتزاجا يجعل من الصعب علينا الآن أن نميز بين ذريتهم وذرية أهل البلاد الأصليين . وهكذا جعل العرب من هذه المنطقة بلادا عربية مسلمة لها شخصيتها العربية الواضحة .(١)

أما أفريقية ، أو تونس الحالية ، فقد كانت أكثر أقاليم شمال أفريقية أستعرابا . وكما تقول دائرة المعارف الاسلامية .(٢) وهى تتكلم عن سكان تونس " يعز علينا اليوم أن نميز القبائل

---

(١) أنظر خفاجى ، قصة الأدب فى ليبيا العربية ص ٨٠ ــ ٨٣ وأنظر دائرة المعارف الاسلامية ، مادة برقة .

العربية من القبائل البربرية بحال • •

وان كان هناك من يرى أن لهذا الاستعراب نتائج سياسية وأقتصادية لا زالت أثاره تشاهد الى اليوم لا سيما فى الميدان الأقتصادى وميدان السياسة العمرانية، ويتمثل ذلك ما يرى هذا البعض فى مشكلة القبائل البدوية ومحاولة أدماجهم فى حياة القرى والمدن (١) • وكأن العرب فقط هم الذين لا زالوا يتمسكون بحياة البداوة ورفض حياة الأستقرار •

أما فى المغرب الأوسط ، فقد انتشر العرب فى الهضبة والسهول الداخلية تاركين الجبال للبربر ، لذلك كان امتزاج العرب بالبربر واضحا فى الفيافى والسهول ، فى حين استطاع البربر الذين أعتصموا بالجبال الاحتفاظ بلغتهم وعاداتهم الى الآن مثل رجال القبائل وشاوية الاوراس (٢) •

وترى دائرة المعارف الاسلامية أن تقسيم سكان الجزائر الحالية الى بربر وعرب ، وهو التقسيم الذى درج عليه الباحثون ، لا يطابق الحقيقة الواقعة • فقد أمتزجت هذه الأجناس امتزاجا يكاد يتعذر على المرء معه أن يفرق أو يميز بين البربر والعرب • وأنه

---

(١) د • الحبيب الجنحاني ، القيروان ص ١٠٢ •
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة الجزائر •

وأنه لا اللغة ولا طرائق المعيشة يمكن أن نستخلص منها أساسا لمثل هذا التقسيم ، لأن البربر المستعربة قد أنصرفوا عن لغتهم وعاداتهم بل ونسوا أرومتهم فى حين أن القبائل العربية لم يبق منها سوى أسمائها ، اذ أن تسرب البربر المستعربة قد غيرهم كل التغيير ، حتى لم يعد بين الجنسين فرق ما هذه الأيام • وتقول دائرة المعارف أن اطلاق كلمة العرب على جميع سكان الجزائر دليل على هذا التطور •

أما فى المغرب الأقصى فان هذا الأمتزاج يتمثل فى شاوية تامسنا الذين يقطنون الآن الى الشمال الشرقى من وادى أم الربيع • وتذكر دائرة المعارف الاسلامية (١) أن محمد بن الحسن الوزان (ليو الأفريقى) يقول أن هؤلاء القوم أنحدروا من الزناتة والهواره الذين أسكنهم بنى مرين فى تلك الجهة فأختلطوا بالعرب الذين أستقدمهم من أفريقية السلطان يعقوب المنصور الموحدى ، وأن هؤلاء الشاوية يختلفون عن شاوية الأوراس فى أنهم يتحدثون الآن باللغة العربية •

وهكذا نرى هذا الأثر القوى والمستمر للغزوة الهلالية ، وهو أثر سيبقى طالما بقيت هناك دماء تجرى فى عروق أهل هذه البلاد مؤكدة عروبتها •

---

(١) مادة الشاوية •

الأثـر اللغـوى والأدبـى :ـ

من المؤكد أن أهم نتائج الغـزوة الهلاليـة على الاطــلاق أن استحكمت عـروبة الألسـنة فى أنحـاء المغرب ، وصـار للعربية السـيادة والهيمنـة فى كل جـزء من أجزائـه ، فسـاعدت بذلك على أن تكون لتلـك البلاد شخصيتها العربيـة الواضحـة .

والمتتبع لما يذكره ابن خلدون ، وهو يتكلم عن البـربـر ، وخاصة فى الجـزئين السادس والسابع ، يدرك تماما مدى الأثر الذى تركه عرب بـنى سـليم وبنى هـلال فى لغـة البربر . فابن خلدون يؤكـد أن البربر قد تأثـروا بالعـرب حتى أنهم قد نسـوا رطانـة البربر واستبدلوا منها بفصـاحة العرب ، حتى لا يكاد يفـرق بينهم ، سواء فى ذلك بربـر المغرب الأدنى أو بـربـر المغرب الأقصـى ، اللهم الا بربر المناطـق الوعـرة الذين لم يختلطوا بالعرب مثل شاوية الأوراس (١) مثلا .

وحتى لهجـة البربر أنفسـهم قد أصابها التغيير ، تقول دائـرة المعارف أن غـزوة بنى هلال " كان لها أثر عظـيم اذ اختفت بعـض اللهجات ، ودخل البعض الآخـر كثير من الكلمات يمكن تميزها بسـهولة عن الكلمات الأخـرى التى دخلت اللغة البربرية فى القرون السـابقة (٢) .

---

(١) دائـرة المعارف ، مادة الشـاوية .

(٢) نفـس المرجع ، مـادة البربـر .

ومع أن اللغة العربية فى المغرب قد أختلفت فى لهجتها وبعض تغييراتها عن عربية المشرق مثلا ، فان ذلك جاء بحكم البيئة الجديدة والاختلاط بالبربر . فكما تأثر البربر بالعرب وأخذوا لغتهم ، أثروا هم أيضا الى حد ما فى العرب ولغتهم . وان خلص من هذا الأعراب الذين ندر أختلاطهم بغيرهم ، فظلوا يتكلمون العربية الفصحى ، وقد لاحظ العبدرى فى رحلته ذلك ، وفسره تفسيرا دقيقا ، اذ يقول عن عرب برقه " وعرب برقة اليوم أفصح عرب رأيناهم ، وعرب الحجاز أيضا فصحاء ، ولكن عرب برقه لم يكثر ورود الناس عليهم ، فلم يختلط كلامهم بغيره وهم الى الآن على عروبتهم ، لم يفسد من كلامهم الا القليل ، ولا يخلون من الاعراب الا بما لا قدر له " (١) .

الى جانب انتشار العربية كلغة فى المغرب الاسلامى ، فان الغزوة الهلالية كان لها تأثير كبير فى الناحية الثقافية والأدبية . حقيقة ان بعض المصادر والمراجع تحمل بنى هلال وبنى سليم تبعة انكماش الحركة الفكرية فى بلد مثل القيروان نتيجة التخريب الذى لحقها . فيقول العبدرى الذى زار القيروان فى القرن السابع " لما دخلت القيروان بذلت وسعى فى البحث عمن فيها من أهل العلم ، فلم أجد فيها من يعتبر سوى هذا الفقيه المحدث الراوية المعروف بالدباغ " (٢) .

---

(١) العبدرى ، المصدر السابق ، ص ٨٨ .
(٢) = المصدر السابق ، ص ٦٤

ويقول المراكشى وهو من رجال القرن السابع أيضا « وكانت القيروان منذ الفتح الى أن خربتها الأعراب دار العلم بالمغرب ، اليها ينتسب أكابر علمائه واليها كانت رحلة أهله فى طلب العلم . وقد ألف الناس فى أخبار القيروان ومناقبه وذكر علمائه ومن كان به من الزهاد والصالحين والفضلاء المتبتلين كتبا مشهورة فلما أستولى عليها الخراب تفرق أهلها فى كل وجه ، فمنهم من قصد بلاد مصر ، ومنهم من قصد صقلية والأندلس وقصدت منهم طائفة عظيمة أقصى المغرب فنزلوا مدينة فاس فعقبهم بها الى اليوم » .(١)

ومع قبولنا هذه الأتهامات بحذر – اذ كما سبق وأوضحنا عند كلامنا عن الأثر الاقتصادى ، أن خراب القيروان وغيرها ليس مسؤلية العرب وحدهم – ، فانه من المؤكد أن انتشار العرب تبعه انتشار شعرهم . كما أن أمراءهم أصبحوا مقصدا للشعراء الذين أقبلوا على مدحهم فى قصائد رائعة ، بل أن كثيرا من هؤلاء الأمراء وغيرهم من رجالات العرب كانوا شعراء مجيدين . ونظرة واحدة الى ملحق الشعر الذى يضمه البحث يبين لنا ذلك بجلاء .

= والدباغ : هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصارى الأسيدى (٦٠٥ – ٦٩٦ هـ) – مؤلف كتاب معالم الأيمان فى معرفة أهل القيروان .

(١) المراكشى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٠ .

ورغم أن الشعر المنسوب للهلاليين ، والذى أوردنا كثيرا من قصائده فى ملحق الشعر ، يختلف عن بعضه الآخر من حيث الجزالة والفصاحة ، فبعضه شعر فصيح وبعضه ما يطلق عليه الشعر البدوى . الا أن الشعر البدوى على ما يبدو قد طغى على غيره حتى كاد أن ينحصر الشعر الفصيح فى الحواضر (١) .

ويدافع ابن خلدون عن ذلك النوع من الشعر فيقول « فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر ، فيقرضون الشعر لهذا العهد فى سائر الأعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ، ويأتون فيه المطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه » . ويرد ابن خلدون على من يتهم هذا الشعر بعدم البلاغة لأنه لا يلتزم بحركات الأعراب فيقول : « أن الاعراب لا مدخل له فى البلاغة ، انما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود » (٢) .

ويرى الأستاذ المرزوقى (٣) أن شعر بنى هلال وبنى سليم لا يختلف فى الواقع عن الشعر الفصيح ، فلغته عربية فصيحة أختلطت بشىء قليل من اللهجة الدارجة ، التى لا تعدو

---

(١) المرزوقى ، الأدب الشعبى فى تونس ، ص ٥٤
(٢) أنظر ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ٥١٠
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

التحريف الجزئي للكلمة الفصيحة في النطق وفي الأعراب ، أما موازين الشعر فبقيت هي نفسها .

ويعتبرأن شعر بني هلال هو الحلقة التي تصل بين الشعر الفصيح وبين الشعر الشعبي التونسي الحديث . وبأن التغيير الذي أدخلته الزحفة الهلالية على الشعر في ألفاظه واعرابه استمر خلال العصور ، ولذلك فان الشعر الشعبي التونسي بقي بدويا في جملته حتى الآن لأن القبائل العربية البدوية تمثل ثمانين في المائة من تعداد السكان . كما أن الشعر البدوي في تونس ، وخاصة في الجهات التي يقطنها أحفاد الهلاليين وبني سليم ، يمتاز بمحافظته على الصور الشعرية المعروفة في الشعر العربي القديم (١) .

ويذكر الأستاذ القشاط أن ما قاله المرزوقي عن الشعر التونسي ينطبق بدوره على الشعر في ليبيا ، فهو أيضا يرجع الى القصيد الزجلي الذي قدم مع بني هلال وبني سليم (٢) .

---

(١) أنظر المرزوقي ، المرجع السابق ، ص ٥٥ ــ ٥٨
(٢) القشاط ، الأدب الشعبي في ليبيا ، ص ٥٨ ، وص ٦٥ .
وأنظر حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضي والحاضر ص ١٥١ .

وما دمنا نتكلم عن أثر الهلالية فى الشعر الشعبى ، فاننا يجب أن لا نغفل أثرهم فى الأدب الشعبى والسيرة الشعبية ممثلة فى السيرة الهلالية .

ونحن لن نتناول هذه السيرة بالنقد من حيث قربها أو بعدها عن الحقيقة التاريخية ولكن سنتناول أثرها بوجه عام والذى لا زال مستمرا حتى اليوم .

وابن خلدون ، قد يكون أول من تعرض لأحداث السيرة الهلالية وذلك فى مقدمته وفى الجزء السادس من تاريخه . ففى المقدمة [1] يورد أشعارا على لسان الشريف أبن هاشم فى زوجته الجازية وفى عتابه لماضى بن مقرب الزوج الثانى للجازية . كما يورد أشعارا للهلاليين يذكرون فيها رحلتهم للمغرب وتغلبهم على زناته ورثائهم — على سبيل التهكم لأبى سعد اليفرنى قائد زناته فى حروبهم مع الهلاليين .

أما فى الجزء السادس [2] ، فان ابن خلدون يشير الى هذه السيرة بقوله « ولهؤلاء الهلاليين فى الحكاية عن دخولهم الى أفريقية طرق فى الخبر » ثم يورد قصة الشريف

---

(١) ص ٥١١ وما بعدها .
(٢) ص ١٨ — ١٩ .

ابن هاشم وزواجه من الجازيه أخت حسن بن سرحان أحد زعماء الأثبج من بني هلال (١) ويفهم من كلام ابن خلدون أنه لم ينكر القصة وان أنكر الكثير من الأشعار التي قيلت على لسان الجازيه فيقول « وفي هذه الأشعار كثيراً دخلته الصنعة وفقدت فيه صحة الرواية ، فلذلك لا يوثق به ، ولو صحت روايته لكانت فيه شواهد بآياتهم ووقائعهم مع زناته وحروبهم ، وضبط لأسماء رجالاتهم ، وكثير من أحوالهم ، لكننا لا نثق بروايتها » ، ثم يستطرد قائلا « وهم متفقون على الخبر من حال هذه الجازيه والشريف خلفا عن سلف وجيلا عن جيل ، ويكاد القادح فيها والمستريب أمرها أن يرمى عندهم بالجنون والخلل المفرط لتواترها بينهم » .

أما الاشارة الأخرى التي وردت في المصادر التاريخية عن سيرة بني هلال ، فقد أوردها ابن أبي دينار (٢) من رجال القرن الحادي عشر الهجري اذ يقول « والزناتيون هم الذين يثني عليهم عدد من العمال ويذكرون كثيرا من جملة أخبارهم عندما يذكرون سيرة بني هلال وما جرى لهم مع الخليفة الزناتي . ولأهل طرابلس أهتمام بسيرته حتى لا يذكر

(١) أوردنا ترجمة وافية عن الشريف وزواجه من الجازيه وحقيقة انجابه لولد منها اسمه محمد وذلك في الملحق الخاص بالشعر .

(٢) ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص ٨٣ .

بينهم حديث الا بها ، وكذلك عند عوام أهل مصر لها صيت لاستماعه » .

ويذكر الدكتور عبد الحميد يونس (١) أن سيرة بنى هلال مرت بطورين ، الأول الطور الغنائى قبل القرن السادس الهجرى ، وكانت فى صورة قصائد غنائية . ثم بدأ الطور القصصى فى القرن الثامن الهجرى أى زمن ابن خلدون . وأن هذه السيرة بهذا الوضع أخذت وقتا طويلا فلا نستطيع أن ننسبها الى فرد أو أفراد معينين ، انما هى تعبير شعب عن مشاعره .

ولا يمكن — كما يقول الدكتور يونس — أن ندخل سيرة بنى هلال ضمن الأساطير ، فالسيرة تسرد أحداث أناس ثبت لنا من الدراسة التاريخية أنه كان لهم كلهم أو جلهم وجود واقعى ، كما أنها عرضتهم فى حالتهم الانسانية فلم ترفعهم عن طبائعهم ولم تسبغ عليهم من الصفات ما يتنافى مع الارادة البشرية . كما أن السيرة يمكن أن نعدها وثيقة تاريخية لا تقل فى الأهمية عن الروايات المدونة فى أمهات المصادر ، وانها كانت صادقة فى رسم الأطار العام للعالم الاسلامى الذى شهد مجالات نشاطها ، وأبرزت فى هذا الاطار

---

(١) دكتور يونس ، الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى ، ص ١٣٣

علاقة غير المسلمين من عجم وروم بالعالم الأسلامى ، كما أوضحت علاقة اليهود بالمسلمين وكيف أنهم كانوا يعيشون أحرارا بين المسلمين لا يلقون قيدا أو اضطهادا (١) .

ولقد كان لسيرة بنى هلال تأثير كبير فى المجتمعات العربية وخاصة فى مصر والسودان . ففى مصر يرى الدكتور يونس (٢) أن البيئة المصرية عنيت بسيرة بنى هلال وغيرهما من السير ليعبر الشعب عن ذاتيته العربية بعد أن أصبح حكمه فى يد غير العرب ، فدفعه ذلك الى انتخاب أحداث بعينها للترجمة عن مشاعره القومية .

ولقد ترك بنو هلال طابعا بدويا فى خيال الأديب الشعبى المصرى ، وأن قصصهم الذى أرخوا فيه لحياتهم وتغريباتهم استهوت العامة ، فأخذوا عنهم وقلدوا قصصهم فى الأسلوب والمعانى ، حتى أستقام لهم عدد من السير المحلية المصرية التى ليس بينها وبين سيرة بنى هلال الأصلية الا استعارة بعض أسماء الأشخاص والقبائل والبلاد ، أما الحوادث فقد أصابها تغيير أساسى (٣) .

---

(١) أنظر المرجع السابق ، ص ١٥٨ - ١٦٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٨ .
(٣) أنظر أستاذ رشدى صالح ، فنون الأدب الشعبى ، ج ٢ . ص ٧٣ - ٧٤ .

أما فى السودان فكانت لسيرة الهلاليين أثر بالغ فى حياة عرب السودان الأجتماعية والثقافية [١] ، بل لقد بلغ تأثير هذه السيرة ، أن الروايات السودانية وخاصة فى غرب السودان تؤكد أن الهلاليين مروا على السودان متجهين الى تونس ، وهو تحوير نسجته الروايات حتى تصبح السودان طريقا لتغريبه بنى هلال [٢] .

بل لقد حرص الكثير من عرب غرب السودان على الأنتساب الى الهلاليين والى أبى زيد الهلالى ، فعشيرة دار حامد من قبيلة فزارة بكردفان [٣] تذكر أن جدهم حامد أقام بهذه المنطقة بناء على مشورة أبى زيد الهلالى . كما أن الزيادية من فزارة أيضا ينسبون أنفسهم الى أبى زيد الهلالى . بل لقد ذهب الرواة الى أن رزق والد أبى زيد الهلالى ، هو جد قبيلة الرزيقات فى غرب السودان [٤] .

وهكذا نرى الى أى حد كان لهذه السيرة الشعبية من أثر خرج عن نطاق المغرب وأنتشر فى غيره من البلدان .

---

(١) عابدين ، البيان والأعراب ، ص ١٥١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٢ .
(٣) احد مديريات السودان الغربية .
(٤) أنظر عابدين ، ص ١٥١ وما بعدها .

الخاتمة

كثيرة هي المصادر التي تعرضت لغزوة بني هلال • وكثيرة هي المراجع الحديثة التي أرخت لها • وقد يقال انه من العسير على الباحث أن يقدم جديدا في موضوع طرقه غيره من المؤلفين • وردى على ذلك أن التجديد قد يكون :ـ

في الكيفية التي يعالج بها الموضوع •

أو في ابراز لنواحي لم يطرقها غيره ، أو مروا بها مرا خفيفا

أو في الخروج برأي واضح أو شبه مرجح على الأقل في أمور أختلفوا عليها من حيث الزمان أو المكان أو الكيفية •

وقد يكون الجديد شيئا أغفله المؤلفون ، أو لم يعطوه حقه من البحث ، فيكون في هذه الحالة جديدا في الفكرة والموضوع•

ولاشك أن القارئ للبحث سيجد في كل فصل من فصوله شيئا جديدا ، اما أن يكون معالجة موضوعية ، أو ابرازا لما أغفله الآخرون ، أو رأيا واضحا لقضية أختلفوا عليها ، أو عملا جديدا خالصا •

وأبادر فأنفي عن نفسي تهمة الغرور اذ أقول ذلك ، فالغرور آفة العلماء ، فما بالك بطالبي العلم أمثالي • ولكنه الشعور بالسعادة اذ أمكنني بعون من الله ، ثم بتوجيه بناء من أستاذي المشرف ، أن أضع لبنة ولو متواضعة في صرح العلم الشامخ ، راجية أن يوفقني الله في مستقبل أيامي أن أضيف لبنات ولبنات •

واذا نحن تناولنا المصادر التى أستعنت بها فى هذا البحث ، نرى أنها عالجت موضوع غزوة بنى هلال مهتمة فى المقام الأول بأحداثها الحربية ونتائجها الأقتصادية وخاصة التخريب الذى لحق بالمغرب ولكننا نلاحظ أنها أختلفت فى التأريخ للأحداث كما أختلفت فى أسماء القبائل وبطونها التى أشتركت فى هذه الغزوة ، كما أضطربت فى تتبع تنقل هذه القبائل فى المغرب وتوطنها فيه ، هذا وأن أجمعت بل وبالغت فى مدى الخراب الذى لحق بالمغرب من جراء هذه الغزوة .

وكان علىّ فى خضم هذه المعلومات المتشابكة أحيانا ، المتعارضة غالبا ، أن أجد طريقى وأكتب عن أحداث هذه الغزوة ونتائجها غير متأثرة بما يقوله هذا المصدر أو ذاك ، واضعة نصب عينى الحقيقة الخالصة . وأرجو أن أكون قد وفقت فى ذلك ما أمكننى . وسأتناول كل فصل من فصول هذا البحث لأبرز ما أمكننى الوصول اليه .

المدخل ، وهو أشق فصول البحث بالنسبة لى ، فقد تتبعت المصادر كلمة كلمة لعلى أستشف منها ما يعيننى على معرفة مواطن العرب فى المغرب منذ الفتح وحتى الغزوة الهلالية ، وأعترف أننى كدت أترك جانبا هذا المدخل اذ المعلومات ضئيلة ، وحتى ابن خلدون كاد أن يغرر بى عندما قال أن العرب بعد قيام الدولة الفاطمية رجعوا الى المشرق ، ولم يبق

لهم فى نواحى المغرب دولة ، ووضع العرب ما كان على كاهلهم من أمر المغرب » •

ولكننى على قلة المعلومات التى خرجت بها تمكنت من أن أضع صورة ــ لا أقول واضحة ــ وان كانت كافية لمعرفة مواطن العرب فى المغرب •

أما فى الأندلس فالمعلومات وان كانت أكثر ، الا أنها كانت أحيانا متعارضة الى حد كبير • فابن حزم فى الجمهرة ، وابن الأبار فى الحلة السيراء ، وابن الخطيب فى الاحاطة ، والمقرى فى نفح الطيب قد اختلفوا فى أسماء القبائل وفى أماكن توطنها ، وكان لابد من محاولة التوفيق بين معلومات هذه المصادر جميعها حتى استطعت أن أعطى صورة واضحة لمواطن العرب وقبائلهم فى الأندلس •

أما الفصل الأول ، فالمعلومات كثيرة ومتوفرة ، فى المصادر والمراجع • ولكنها على كثرتها ووفرتها لم تكن مترابطة • فقد يهتم هذا المصدر بناحية معينة كبطون بنى سليم وبنى هلال ، ويتعرض آخر لذكر مواطنهم أو أيامهم فى الجاهلية أو الأسلام ، أو فى علاقتهم بالدولة أو بالقبائل المجاورة • وعلى هذا لم يكن من الممكن أن نخرج من أى مصدر الا بناحية معينة • وقد كان لزاما على أن أجمع هذه المعلومات المتناثرة وأعالجها

لأجمل منها موضوعا واحدا مترابطا يتعرف منه القارئ على كل ما يتعلق بهاتين القبيلتين من حيث مواطنها وبطونها وأيامها وصلتها بقريش خاصة ، وموقفها من الأسلام واشتراكهم فى الفتوحات ، وعلاقتهم بالسلطة المركزية حتى قيام الفاطميين • فكان عملى ابرازا لصورة متكاملة يخرج منها القارئ بمعلومات واضحة عن هاتين القبيلتين الكبيرتين •

بالنسبة للنقطة الثانية من هذا الفصل وهى عن علاقتهم بالقرامطة ، فلا أدعى أننى جئت فيها بجديد ، لأن القرامطة موضوع عولج بتوسع فى كثير من المصادر والمراجع • ولكن كان اهتمامى منصبا على ابراز علاقة بنى سليم وبنى هلال بالقرامطة وبالفاطميين •

فى حين عنيت فى القطة الثالثة والتى تتعلق بهجرة بنى هلال وبنى سليم بتشجيع من الفاطميين الى مصر ، بأن أخرج بمعلومات وافية عن أماكن توطن هذه القبائل ، وأن أحاول التوفيق بين المصادر المختلفة وخاصة ابن خلدون فى تاريخه والمقريزى فى كتابيه البيان والأعراب ، واتعاظ الحنفا ، والقلقشندى فى نهاية الأرب • ولقد كان التعارض بينها واضحا ، ولكنى تمكنت من التوفيق بين معلوماتها واستطعت فى موضوعية أن أبين أماكن تجمع هذه القبائل فى مصر •

يعتبر الفصل الثانى من أهم فصول الرسالة ، بل هو صميمها . وقد عالجت فى هذا الفصل ثلاث نقاط . النقطة الأولى عن علاقة الدولة الزيرية بالفاطميين الى أن خرج المعز بن باديس عن طاعتهم . والجديد فى هذه النقطة ليس فى تتبع علاقة ملوك بنى زيرى بالفاطميين فقط ، بل أننى أعتقد أن الأهم هو فى ابراز علاقة المعز بالفاطميين ، فرغم أن هذه العلاقة هى السبب الأول فى الغزوة الهلالية ، الا أن المصادر أختلفت اختلافا كبيرا فى تحديد التواريخ وفى عرض المعلومات . وأول هذا الأختلاف هو فى حقيقة الخطوة الأولى للمعز فى الخروج على الفاطميين وايقاعه بالشيعة ، فرغم أن المصادر أتفقت على أن ذلك كان سنة ٤٠٧هـ الا أنها أختلفت فى تفاصيل الحدث . ولما كان عسيرا أن أخرج برأى أرجحه فقد أكتفيت بذكر ما أورده ابن الأثير وابن عذارى وابن خلدون وابن أبى دينار .

لكننى بدأت اتتبع فى موضوعية تطور علاقة المعز بالفاطميين ، اذ أن المصادر تفاوتت فى ذلك بصورة كبيرة ، كما اختلفت فى التواريخ اختلافا واضحا . وأمكننى أن أقدم عملا متكاملا ليس فيه ثغرات حتى وصلت الى نهاية المطاف ووصول المعز الى نقطة اللاعودة فى علاقته مع الفاطميين فى مصر .

أما النقطة الثانية وتتعلق بأحداث الغزوة الهلالية

نفسها ، فنرى منذ أول لحظة أختلاف المصادر اختلافا كبيرا سواء فى تاريخ بدأ هذه الغزوة أو فى القبائل المشتركة فيها ، الى جانب اختلافها فى تواريخ وتتابع الأحداث بعد ذلك .

وقد يرجع هذا التفاوت الكبير ، فى أن الأحداث استغرقت وقتا طويلا . وكان هدفى فى أن أرجح أولا تاريخا مقبولا لبداية هذه الغزوة ، كما أمكننى بأستقراء المصادر أن أحدد القبائل المشتركة فيها وأخيرا تتبعت سير الأحداث حتى نهايتها بطريقة منطقية معقولة . وعلى ذلك فان هذا الفصل بالصورة التى أخرجته فيها ، جديد سواء من ناحية المعالجة وابراز الأحداث فى اطار واضح منسق والخروج برأى سليم . كما أننى عالجت مواضيع أغفلها المؤلفون ، منها مثلا سياسة المعز الرامية للأيقاع بين العرب لولا مبادرة الفاطميين الى رأب الصدع وارسال أحد كبار رجال دولتهم للتوفيق بينهم .

وعن مواطن العرب فى المغرب ، فيعتبر من أكثر نقاط البحث تعقيدا . فهذه القبائل لم تستقر على حال بل كانت دائمة التنقل يدع بعضها بعضا ، أو أجبرت على تغيير أماكنها تحت تأثير قوى أكبر . واذا كان ابن خلدون فى الجزء السادس قد أوفى هذا الموضوع حقه من الدراسة ، وأعطى معلومات وافية عن تنقل هذه القبائل هنا وهناك ، الا أن القارئ

فى خضم المعلومات الكثيرة المتزاحمة التى أوردها يكاد يأخذه الدوار حتى لا يحسن تتبع ما أورده ابن خلدون ، فيكاد لا يخرج بشىء واضح . والى جانب ابن خلدون فهناك مصادر أخرى كالتجانى ، والمقريزى والقلقشندى وابن عذارى والمراكشى كل أدلى بدلوه .وأصبح من الضرورى أن يحاول الأنسان الخروج بمعلومات متكاملة عن مواطن هذه القبائل ، ليس فى الفترة الأولى التى كان التحرك فيها سريعا ومتلاحقا ، ولكن فى الفترة المتأخرة وعلى وجه الخصوص منذ القرن السابع وحتى القرن الثامن وهى الفترة التى كانت هذه القبائل قد جنحت فيها الى حياة الأستقرار الى حد ما . ولكننى مع ذلك لم أغفل عن ذكر تحركات هذه القبائل فى الفترات الأولى لأوضح تغيير أماكنها المستمر .

والفصل الثالث الخاص بعلاقات العرب بدول المغرب ، له أهميته الكبيرة ، لذلك أبرزت هذه العلاقات بصورة جديدة فابن خلدون وان كان قد عالج ذلك فى الجزئين السادس والسابع ، الا أنه من العسير على القارئ أن يخرج بمعلومات محددة ، فابن خلدون عالج القضية خلال معالجته لتأريخ القبائل العربية وبطونها المختلفة وكذلك عند تأريخه لقبائل وبطون البربر المختلفة أيضا أو عند حديثه عن دول المغرب . وهو أمر كما قلت عسير أن يتبعه الأنسان .

وقد حرصت على أن أعالج هذه النقطة وأحدد علاقة

العرب بكل دولة من دول المغرب على حدة مستعينة بأبن خلدون وغيره من المصادر . فجاء الموضوع مترابطا متكاملا دون استطراد ممل أو تفريط مخل . كما أبرزت أن علاقة هذه الدول بالعرب كانت تتحكم فيها مصلحة الدولة دون نظر لأستقرار المغرب أو مصلحة شعوبه ، كما كانت تتحكم فيها رغبة العرب فى تحقيق مصالحها الذاتية كذلك ، فعانى المغرب من جراء هذه المصالح المتضاربة المتعارضة .

الفصل الرابع فى هذا البحث هو العمل الجديد تماما والذى لم يوفه المؤرخون فيما عدا اشارات سريعة فى ثنايا مؤلفاتهم ، أللهم الا تركيزهم على أثر العرب المدمر على المغرب ، وهو قول مبالغ فيه تعرضت لمعالجته كما سأذكر فى حينه .

تناولت فى أول هذا الفصل الأثر السياسى ، وقد عالجت فيه الأثر المبكر لغزو العرب ، ثم الأثر الذى أستمر بعد ذلك بأستمرار وجودهم فى المغرب . فأوضحت أولا أثر هذه الغزوة على سياسة الدولة الزيرية من حيث عودة علاقتها بمصر وأعترافها بالخلافة الفاطمية وهو ما أغفله الكثيرون . ثم بينت أثر وجود العرب واستيلائهم على الكثير من أملاك بنى باديس مما دفع هؤلاء الى الأتجاه الى البحر

ليكون مجالا جديدا لنشاطهم ، مما أدى الى احتكاكهم بالفرنجة والنورمان وقيام هؤلاء بالهجمات المضادة واحتلال بعض أجزاء شمال أفريقية ٠

وعنيت أن أوضح أن سياسة الدولتين الصنهاجيتين بني زيري وبني حماد ، وأستعانتهم بالعرب ضد بعضهم البعض أدى في نهاية المطاف الى انهيار الدولتين معا ٠ كما بينت عدم الأستقرار السياسي في المغرب طوال القرون التالية ، وأوضحت أن دول المغرب وكلها دول بربرية كانت العامل الرئيسي في عدم الأستقرار هذا ، نتيجة الأستعانة بالعرب ضد بعضهم البعض وأن العرب كانوا أداة تحركها مطامع هذه الدول ، ولم أغفل أن العرب بدورهم كانت لهم مصالحهم الذاتية التي تتواءم وعدم الأستقرار السياسي بالمغرب فحرصوا على ذلك أشد الحرص ٠ وخرجت من بحثي بقناعة في أن ما تعرض له المغرب من قلاقل واضطرابات سياسية ، وان شارك فيه العرب بنصيب ، الا أن مسئولية دوله تفوق مسئولية العرب في ذلك ٠

عن الأثر الأقتصادي ، نرى المؤلفات العربية القديمة منها والحديثة ، تكاد تتفق أو تجمع على مسئولية العرب فيما لحق المغرب من تدمير ، وفي المبالغة في تصوير ذلك ٠

وربما كان ابن خلدون أشد المؤلفين تحاملا على العرب حتى أنه أفرد فصلا خاصا فى مقدمته تحت عنوان « فصل أن العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب » ويرجع ذلك فى رأيه أن العرب قوم أستحكم فيهم الوحشية حتى صار عندهم خلقا وطبعا ، وانهم لا يدينون لسلطان ولا يخضعون لنظام . فيقول « والسبب فى ذلك أنهم أمة وحشية بأستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم ، فصار لهم خلقا وجبلة ، وكان عندهم ملذوذا لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم وعدم الأنقياد للسياسة . وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له ، فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذى به العمران ومناف له .... فطبيعتهم انتهاب ما فى أيدى الناس ، وأن رزقهم فى ظلال رماحهم وليس عندهم فى أخذ أموال الناس حد ينتهون اليه » . ثم يضرب المثل على ما يقول ببنى هلال وبنى سليم فيذكر « وأفريقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المئة الخامسة وتمرسوا بها الثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بسائطه خرابا كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومى كله عمرانا » .

وقد انتهز المستشرقون هذه الفرصة واتخذوا من هذه الأتهامات ذريعة لكى يحملوا العرب منذ الفتح ، وليس عرب

بنى هلال فقط ، مسئولية ما واجهه المغرب من أزمات أو كوارث ، وأرجعوا ذلك الى سوء سياسة العرب .

واذا كان الميلى قد ضايقه أتهامات الكتّاب ومبالغتهم فى وصف ما ألحقه العرب بالمغرب من خراب ، الا أنه اكتفى بأن يظهر أسفه دون أن يفند أقوالهم . ولكنى عالجت ذلك بموضوعية اذ وجدت فى ثنايا المصادر العربية ما يؤكد أن صورة المغرب فى هذه الفترة تخالف صورة التدمير الذى ألصقوا تبعته بالعرب . كما أن تاريخ المغرب أيضا فى هذه الفترة كان مليئا بالأحداث كثورات قراقوش وبنى غانية التى استمرت حوالى نصف القرن ، والصراع المنيف بين دول المغرب والحروب المستمرة بينها . كل ذلك خرجت منه بما يؤكد أنه لا يمكن تحميل الهلاليين كل المسئولية ، وانه اذا كان المغرب قد لحق به الخراب الأقتصادى فان ذلك يرجع الى حد كبير الى نتائج الثورات التى كان المغرب مسرحا لها ونتيجة الصراعات بين دوله وقد أوضحت ذلك بالقرائن التى استقيتها من نفس المصادر التى أتهمت العرب .

وعلى ذلك فاننى أعتقد أن ما أوردته فى هذه النقطة بالذات هو أول عمل يحاول أن يظهر الأسباب الحقيقية للخراب الأقتصادى الذى عاناه المغرب . وان ما قمت به ليس تعصبا ولكن توخيا للحقيقة التاريخية المجردة .

أما الأثر الأجتماعى ، فاذا كان ابن خلدون قد عنى بأبرازه ، كما أبرزته المراجع الحديثة وخاصة دائرة المعارف الأسلامية ، الا أن ذلك جاء فى معرض تناولها لقبائل العرب والبربر كما فعل ابن خلدون ، أو أثناء معالجة مواضيع مختلفة كما فى دائرة المعارف . وهذا بالطبع يستدعى لمن يريد أن يلم بهذا الموضوع الرجوع الى أجزاء كاملة من تاريخ ابن خلدون أو لمواضيع متناثرة فى دائرة المعارف .

وقد حرصت أن أجمع معلومات هذه المصادر والمراجع وأبلورها فى عمل متكامل مترابط فى حيز ضيق الى حد ما حتى تكون الصورة متكاملة ، وفى الوقت نفسه معطية القارئ فرصة الرجوع الى مصادر المعلومات الأصلية اذا أراد . وقد بينت أثر العرب الكبير فى التحول الأجتماعى الذى تعرض له المغرب حتى أصبح عربيا قلبا وقالبا .

وكما عالجت الأثر الأجتماعى كانت طريقتى فى معالجتى الأثر اللغوى والأدبى ، اذ استطعت أن أبرز أثر العرب فى اللغة وكيف أن العربية أصبحت لغة البربر أو كما يقول ابن خلدون « نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب » . كما أن لهجات البربر أنفسهم قد دخلتها الكثير

من الكلمات العربية .

أما أثر العرب فى الأدب فلا زال باقيا حتى اليوم . وقد استعنت بما أوردته المؤلفات الحديثة عن الأدب فى تونس وليبيا وغيرها من أقطارها المغرب . وكيف أن شعر بنى هلال وبنى سليم لا زال يؤثر فى الشعر الحديث فى هذه الأقطار ، حتى غلب عليه الطابع البدوى . وكيف أن هذا الشعر لا زال يحتفظ بصورته الشعرية المعروفة فى الشعر العربى القديم وخاصة حيث يقطن أحفاد الهلاليين والسلميين .

الى جانب ذلك تناولت سيرة بنى هلال والمعروف بتغريبة بنى هلال وحاولت تلمس بداية ظهورها مستعينة بما أورده ابن خلدون فى مقدمته أو فى الجزء السادس . وبينت أثر هذه السيرة فى الأدب الشعبى فى كثير من الأقطار العربية وكيف أن هذا الأثر لا زال باقيا حتى اليوم .

من ذلك أستطيع أن أقول أن الفصل الرابع جديد كل الجدة سواء فى معلوماته أو فى طريقة معالجته أو فى ضم المعارف المتناثرة فى المصادر والمراجع فى حيز واحد .

وملاحق البحث ليست أقل أهمية من فصول البحث نفسه . فكثير من هذه الملاحق أبرز معلومات أو حقائق

لها أهميتها الكبيرة . فقد رأيت أن البحث أحتشد بذكر بطون بني هلال وبني سليم سواء قبل الغزوة أو بعدها . كما أن القارئ للبحث الخاص لمواطن هذه القبائل في المغرب قد يحتاج الى تركيز أكثر ، فأفردت جداول خاصة عن هذه البطون والقبائل قبل الغزوة وبعدها ، تسهل للقارئ تتبع هذه البطون وتكاثرها في المغرب .

أما الملحق الخاص بالشعر فهو ما أفخر به حقيقة ، فقد جمعت فيه كل الأشعار المتعلقة ببني هلال وبني سليم من مصادر ومراجع مختلفة ، قد لا يتيسر لكثير من الوصول اليها . وقد هدفت من ذلك أن أجمع هذه الأشعار المبعثرة هنا وهناك في مجموعة واحدة يسهل الرجوع اليها ، مع ذكر مصادرها حتى يمكن لمن يريد العودة الى الأصل .

كما أنني حرصت عند ايرادي كل قصيدة أن أبين الحدث التاريخي الذي تدور حوله أو الخلفية التاريخية لها ، وهو ما لم تقم به المصادر التي نقلت عنها هذه الأشعار . فقد عنيت بالتعريف بالشاعر والغرض الذي قيل فيه الشعر ، والحدث التاريخي الذي دفع الشاعر الى قول قصيدته هذه ، وفي التعريف بالممدوح أو المقصود بهذا الشعر سواء كان عتابا أو هجاء أو فخرا . وعلى سبيل المثال لا الحصر القصيدة التي أوردها ابن خلدون على لسان الشريف ابن هاشم فقد رجعت الى أكثر من

مصدر حتى يمكن التعريف بهذا الشريف الذى حكم مكة والأحداث التى حدثت فى عهده ، ومعالجة قضية انجابه لولد أسمه محمد قيل أنه تولى بعده . ولكنى أثبت أنه لم يكن له من الولد غير بنت تزوجها أحد أمراء مكة وأن محمدا هذا ليس له وجود ، وأن أمر مكة صار بعد هذا الشريف الى عبد له .

وعلى ذلك فان هذا الملحق يهم المؤرخ كما يهم رجال الأدب على حد سواء ، وهو عمل جديد فى بابه .

وبعد فهذا هو بحثى الذى أقدمه بين يدى القارئ ، وما أمكننى أن أبرز فيه من حقائق ، أو أحدد من معالم . ومع ذلك فاننى أجد نفسى استعيد قول الأصفهانى « انى رايت أنه لا يكتب انسان كتابا فى يومه الا قال فى غده : لو غيرت هذا لكان أحسن ، ولو زدت كذا لكان يستحسن ولو قدمت هذا لكان أفضل ، ولو تركت هذا لكان أجمل » .

والحق أقول أننى ما من مرة قرأت فيها ما كتبت الا وتراءى لى قول الأصفهانى ، وهذا دليل على أن الانسان بطبعه ينشد الكمال دائما . ولكنه مهما تطاولت به الأيام فسيقصر عن بلوغه فالكمال لله وحده .

وحسبى أننى بذلت جهدى وقدمت ما فى وسعى سائلة الله التوفيق والسداد .

والحمد لله أولا وآخرا .

****

****

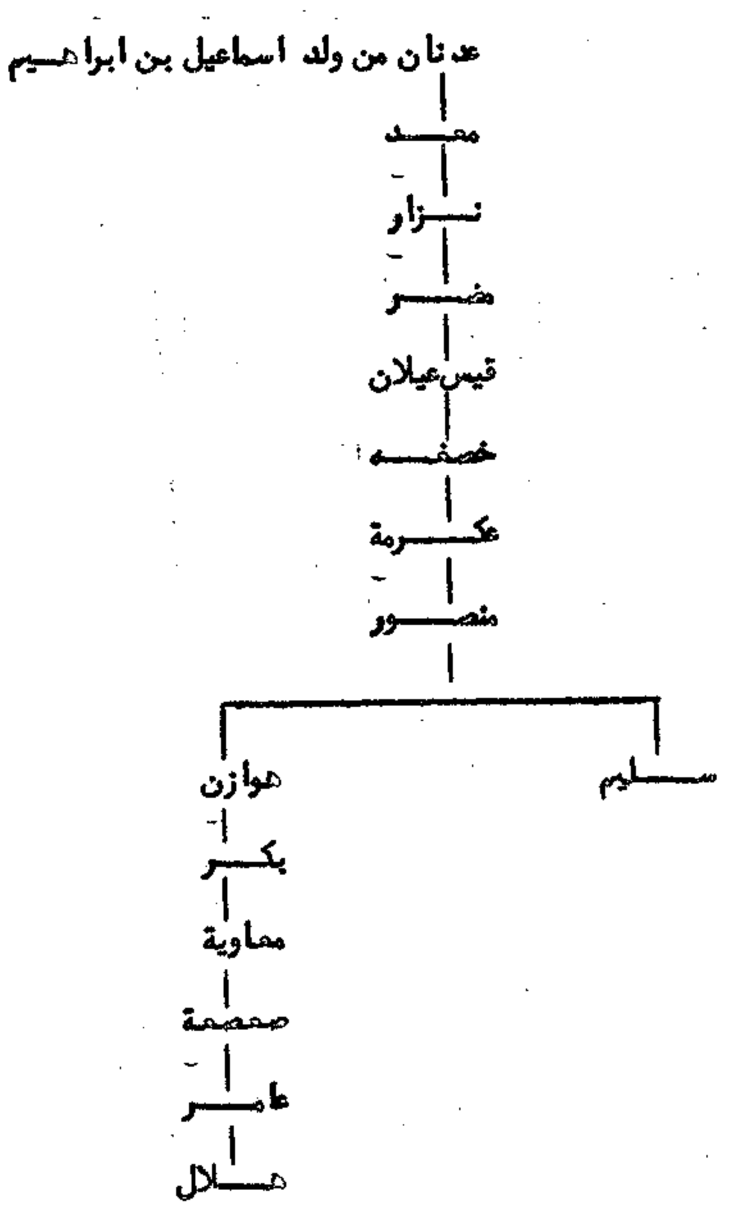
******

*

الجداول والملاحق

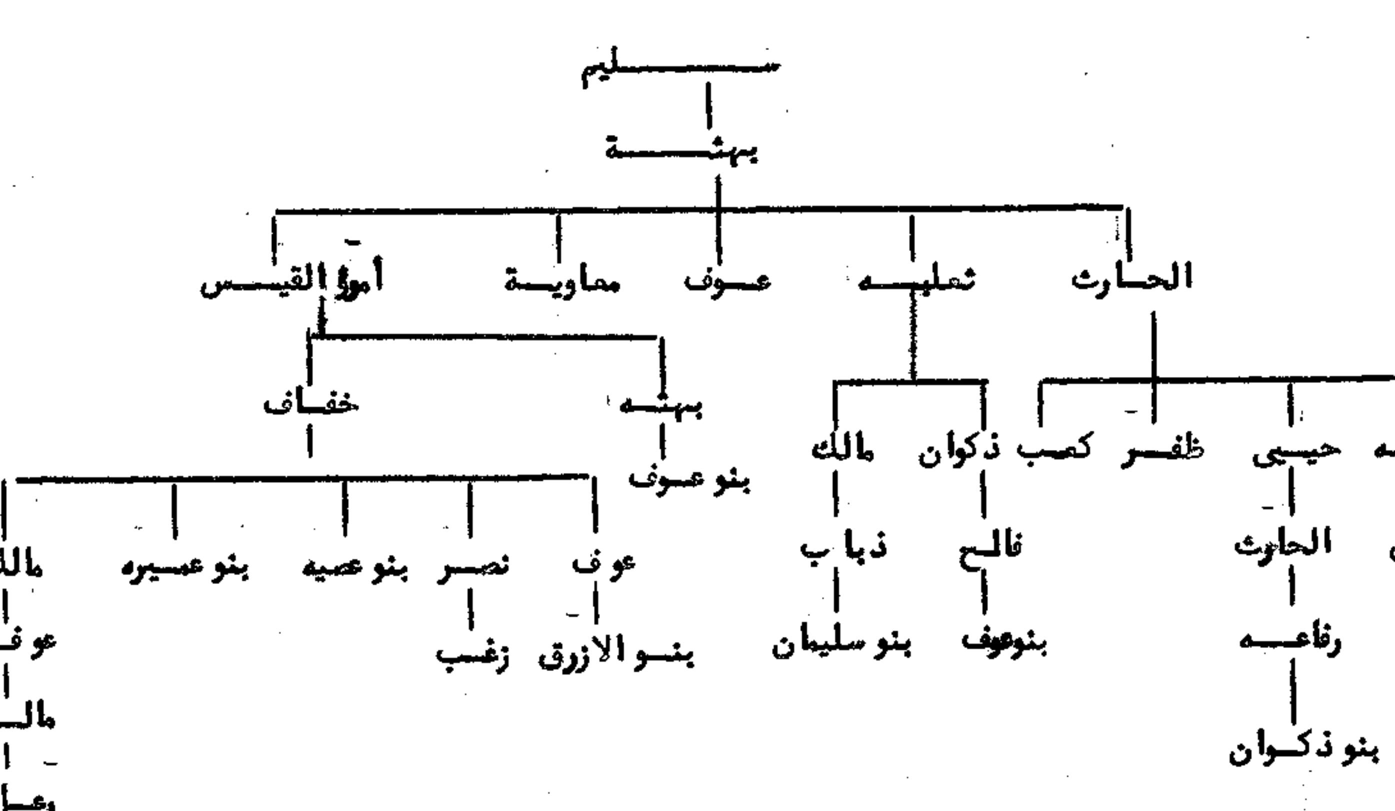
الجـــدول الأول :ـــ

• صـــلة القـــرابة بين بني سليم وبني هلال •



الجـــدول الثانـــــى :ـ

بطـــــون ســـليم بن منصور



الجدول الثالث :ـ

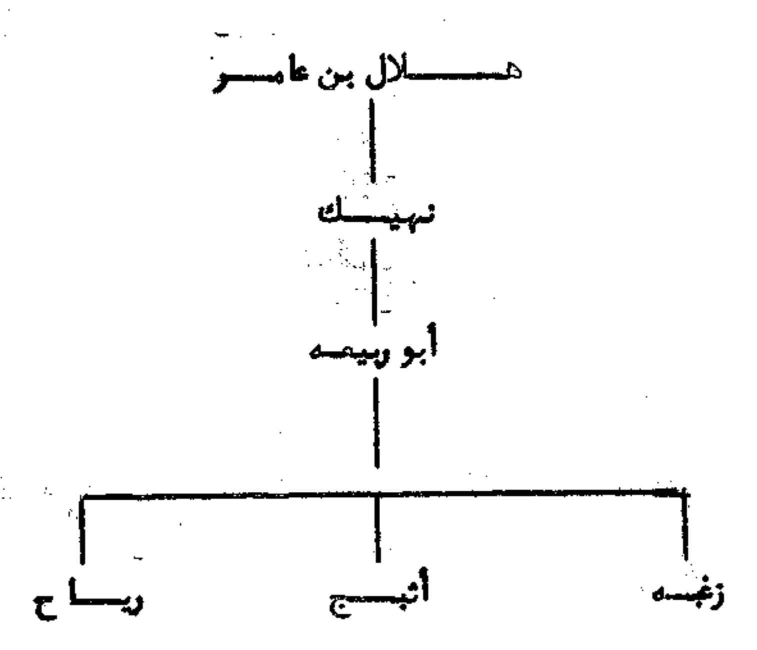
بطون هلال بن عامر

هلال

- عبد الله ← شعبه
- ناشره
  - بنو عمر
  - بنو ظالم
- نهيك
  - أبو ربيعه
    - زغبه
    - رياح
    - أثبج
- عبد مناف
  - ربيعه
    - عمرو
      - بنو قره
- حرب
  - بنو عبد الله
  - بنو مروح
  - بنو سالم

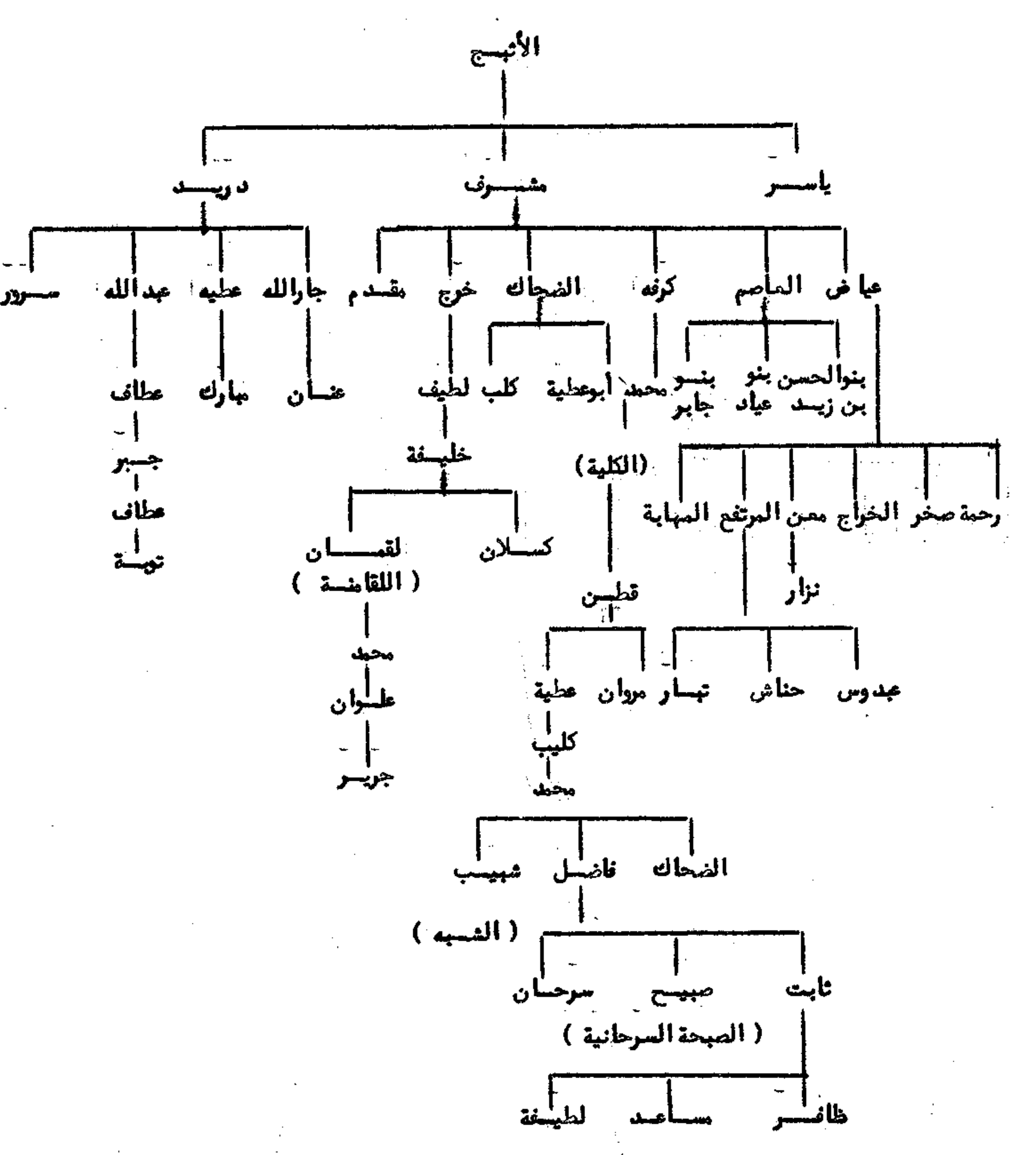
الجـــدول الرابـــع :ـ

" القبائل الهلاليـة عند غزوها أفريقيـة "



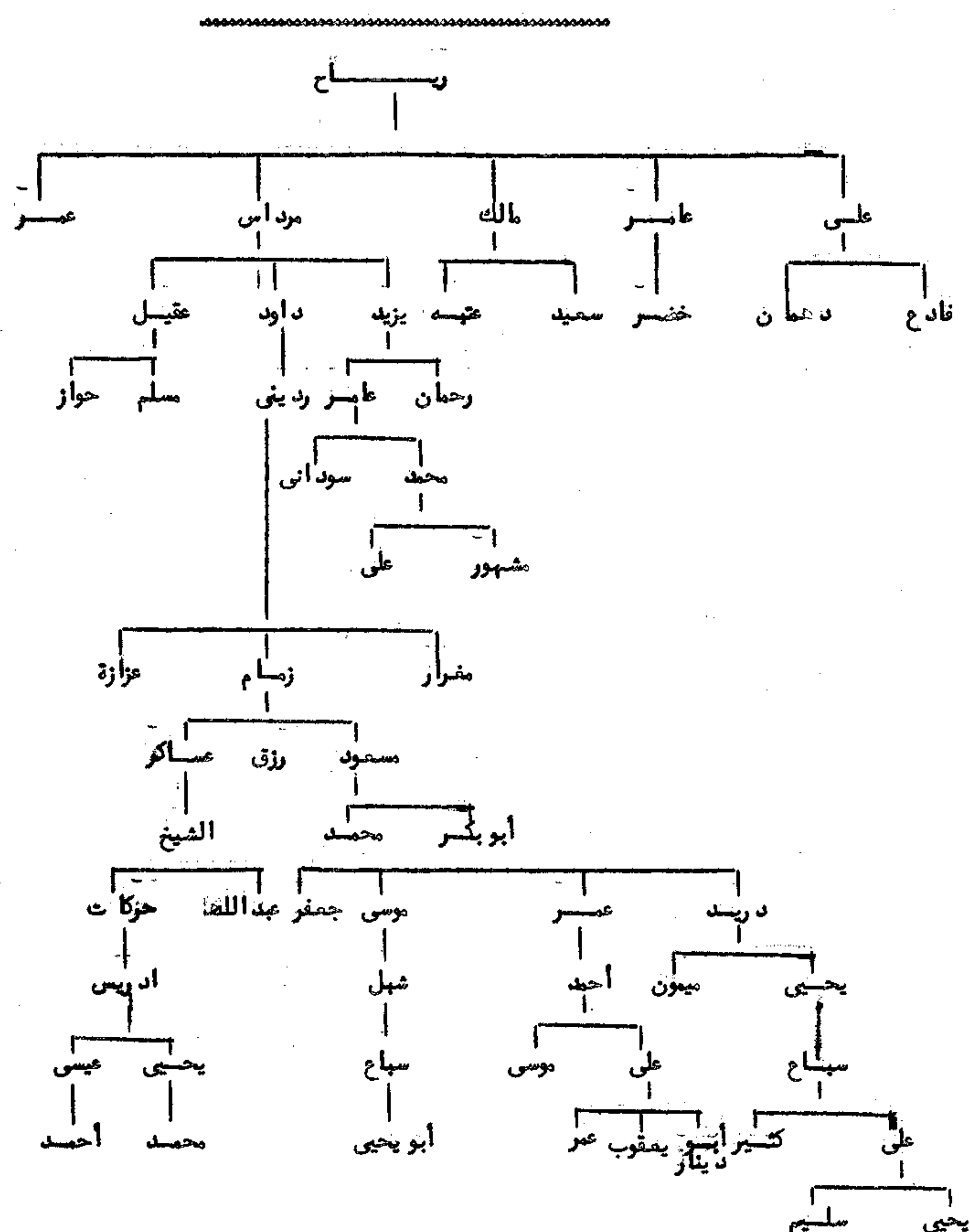
الجـدول الخامـس :ـ

بطون الأثبج من بنى هلال حتى زمن أبن خلدون

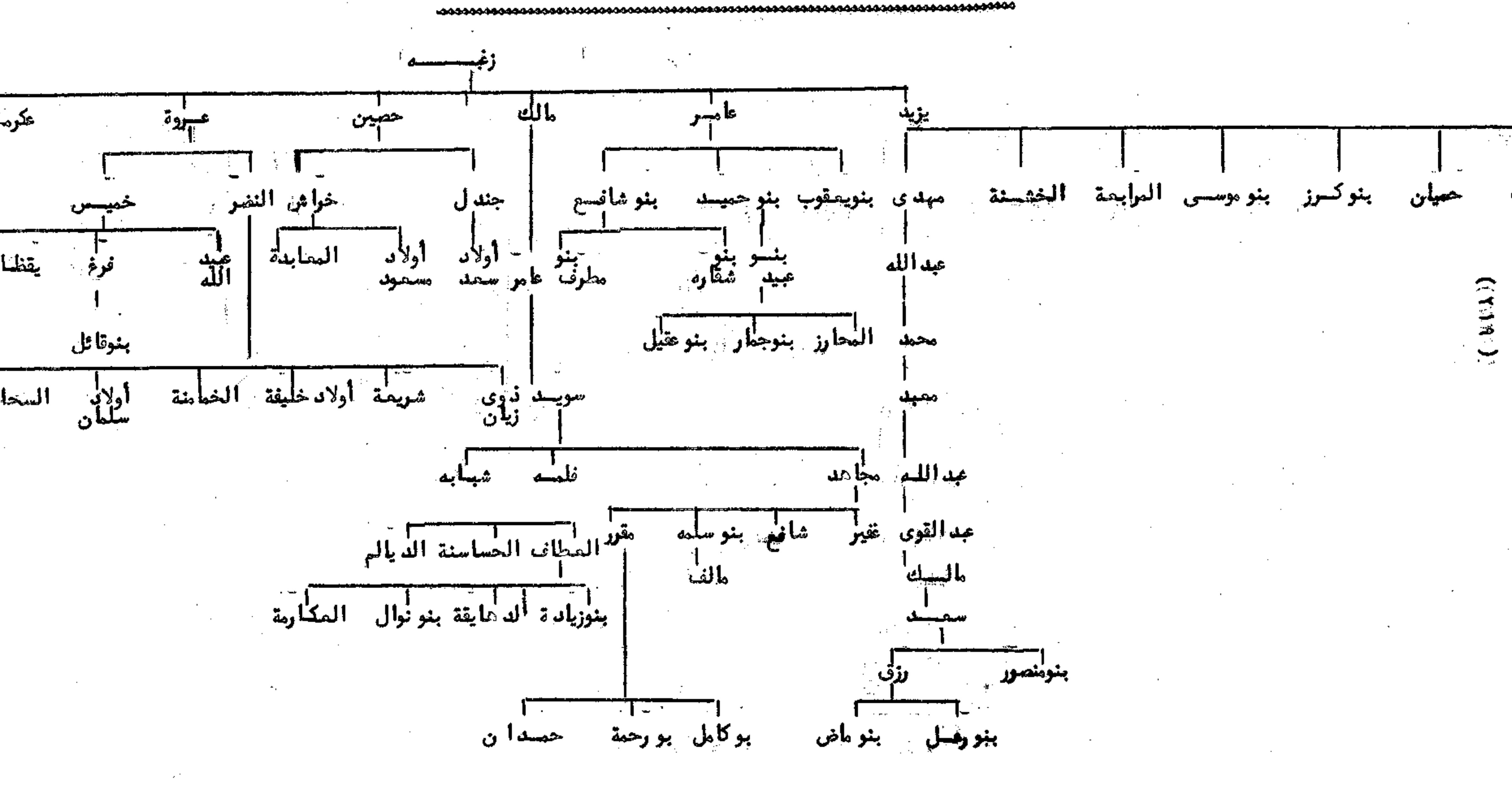


الجدول السادس :ـ

بطون رياح من بني هلال في المغرب حتى زمن ابن خلدون



بطـــون زغبـــة من بني هـــــــلال في المغرب حتى زمن ابن خلدون



الجدول الثامن :ـ

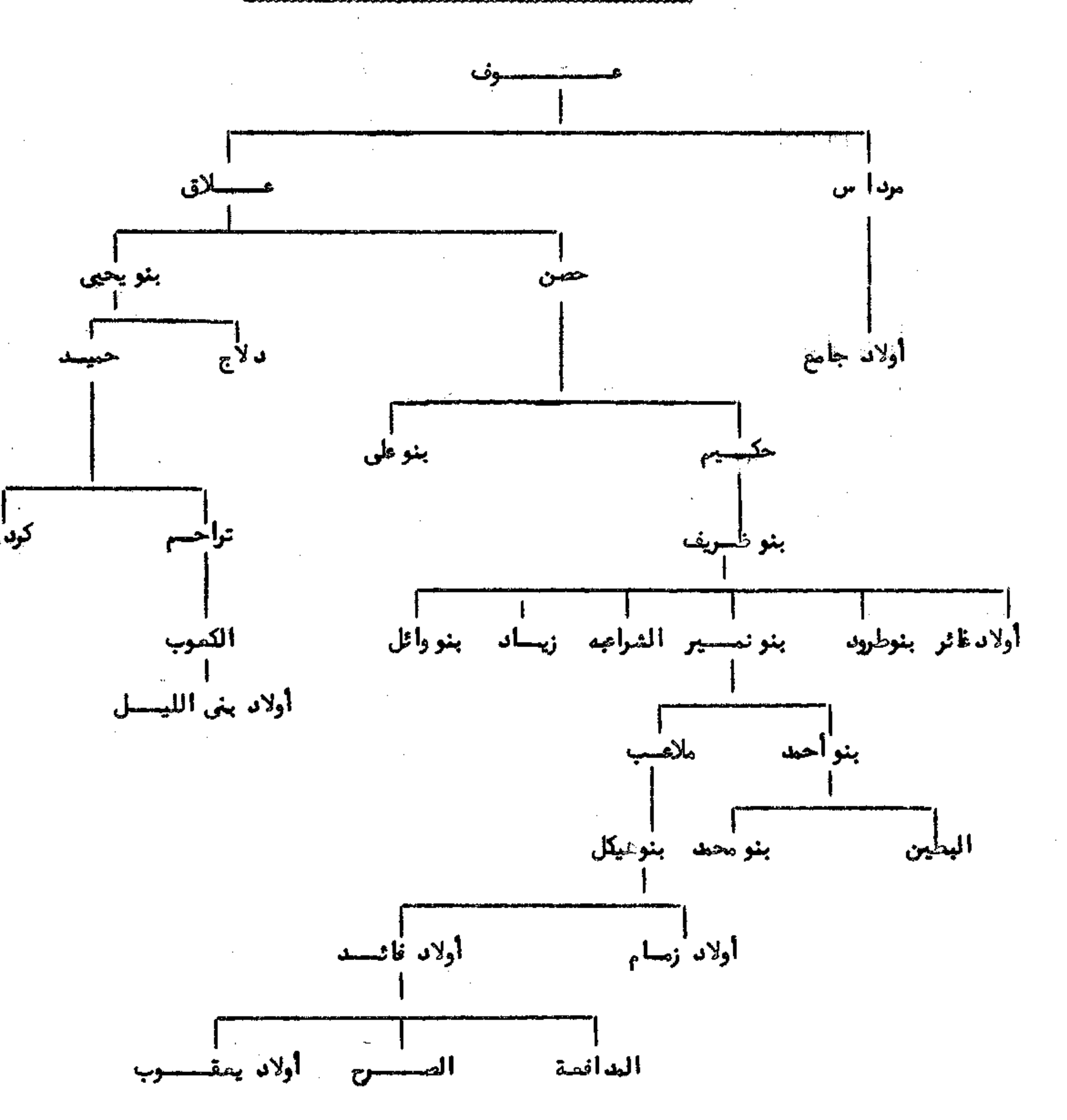
بطون هبيب من بني سليم في المغرب حتى زمن ابن خلدون

هبيب

- زيان
- بنو زيد
- بنو حمدان
- سباك
- لبيد
  - الدروع
  - الحدادوه
  - الجواشية
  - بنو قطاب
  - البلايص
  - الـدوة
  - البشره
  - النبله
  - البركات
  - النوافلة
  - أولاد سليمان
  - أولاد مقدم
    - أولاد التركية
    - أولاد قائد
  - أولاد سلام
  - العواكلة
  - الرواشد
  - الزرازير
  - الصرابرات
  - الحموتة
  - السبوت
  - العلاوية
  - السوالم
  - الشبله
  - الشرايعة
  - الوالك
- بنو شماخ
- بنو حميد
- بنو ممز
- محارب

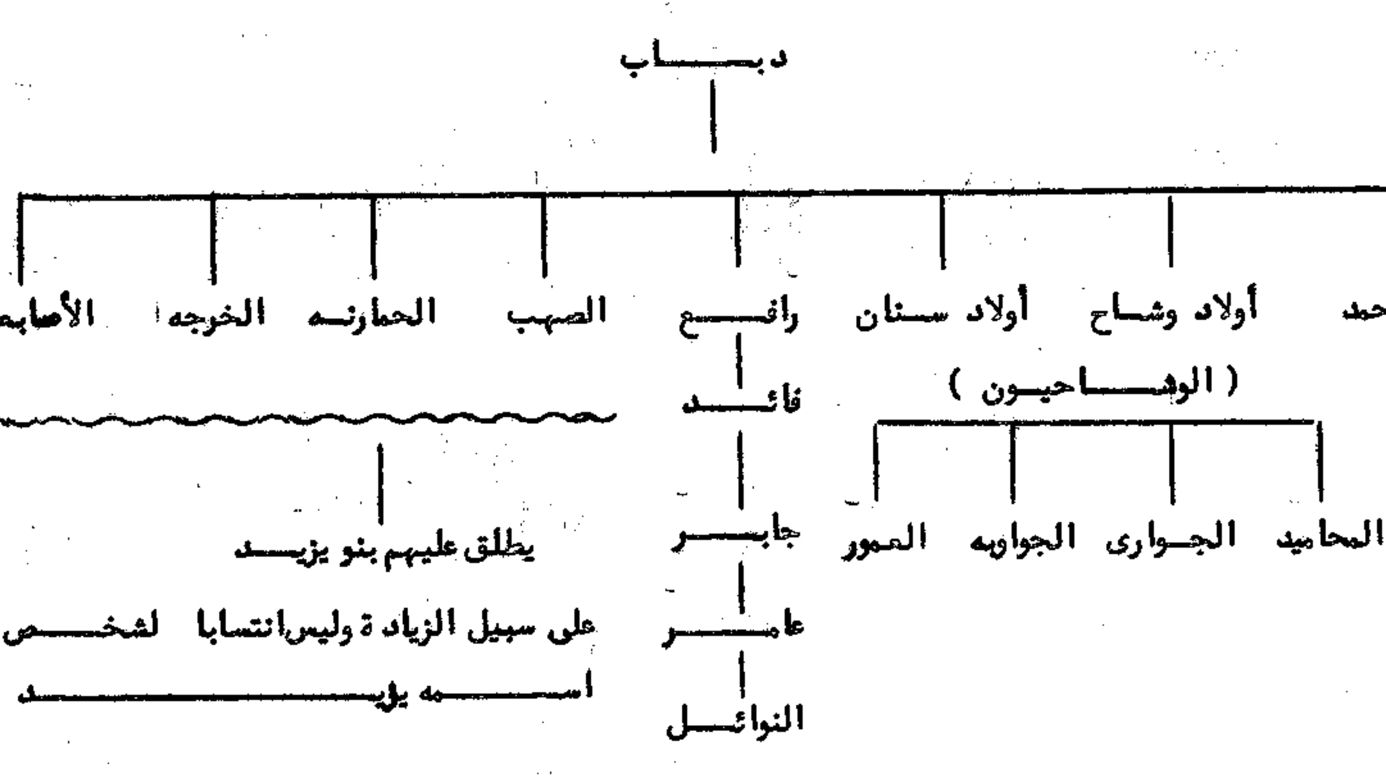
الجـــدول التاســـع ا ـ

بطون عوف من بني سليم فى المغرب حتى زمن ابن خلدون



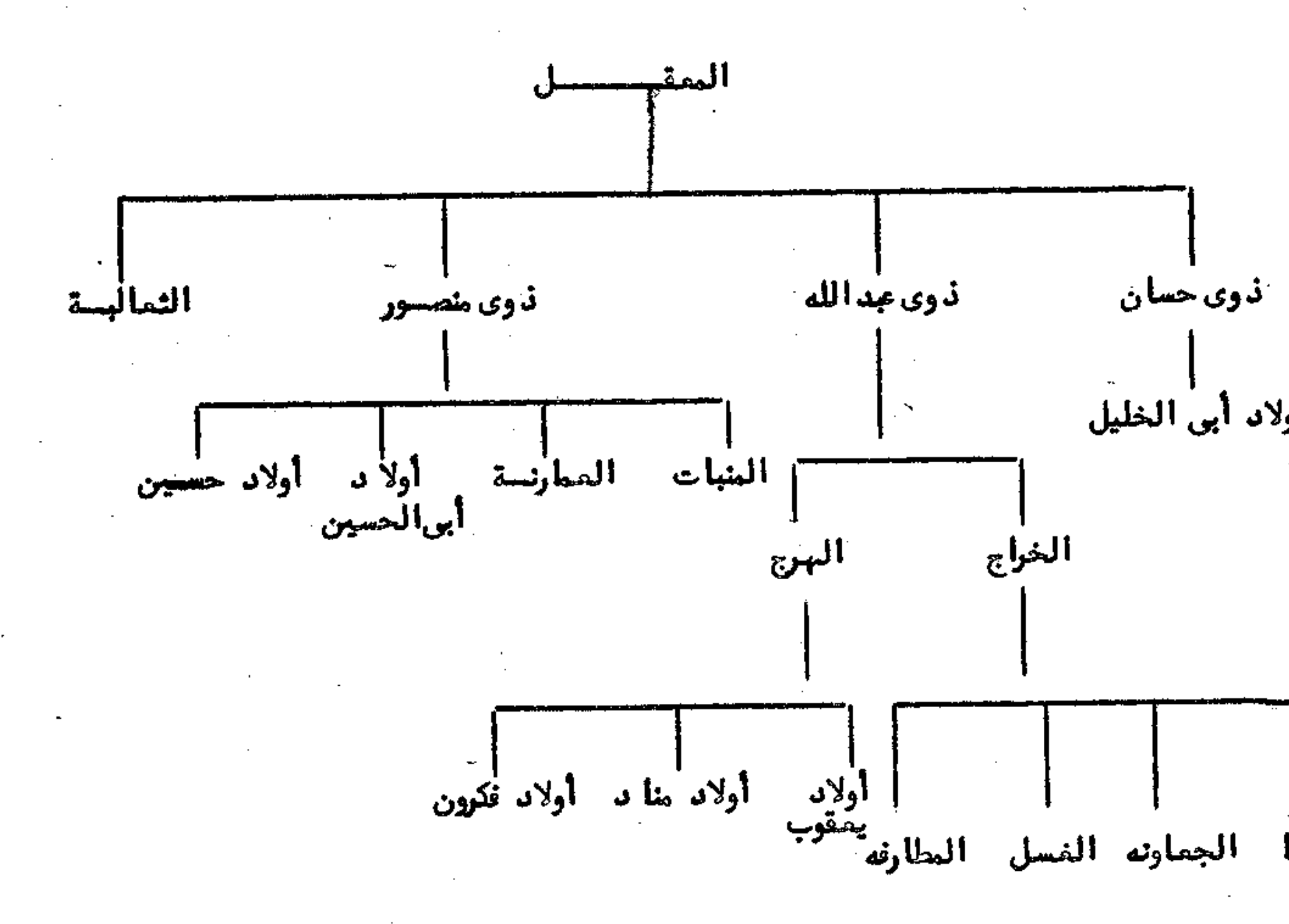
الجـــدول العاشـــر :ـ

بطون دباب من بني سليم في المغرب حتى زمن ابن خلدون



الجدول الحادى عشر :ـ

(١)
المعقل أحلاف بنى هلال بالمغرب حتى زمن ابن خلدون



(١) يرى ابن خلدون أنهم من عرب اليمن .

الجدول الثاني عشر :ـ

بنو زيري الصنهاجيون

الأمير	الولاية
يوسف بلكين بن زيري	٣٦٢ هـ
منصور بن يوسف	٣٧٣ هـ
باديس بن منصور	٣٨٧ هـ
المعز بن باديس	٤٠٦ هـ
تميم بن المعز	٤٥٣ هـ (١)
يحيى بن تميم	٥٠١ هـ
علي بن يحيى	٥٠٩ هـ
الحسن بن علي	٥١٥ ـ ٥٤٣ هـ (٢)

---

(١) هناك خلاف في تاريخ وفاة بن باديس أنظر الفصل ٤ الثاني ص ٨٨ .

(٢) سقطت الدولة بسقوط المهدية في يد روجر النورماندى ملك صقلية سنة ٥٤٣ هـ حتى أستردها الموحدون سنة ٥٥٤ هـ .

الجدول الثالث عشر : ـ

بنو حماد الصنهاجيون

الأمير	الولاية
حماد بلكين بن زيري	٣٩٨ هـ (١)
القائد بن حماد	٤١٩ هـ
محسن بن القائد	٤٤٦ هـ
بلكين بن محمد بن حماد	٤٤٧ هـ
الناصر بن علناس بن حماد	٤٥٤ هـ
المنصور بن الناصر	٤٨١ هـ
باديس بن المنصور	٤٩٨ هـ
العزيز بن المنصور	٤٩٨ هـ
يحيى بن العزيز	٥١٥ هـ
سقوط الدولة في يد الموحدين	٥٤٧ هـ

(١) أخترنا ذلك التاريخ لأن فيه أختط حماد قلعة بني حماد ، الذى يعتبر بناؤها بداية مرحلة جديدة هى استقلال دولة بني حماد عن دولة بني زيري .

الجدول الرابع عشر :ـ

خلافة الموحدين

الامير	الولاية
عبد المؤمن بن علي	٥٢٤ هـ
أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن	٥٥٨ هـ
المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف	٥٨٠ هـ
الناصر محمد بن يعقوب	٥٩٥ هـ
المنتصر يوسف بن محمد	٦١٠ هـ
عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن	٦٢٠ هـ
العادل أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور	٦٢١ هـ
المعتصم يحيى بن الناصر	٦٢٤ هـ (١)

(١) بدأ عصر الاضطراب في خلافة الموحدين ، وبدأ ظهور الدولة الحفصية في أفريقية لذلك نكتفي بذكر هؤلاء الخلفاء من الموحدين .

الجدول الخامس عشر : ـ

بنو حفص فى أفريقية

حتى منتصف القرن الثامن الهجرى

الأمير	الولاية
أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص	٦٢٥ هـ
أبو عبد الله محمد بن أبى زكريا المستنصر	٦٤٧ هـ
أبو زكريا يحيى بن محمد الواثق	٦٧٥ هـ
أبو لسحق ابراهيم بن يحيى بن عبد الواحد	٦٧٨ هـ
عمر بن يحيى بن عبد الواحد	٦٨٣ هـ (١)
أبو عصيدة محمد الثانى بن الواثق	٦٩٤ هـ
خالد بن يحيى بن ابراهيم	٧٠٩ هـ
زكريا بن أحمد بن اللحيانى	٧١١ هـ
أبو ضربه محمد بن زكريا بن أحمد	٧١٧ هـ
أبو يحيى أبو بكر بن يحيى بن ابراهيم	٧١٨ هـ
عمر بن أبى بكر بن يحيى	٧٤٧ هـ
الفضل بن أبى يحيى أبى بكر	٧٥٠ هـ (٢)
أبواسحق ابراهيم بن أبى يحيى أبى بكر	٧٥١ هـ (٣)

(١) كان هناك فترة اضطراب بين سنتى ٦٨١ و ٦٨٣ هـ لظهور الدعى . أنظر الفصل الثالث ، ص ١٣٦

(٢) فى الفترة من ٧٤٨ ـ ٧٥٠ هـ استولى أبو الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى على تونس ، فكانت فترة انقطاع للدولة الحفصية ، الى أن عادت سنة ٧٥٠ هـ بطرد أبى الحسن المرينى وعودة الفضل .

(٣) أكتفينا فى ذكر خلفاء الحفصيين حتى أبى اسحاق . علما أن الدولة الحفصية ظلت حتى سنة ٩٨١ هـ .

الجدول السادس عشر :ـ

بنو مرين فى المغرب الأقصى
حتى منتصف القرن الثامن الهجرى

الأمير	الولاية
يعقوب بن عبد الحق	٦٥٧ هـ
يوسف بن يعقوب	٦٨٥ هـ
عامر بن عبد الله بن يوسف	٧٠٦ هـ
سليمان بن عبد الله بن يوسف	٧٠٨ هـ
عثمان بن يعقوب بن عبد الحق	٧١٠ هـ
أبو الحسن على بن عثمان	٧٣١ هـ
أبو عنان فارس بن على	٧٤٩ هـ

الجدول السابع عشر :ـ

ملوك بني زيان حتى نهاية القرن الثامن الهجرى

الأمير	الولاية
يغمراسن بن زيان	٦٣٣ هـ
أبو سعيد عثمان الأول بن يغمراسن	٦٨١ هـ
أبو زيان محمد الأول بن عثمان	٧٠٣ هـ
أبو حمو موسى الأول بن عثمان	٧٠٧ هـ
أبو تاشفين عبد الرحمن الأول بن موسى	٧١٨ هـ
استيلاء بني مرين الاول على تلمسان	٧٢٧ هـ
أبو سعيد عثمان الثانى بن عبد الرحمن	٧٤٩ هـ
الاستيلاء الثانى لبنى مرين	٧٥٣ هـ (١)
أبو حمو موسى الثانى بن يوسف عبد الرحمن	٧٦٠ هـ
أبو تاشفين عبد الرحمن الثانى بن موسى	٧٩١ هـ
أبو ثابت بن عبد الرحمن بن موسى	٧٩٥ هـ
أبو الحجاج يوسف بن موسى	٧٩٥ هـ
أبو زيان بن موسى	٧٩٦ ـ ٨٠١ هـ

(١) فى سنة ٧٢٧ هـ دخل بنو مرين تلمسان حتى إستردها عثمان الثانى سنة ٧٤٩ هـ ثم أستولى عليها أبو عنان فارس المرينى مرة أخرى سنة ٧٥٣ هـ حتى أسترد ها أبو حمو موسى الثانى سنة ٧٦٠ هـ .

ملحق :-

سجل (١)

صادر من المستنصر الفاطمى الى على بن محمد الصليحى

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين .

من عبد الله ووليه : معد أبى تميم ، الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين . الى سيف الأمام ، المظفر فى الدين ، نظام المؤمنين ، على بن محمد الصليحى سلام عليك .

فان أمير المؤمنين يحمد اليك الله الذى لا أله الا هو ، ويسأله أن يصلى على جده محمد ، خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين ، ويسلم تسليما .

أما بعد : فالحمد لله الذى أرسل سماء جوده ، على ساحات أمير المؤمنين مدرارا ، وجعل فلكها يتضاعف عزة واقباله دوارا ، وملائكتها أعوانا لنصره وأنصارا ، المنتقم من كل عدو ولد فاجرا كفارا ، الهاتك ستره وقد هتك لحرمة الصنيعة عنده أستارا ، المدير دائرة السوء عليه أن أتخذ دار البغى على

---

(١) أنظر ماجد ، السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٥ ص ٤٢ ومابعدها

مصطنعه دارا ، وسالبة النعمة أن لم يحسن للمنعم بها عليه جوارا ، ذلكم الله لا أله غيره الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا .

يحمده أمير المؤمنين الها واحدا قهارا ، ويشكر له جزيل نعمه اعلانا واسرارا ، ويسأله أن يصلى على جده الذى بعثه من بين الأنام مختارا ، محمد الداعى الى الحق أعذارا وأنذارا ، الواضح بهدايته عن الخلق أغلالا وآصارا ، وعلى وصية فى أمته السامى منارا ، وسيف نبوته الماضى غرارا — على أبن أبى طالب — العالى شرفا ومقدارا ، وعلى الأئمة من ذريته الحامين جارا ، الزاكين نجارا ، الذين جعلهم الله لمساجده عمّارا ، ولطائف هممهم فى ملكوت السماء سفارا . وقد كان أنتهى اليك من حضرة أمير المؤمنين خبر ابن باديس اللعين فى التياث أموره عليه لما أصبح جسم طاعته للدولة لمتاثا ، وانتكاث مرائر سعاداته لما ثبت عهدها ، فكان كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، وان أمير المؤمنين رماه من كنانة رأيه بنبال أصابت مقاتله ، وضربه بنصال بتت مفاصله ، وأطلق نحوه من أعنة قبائل الرياحية والزغبية من منعه أن يبل ريقا ، وسد لأنفاسه طريقا ، ورمى به فى أسر حصار لا يكاد يكون منه طليقا ، وملك جميع دياره التى كان بها يدل ، ونال منه النيل ، الذى هو على وشك بواره بأذن الله تعالى

يدل ، وسير الأمير ، أمين الدولة ومكينها — حسن بن على —
بوصلهم الى أعمال أفريقية ليؤلف بين قلوب العرب المقدم ذكرهم
على الطاعة تأليفا يذعن له جموعهم ، ويمنعهم من أن يتنازعوا
فيفشلوا وتذهب ريحهم ، ولتكون كلمتهم على استئصال الكفر
للنعمة متفقة ، وآراؤهم فيما يؤدى الى كشف الغمه بمكانة
موفقه ، ولما كان فى هذا الوقت ورد كتاب الى حضرة أمير المؤمنين
يذكر تصبحه فى وجهته بوجه الأقبال ، وفوزه فى نهضته ببلوغ
الآمال ، وأنه لم يذر غلا فى الصدور الا نزعه ، ولا شملا من
صلاح الجمهور الا جمعه ، وأن أصناف العرب دانت له دين
الأمم لربها ، ودارت على قضايا أمره ونهيه دور الرحى على
قطبها ، سار فيهم بجيش يغص بهم البر ، وجحافل كأنهم فى
صفحات البر والبحر ، وبنود أمير المؤمنين ظللت على رأسه
من النصر غماما وطلعت أعلامه أرته من طوالع السعد أعلاما ،
حتى أحدقوا بحصن الخائن الذى لا يكاد من بأس الله يحصنه ،
ولا من أخذه الأليم يؤمنه ، فأطل عليهم اطلال من يجد فى
قلبه من وقع سيف المنايا رجيفا ، ومن وقوع سهامها خفيفا ،
وخرج اليه أبن بلكين صهره على أخته ، وأبن يلمو الذى هو
مقدم قومه ، وأبن حماد الذى هو أخو صاحب قلعة كتامه مستأمنين ،
وبعفو أمير المؤمنين لائذين ، وعلى بابه ترسلا فى مثله عن
صنهاجة وافدين ، ثم فتح حصن قابس وأقام على منابره الدعوة

النبوية ، وصرف العين والورق على السكة المستنصرية ، وولى عليه أبن يلمو المذكور ، وسار بالباقين الى الباب ، وأنه لم يبق فى حصون البحر ، وضواحى البر ، الا ما ألقى الله الى أمير المؤمنين مقاليده ، ومكن منه أنصاره وعبيده ، وأطلع فيه من سعادة النداء بشعاره نجوما ، جعلها للشياطين رجوما ، وأستصحب من مشايخ تلك الأعمال قوما رغبوا فى الشرف بالهجرة الى الحضرة ، والمشافهة بالشكر والدعاء لما نجاهم الله تعالى منه من الغمرة ، وكشف عن وجوههم باضلال ذلك الخائن من الحيرة ، والتماس تدبير أمورهم ما يؤذن بتمام صلاحها بعد أن كساهم الله برحمته رونقا ، ونفس عن مشاربهم بحمد الله رنقا ، فديارهم بالمسار مشمولة ، وعراصهم بالتهانى مأهولة ، وهو وارد قريب المسافة وصحبته خلق من الحجيج ، يذكر أنهم لا يطأون للبدو والحضر الا موطىء الطاعة موطئا ، ولا يصادقون الا مذعنا لها ولصفقته (١) معطيا ، وأنه خلف أبن باديس اللعين محصورا فى شفأة (٢) من الأرض ، محصولا على شفا جرف الأخذ والقبض ، قد فغر الردى له فمه ، ولن يمد بعون الله أن يلتقمه ، وأمير المؤمنين يسأل الله جلت عظمته معونته ، على شكر نعمه التى هو عن القيام بواجب أقلها محصور ، ولسانه عن

---

(١) صفق يده بالبيعة ، أى وضع يده فى يد الخليفة ، ويريد أن يقول : أن هؤلاء الأشخاص دانوا بالطاعة للخليفة .

(٢) الشفأة هى المنفى .

الوفاء بأيسره مقصور ويقول : « الحمد لله الذى أذهب عن الحزن • ان ربنا لغفور شكور » (١) •

أعلمك أمير المؤمنين نبأ هذه العارفه الطارفه لتنشره على المنابر ، وتذيعه فى البوادى والحواضر ، أنشأ الله تعالى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

وكتب فى شهر رمضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة •

والحمد لله وحده ، وصلى الله على المصطفى محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين المهديين وسلم تسليما ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونعم المولى ، ونعم النصير •

---

(١) سورة فاطر آية ٣٤ •

ثَبْتُ
المصَادِرْ وَ المراجِعْ

أ ـ المصادر :ـ

(١) ـ ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى)
ت ٦٥٩ هـ .
« كتاب الحلة السيراء » جزءان
تحقيق دكتور حسين مؤنس .
طبع القاهرة ١٩٦٣ م .

(٢) ـ " "
« التكملة لكتاب الصلة »
تحقيق السيد عزت العطار الحسينى .
طبع القاهرة ١٣٧٥ هـ .

(٣) ـ ابن أبى دينار (أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى ـ المعروف بابن أبى دينار .)
من أواخر القرن الحادى عشر الهجرى .
« المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس »
تحقيق وتعليق محمد شمام
طبع تونس ١٣٨٧ هـ .

(٤) ـ ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) .

ت ٦٣٠ هـ

« الكامل فى التاريخ »

طبع بيروت ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ م .

(٥) ـ " "

« اللباب فى تهذيب الأنساب »

ثلاثة أجزاء .

طبع بغداد دون تاريخ

(٦) ـ ابن أياس (محمد بن أحمد)

« بدائع الزهور فى وقائع الدهور »

طبع القاهرة ١٣١١ هـ .

(٧) ـ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغرى بردى الأتابكى) .

ت ٨٧٤ هـ .

« النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » .

الجزء الخامس .

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

(٨) ـ ابن حزم الأندلسى (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد)

ت ٤٥٦ هـ .

« جمهرة أنساب العرب »

تحقيق وتعليق عبد السلام هارون .

طبع القاهرة ١٣٩١ هـ .

(٩) ـ ابن الخطيب (الوزير لسان الدين بن الخطيب)

ت ٧٧٦ هـ .

« الأحاطة فى أخبار غرناطة »

المجلد الأول .

حققه وقدم له محمد عبد الله عنان .

طبع القاهرة ١٩٥٥ م .

(١٠) ـ " "

« تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط »

القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام .

تحقيق وتعليق

د . احمد مختار العبادى . والأستاذ محمد

ابراهيم الكتانى .

طبع المغرب ١٩٦٤ م .

(١١) ــ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي) .

ت ٨٠٨ هـ .

« تاريخ ابن خلدون »

أجزاء ١ ، ٤ ، ٦ ، ٧ .

طبع بيروت دون تاريخ

(١٢) ــ ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر) .

ت ٦٨١ هـ .

« وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان »

تحقيق د . احسان عباس .

طبع بيروت ١٣٩٧ هـ .

(١٣) ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن) .

ت ٣٢١ هـ .

« الاشتقاق »

تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .

طبع القاهرة ١٣٧٨ هـ .

(١٤) ـ ابن سعيد المغربي .

ت ٦٧٣ هـ .

« المغرب في حلى المغرب »

الجزء الثاني .

تحقيق د . شوقي ضيف .

طبع القاهرة الطبعة الثانية .

(١٥) ـ ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى)

ت ٤٦٣ هـ .

« الأنباه على قبائل الرواه »

ملحق مع كتاب القصد والأمم في التعريف

بأصول أنساب العرب والعجم .

طبع القاهرة ١٣٥٠ هـ .

(١٦) ـ ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله

ابن عبد الحكم بن أعين القرشي المصرى)

ت ٢٥٧ هـ .

« فتوح مصر والمغرب »

تحقيق عبد المنعم عامر .

طبع القاهرة دون تاريخ

(١٧) ـ أبن عبد الحكـم ٠

« كتاب فتوح مصـر وأخبـارها »

طبـع ليـدن ١٩٢٠ م

(١٨) ـ ابن عذارى المراكشى ٠(

« كتاب البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب »

الجـزء الأول ٠

تحقيـــق

ج ٠ س ٠ كولان و ليفى بروفنسـال ٠

طبـع بـيروت دون تاريخ ٠

(١٩) ـ أبن العماد الحنبلى (أبو الفـلاح عبد الحـى)

ت ١٠٨٩ هـ ٠

« شذرات الذهب فى أخبار من ذهب »

جزء ٣

طبع لبنـان دون تاريخ

(٢٠) ـ أبن قتيـبـه (أبو محمد عبد الله بن مسلم) ٠

ت ٢٧٦ هـ ٠

« كتـــاب المعـــارف »

صححه وعلق عليه محمد اسماعيل عبد الله الصاوى ٠

طبـع بـيروت ١٣٩٠ هـ

(٢١) ـ ابن القلانسي (أبو يعلى حمزه)

ت ٥٥٥ هـ .

« ذيل تاريخ دمشق »

طبع بيروت ١٩٠٨ م .

(٢٢) ـ ابن ميسر (محمد بن على بن يوسف بن جلب)

ت ٦٧٧ هـ .

« أخبار مصر »

الجزء الثاني .

طبع القاهرة ١٩١٩ م .

(٢٣) ـ أبو عبيد البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى)

ت ٤٨٧ هـ .

« المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب »

وهو جزء من كتاب المسالك والممالك .

طبع الجزائر ١٨٥٧ م .

(٢٤) ـ أبو محمد الحجارى (وآخرون)

« المغرب فى حلى المغرب »

الجزء الأول

تحقيق د . شوقى ضيف .

طبع القاهرة الطبعة الثانية .

(٢٥) ــ الأزرقـــــــى (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمــد الأزرقــى)

ت ٢٤٧ هـ •

« أخبار مكة وما جاء فيها من الآثــار »

تحقيق رشدى الصالح ملحس •

جزء واحـــد •

طبع مكــة ١٩٧٨م •

(٢٦) ــ التجانـــــــى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن احمد التجانى)

« رحـــــــلة التجانـــــى »

قام بها فى البلاد التونسية والقطر الطرابلسى

٧٠٦ ــ ٧٠٨ هـ •

قدم لها حسن حسنى عبد الوهاب

طبــع تونــس ١٣٧٨ هـ •

(٢٧) ــ الجهشيـــارى (أبو عبد الله محمد بن عبدوس)

ت ٣٣١ هـ •

« كتاب الــوزراء والكتـــاب »

تحقيق مصطفى السقا (وآخــرون)

طبع القاهــرة ١٣٥٧ هـ •

(٢٨) ـ الدبـــاغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري
الأسـيدي) .
ت ٦٩٦ هـ .

« معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان »
الجزء الاول .
طبع القاهـرة . ١٩٦٨ م .

(٢٩) ـ الـــروز راوري (الوزير أبو شجاع محمد بن الحســين
الملـقب ظهـير الدين) .
ت ٤٨٨ هـ .

« ذيــل تجــارب الأمــم »

أعتنى بالنسخ والتصحيح هـ . ف . أمدروز .
طبع القاهــرة ١٩٢٦م .

(٣٠) ـ الســمعانــى (أبو سـعيد عبد الكريم بن محمــد
ابن منصــور التميــمى)
ت ٥٦٢ هـ .

« الأنســاب »

أعتـنى بنشره المستشرق د . س . مرجليوث
طبــع بغــداد ١٩٧٠ م .

(٣١) ــ السمهودى (نور الدين على بن أحمد)

ت ٩١١ هـ .

« وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى »

أربع أجزاء .

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

طبع بيروت ١٩٧١م .

(٣٢) ــ السيوطى (جلال الدين)

« حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة »

جزءان .

طبع مصر ١٢٩٩ هـ .

(٣٣) ــ الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى)

ت ٣١٠ هـ .

« تاريخ الرسل والملوك »

المعروف بتاريخ الطبرى

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم

طبع القاهرة

الجزء الثانى الطبعة الثانية

" الثالث ١٩٦٢ م .

" الرابع ١٩٧٠ م .

الجزء الخامس الطبعة الثانية

" السادس ١٩٦٤ م .

" السابع ١٩٧٢ م .

" التاسع الطبعة الثانية

(٣٤) ـ العبدرى (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى الحيحيى)

" رحلة العبدرى المسماه الرحلة المغربية "

بدأها ٢٥ ذى القعدة ٦٨٨ هـ .

حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسى .

طبع الرباط ١٩٦٨م .

(٣٥) ـ العماد الأصفهانى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد)

ت ٥٩٧ هـ .

" خريدة القصر وجريدة العصر "

القسم الرابع ـ الجزء الأول .

تحقيق

عمر الدسوقى و على عبد العظيم .

طبع القاهرة ١٩٦٤ م .

(٣٦) ــ الفاســـــــى (تقى الدين محمد بن أحمد الحســـنى الفاســى المكــى)

ت ٨٣٢ هـ ٠

« العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين »

الجــزء الثامــن ٠

تحقيق محمود محمد الطناحى ٠

طبــع القاهرة ١٣٨٨ هـ ٠

(٣٧) ــ القلقشـــــندى (أبو العباس أحمـد)

ت ٨٢١ هـ ٠

« نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب »

تحقيــق ابراهــيم الأبيــارى ٠

طبــع القاهــرة ١٩٥٩ م ٠

(٣٨) ــ الكندى المصــرى (أبو عمر محمد بن يوســـف)

ت ٣٥٠ هـ ٠

« كتاب الولاه وكتــاب القضـــاه »

طبــع بــيروت ١٩٠٨ م ٠

(٣٩) ـ مجهول (كاتب مراكشي مجهول من كتاب القرن السادس الهجري)

« كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار »

نشر وتعليق د . سعد زغلول عبد الحميد .

طبع الاسكندرية ١٩٥٨ م .

(٤٠) ـ المراكشي (عبد الواحد)

ت ٦٧٤ هـ .

« المعجب في تلخيص أخبار المغرب »

من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين .

تحقيق محمد سعيد العريان .

طبع القاهرة ١٩٦٣ م .

(٤١) ـ المقري (الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني)

ت ١٠٤١ هـ

« نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب »

ثمانية مجلدات .

تحقيق د . احسان عباس

طبع بيروت ١٣٨٨ هـ .

(٤٢) ـ المقريزى (تقى الدين أبو العباس أحمد بن على)
ت ٨٤٥ هـ •

« كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار »
المعروف بالخطط المقريزية •
جزءان •
طبع بيروت دون تاريخ •

(٤٣) ـ المقريزى

« البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب »
مع دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل •
تحقيق وتأليف د • عبد المجيد عابدين •
طبع القاهرة • ١٩٦١ م •

(٤٤) ـ "

« اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين
الخلفا »
الجزء الأول •
تحقيق د • جمال الدين الشيال •
الجزء الثانى •
تحقيق د • محمد حلمى محمد أحمد •
طبع القاهرة • ١٣٩٠ هـ •

(٤٥) ــ المكتبة العربية الصقلية .

جمعها المستشرق ميخائيل أمارى .

طبع ليبسك ١٨٥٧ م .

(٤٦) ــ الهمداني (لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني)

ت ٣٣٤ هـ .

" صفة جزيرة العرب "

تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالى .

طبع القاهرة . ١٣٩٧ هـ .

(٤٧) ــ ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى)

ت ٦٢٦ هـ .

" معجم البلدان "

خمسة أجزاء .

طبع بيروت . ١٣٧٤ هـ .

ب ـ المراجـــــع : ـ

(٤٨) ـ أبراهيم حركات

« المغرب عبر التاريخ »

المجلد الأول .

طبع المغرب . ١٣٨٤ هـ .

(٤٩) ـ احسان حقي

« تونس العربية »

طبع بيروت دون تاريخ

(٥٠) ـ أحمد بن أبي الضياف

« أتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان »

طبع تونس . ١٣٩٦ هـ .

(٥١) ـ أحمد توفيق المدني

« المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا »

طبع سيركوز ١٣٦٥ هـ .

(٥٢) ـ أحمد رشدى صالح

« فنون الأدب الشعبى »

الجزء الثانى

طبع القاهرة ١٩٥٦م .

(٥٣) ـ أحمد السعيد سليمان (الدكتور)

« تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة »

الجزء الأول .

طبع القاهرة ١٩٧٢ م .

(٥٤) ـ أحمد مختار العبادى (الدكتور)

« دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس »

طبع الاسكندرية ١٩٦٨م .

(٥٥) ـ جواد على (الدكتور)

« المفصل فى تاريخ العرب قبل الأسلام »

الجزء الأول ١٩٧٦ م .

" الرابع ١٩٧٧ م .

" السادس ١٩٧٨ م .

الجـــزء السـابع 		١٩٧١ م .
" 	الثامـــن 		١٩٧١ م .
" 	التاسـع 		١٩٧٨ م .

(٥٦) ـ الحبيـب الجنحـانى (الدكتـور)

" القـــــيروان "
عبر عصور ازدهار الحضارة الاسلامية فـى
المغـرب العربـــى .
طبـع تونـس 		١٩٦٨ م .

(٥٧) ـ حسن ابراهيم حسـن (الدكتور) وطه أحمد شرف (الدكتور)

" المعـز لديـن اللـه "
طبـع القاهـرة . 		١٩٦٤ م .

(٥٨) ـ " " " [illegible]

" تاريخ الاسلام السياسـى "
الجـزء الثالـث .
طبع القاهـرة . 		١٩٤٩ م .

(٥٩) ـ حسن ابراهيم حسن (الدكتور)

« الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينيه بوجه خاص »

طبع القاهرة ١٩٣٢ م .

(٦٠) ـ " " "

« تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب »

طبع القاهرة ١٩٥٢ م .

(٦١) ـ حسن حسنى عبد الوهاب

« خلاصة تاريخ تونس »

طبع تونس . ١٩٧٦ م .

(٦٢) ـ حسن سليمان محمود (الدكتور)

« ليبيا بين الماضى والحاضر »

طبع القاهرة ١٩٦٢ م .

(٦٣) ـ حسين مؤنس (الدكتور)

« فجر الاندلس »

دراسة فى تاريخ الأندلس من الفتح

الاسلامى الى قيام الدولة الأموية

طبع القاهرة . ١٩٥٩ م .

(٦٤) ـ حمد بن ابراهيم الحقيل

« كنز الأنساب ومجمع الآداب »

الطبعة الثالثة ١٣٩٣ هـ .

(٦٥) ـ ساطع الحصرى (أبو خلدون)

« دراسات عن مقدمة ابن خلدون »

مكتبة الخانجى بالقاهرة .

دار الكتاب العربى بيروت .

(٦٦) ـ سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور)

« كتاب تاريخ المغرب العربى »

طبع الاسكندرية . ١٩٦٥ م .

(٦٧) ــ السيد عبد العزيز سالم (الدكتور)

« المغرب الكبير »

العصر الاسلامى .

طبع القاهرة ١٩٦٦ م .

(٦٨) ــ سيدة اسماعيل كاشف (الدكتورة)

« مصر فى فجر الاسلام »

من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية .

طبع القاهرة . ١٩٧٠ م .

(٦٩) ــ شكيب أرسلان (الأمير)

« الحلل السندسية فى الأخبار والآثار

الاندلسية »

الجزء الأول .

طبع بيروت دون تاريخ

(٧٠) ــ الطاهر أحمد الزاوى

« تاريخ الفتح العربى فى ليبيا »

الطبعة الثالثة .

(٧١) ـ عاتق غيث البلادى (المقدم)

« معجم قبائل الحجاز »

طبع مكة . ١٣٩٩ هـ .

(٧٢) ـ عارف تامر

« القرامطة »

أصلهم ـ نشأتهم ـ تاريخهم ـ حروبهم .

طبع بيروت . دون تاريخ

(٧٣) ـ عبد الحميد يونس (الدكتور)

« الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى »

طبع القاهرة . ١٩٥٦ م .

(٧٤) ـ عبد الرحمن باغى (الدكتور)

« حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها »

طبع بيروت . ١٩٦١ م .

(٧٥) ـ عبد الرحمن الرافعى وسعيد عاشور (الدكتور)

« مصر فى العصور الوسطى »

من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى .

طبع القاهرة ١٩٧٠ م .

(٧٦) ـ عبد الرحمن الحجى (الدكتور)

« التاريخ الأندلسى »

من الفتح السلامى حتى سقوط غرناطة .

الطبعة الأولى .   ١٣٩٦ هـ .

(٧٧) ـ عبد العزيز الأهوانى (الدكتور)

« ابن خلدون وتاريخ فنى التوشيح والزجل »

مستلة من « أعمال مهرجان ابن خلدون

المنعقد فى القاهرة سنة ١٩٦٢م .

طبع القاهرة .

(٧٨) ـ عبد القدوس الأنصارى

« بنو سليم »

طبع بيروت   ١٣٩١ هـ .

(٧٩) ـ عبد الله خورشيد البرى (الدكتور)

« القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة

الأولى للهجرة » .

طبع القاهرة .   ١٩٦٧ م .

(٨٠) ــ عبد المنعم ماجد (الدكتور)

« الأمام المستنصر بالله الفاطمي »

طبع القاهرة ٠ ١٩٦١ م ٠

(٨١) ــ عبد المنعم ماجد (الدكتور)

« ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر »

التاريخ السياسي ٠

طبع القاهرة ٠ ١٩٧٦ م ٠

(٨٢) ــ عبد المنعم ماجد (الدكتور)

« الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه »

طبع القاهرة ٠ ١٩٥٩ م ٠

(٨٣) ــ على ابراهيم حسن (الدكتور)

« تاريخ جوهر الصقلي »

طبع القاهرة ٠ ١٩٣٣ م ٠

(٨٤) ــ عمر رضا كحالة

« جغرافية شبه جزيرة العرب »

طبع دمشق ٠ ١٣٦٤ هـ ٠

(٨٥) ـ عمر رضا كحالة

« معجم قبائل العرب القديمة والحديثة »

ثلاثة أجزاء .

طبع بيروت . ١٣٨٨ هـ .

(٨٦) ـ عمر الصالح البرغوثى

« الوزير اليازورى »

طبع دار الفكر العربى .

(٨٧) ـ فاروق خورشيد

« أضواء على السير الشعبية »

طبع القاهرة . ١٩٦٤ م .

(٨٨) ـ فؤاد حسنين على (الدكتور)

« قصصنا الشعبى »

طبع القاهرة . ١٩٤٧ م .

(٨٩) مبارك بن محمد الهلالى الميلى

« تاريخ الجزائر فى القديم والحديث »

الجزء الثانى

طبع لبنان ١٩٦٣م .

(٩٠) ـ محمد أبو الفضل ابراهيم و على محمد البجـاوى .

" أيـام العرب فى الاسـلام "

طبـع القاهـرة . ١٣٨٨ هـ .

(٩١) ـ محمد أحمد جاد المولى . وآخـرون .

" أيـام العـرب فى الجاهليـة "

طبـع بـيروت . ١٣٦١ هـ .

(٩٢) ـ محمد جمال الدين سرور (الدكتور)

" سـياسـة الفاطميـين الخارجية "

طبـع القاهـرة . ١٣٩٣ هـ .

(٩٣) ـ " " " " (الدكتـور)

" النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق "

فى القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة .

طبـع القاهـرة . ١٩٦٤ م .

(٩٤) ـ محمد حمدى المنـاوى (الدكتور)

" نهـر النيـل فى المكتبة العربية "

طبع القاهـرة . ١٩٦٦ م .

(٩٥) ـ محمد حمدى المنـاوى (الدكتور)

« الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى »

طبـع القاهـرة ١٩٧٠ م ٠

(٩٦) ـ " " " (الدكتور)

« مصـــر فى ظـل الاســـــلام »

الجـزء الأول ٠

طبـع الاســكنـدرية ٠ ١٩٧٠ م ٠

(٩٧) ـ محمد سـعيد القشـاط

« الأدب الشـعبى فى ليبيـــا »

الطبعة الأولـــى ٠ ١٣٨٧ هـ ٠

(٩٨) ـ محمد عبد الله عنـان (الأسـتاذ)

« الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية »

طبع القاهـــرة ٠ ١٩٣٧ م ٠

(٩٩) ـ محمد عبد المنعم خفاجى (الدكتـور)

« قصـة الأدب فى ليبيا العربية من الفتـح

الاســلامى الـى اليـــــوم »

الجـزء الأول ٠

طبع القاهـــرة ٠ دون تاريخ ٠

(١٠٠) ـ محمد المرزوقي .

" الأدب الشعبي في تونس "

طبع تونس .　　١٩٦٧ م .

(١٠١) ـ محمد الهادي العامري .

" تاريخ المغرب العربي "

طبع تونس .　　١٩٧٤ م .

(١٠٢) ـ محمود شيت خطاب (اللواء الركن)

" قادة الفتح الاسلامي "

المغرب العربي

الجزء الثاني

الطبعة الثانية .　　١٣٩٣ هـ .

(١٠٣) ـ مصطفى غالب .

" تاريخ الدعوة الاسماعيلية "

من أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر

طبع بيروت .　　الطبعة الثانية .

ج ـ المؤلفات المصرية :ـ

(١٠٤) ـ دائرة المعارف الأسلامية .

الطبعة العربية .

(١٠٥) دوزى .

" تاريخ مسلمى أسبانيا "

الجزء الأول ـ الحروب الأهلية .

ترجمة د . حسن حبشى .

طبع القاهرة . ١٩٦٣ م .

(١٠٦) ـ زامباور .

" معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى

التاريخ الاسلامى "

جزءان .

ترجمة .

د . زكى محمد حسن و د . حسن أحمد محمود

طبع القاهرة . ١٩٥١ و ١٩٥٢ م .

(١٠٧) ـ كارل بروكلمـــــــان .

« تاريخ الشـــعوب الاســـــلامية »

ترجمـــة .

نبيــه أمــين فارس و منــير البعلبكــى .

طبع بــيروت الطبعة السادســة .

د ـ القصص الشعبي :ـ

(١٠٨) ـ قصة جابر وجبير .

(١٠٩) ـ تغريبة بني هلال ورحيلهم الى بلاد المغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة .

(١١٠) ـ عمر أبو النصر .

تهذيب

تغريبة بني هلال ورحيلهم الى بلاد المغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة .

هـ ـ المراجـــــع الأجنبيــــة :ـ

(١١١) ـ

Bernard Lewis, Egypt and Syria to the end of the Fatimid Caliphate.

The cambridge History of Islam

Vol I A 1970

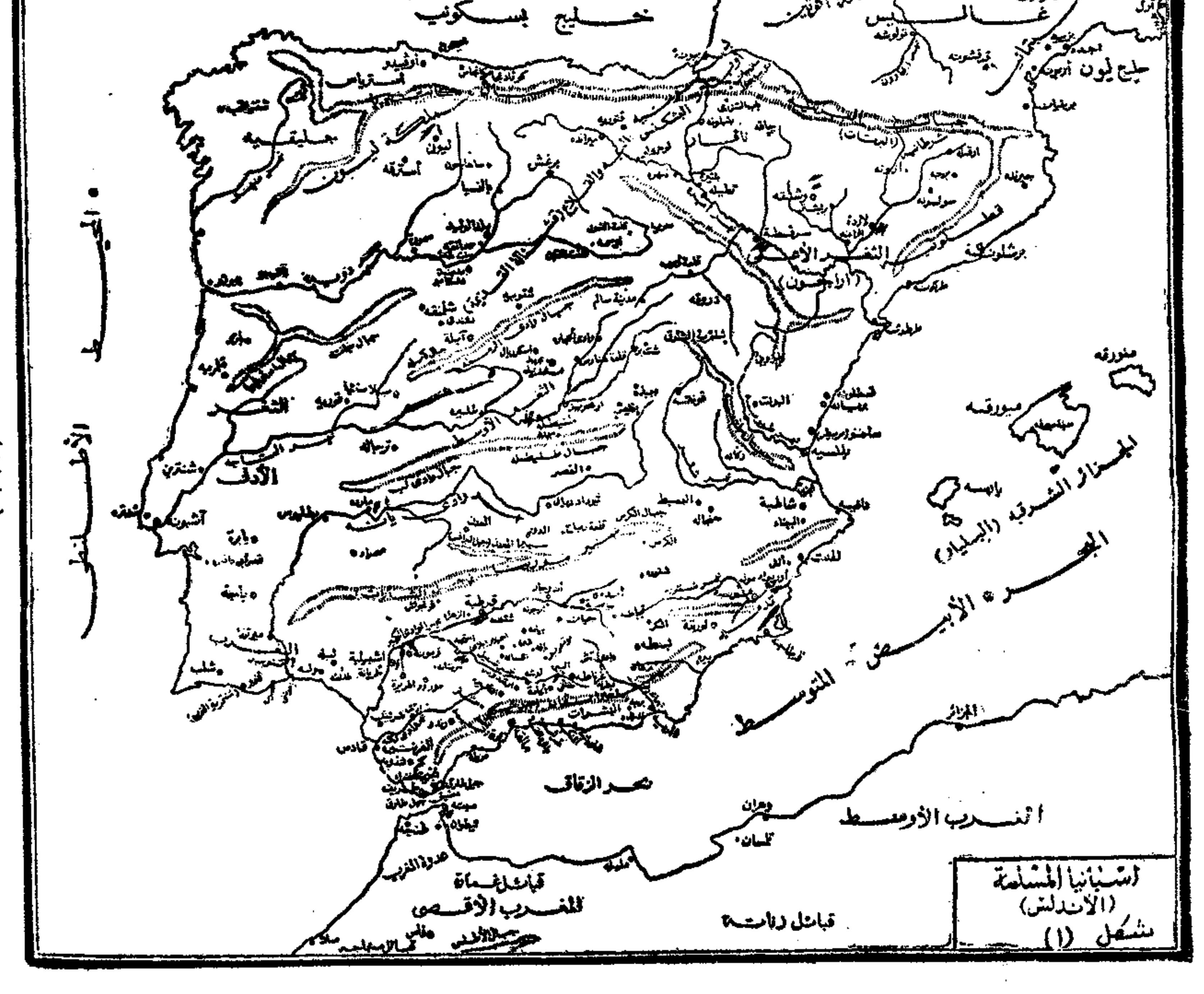
(١١٢) ـ

Standey Lone Poole , M . , L . tt.D

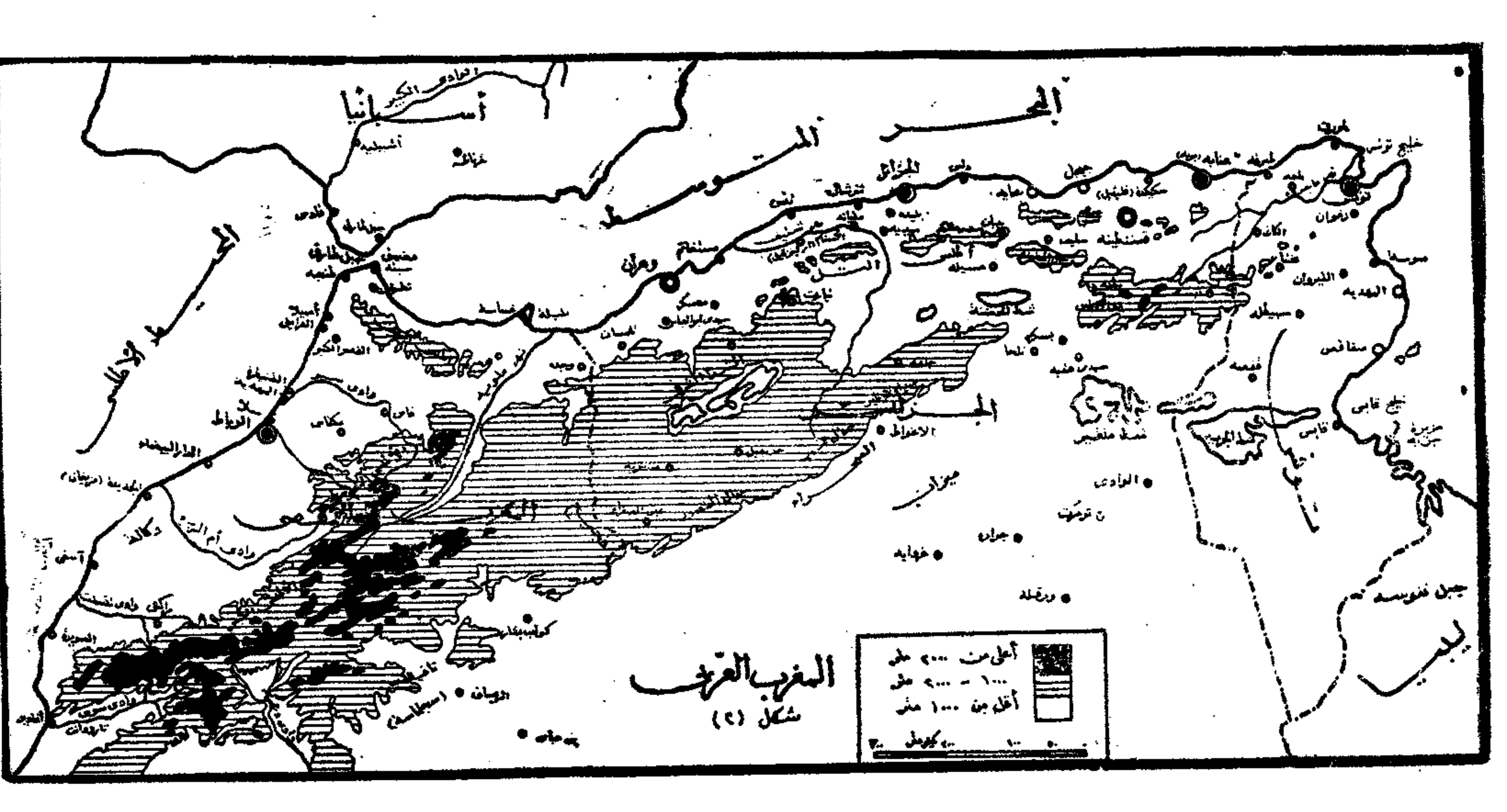
History of Egypt in the middle ages.

4 Edetion London

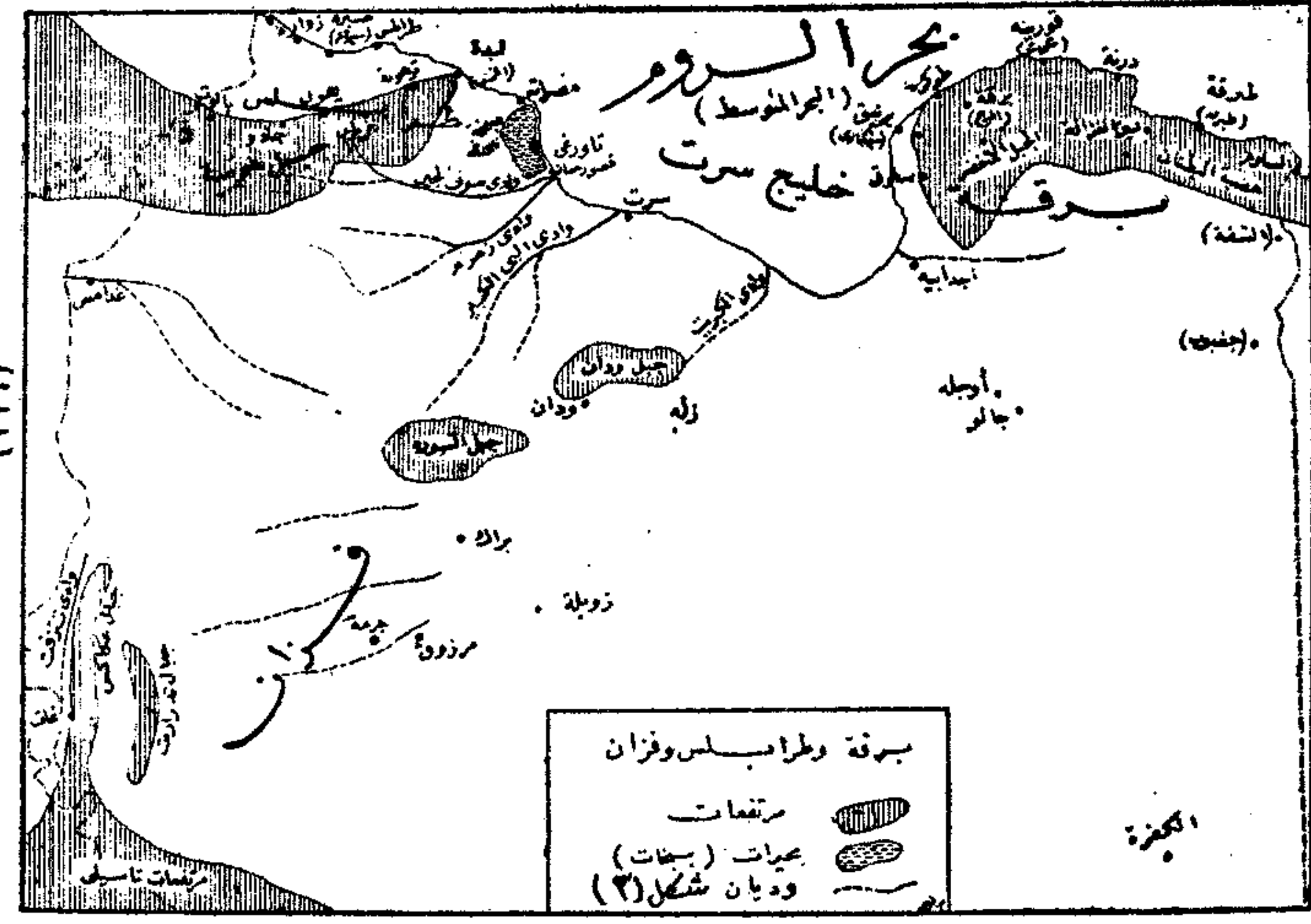
الخرائط



اسبانيا المسلمة
(الأندلس)
شكل (١)
المحيط الأطلنطي
خليج بسكونيه
خليج ليون
البحر الأبيض المتوسط
الجزائر الشرقية (البليار)
ميورقه
منورقه
يابسه
بحر الزقاق
المغرب الأوسط
المغرب الأقصى
قبائل غمارة
قبائل زناتة
الثغر الأعلى
(أراجون)
الثغر الأدنى
قرطبة
اشبيلية
وهران
تلمسان



المغرب العربي
شكل (٢)
أعلى من ٢٠٠٠ متر
١٠٠٠ – ٢٠٠٠ متر
أقل من ١٠٠٠ متر
البحر المتوسط
المحيط الأطلسي
أسبانيا
ليبيا



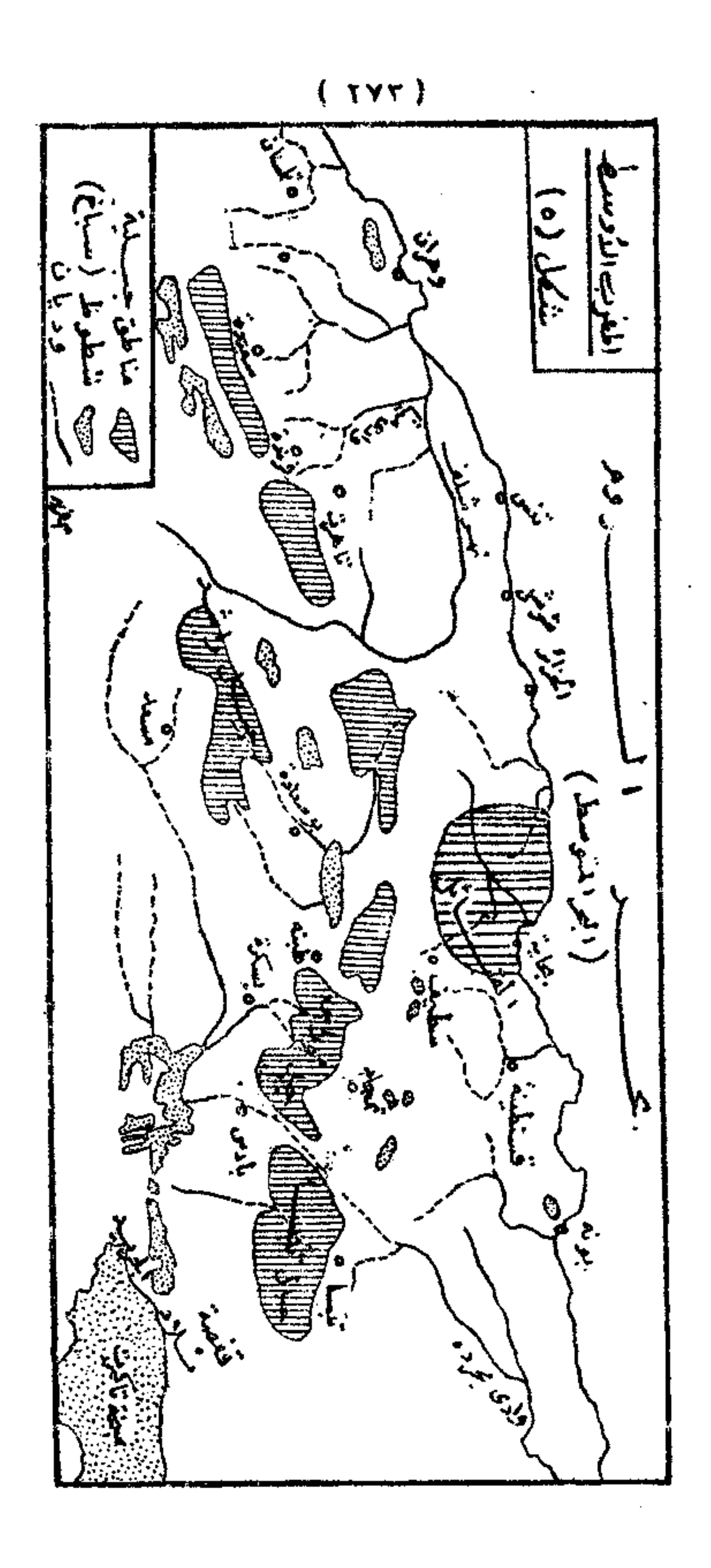
بحر الروم
(البحر المتوسط)
خليج سرت
برقة
فزان
سرت
تاورغى
أجدابية
وادي الكبريت
جبل ودان
ودان
زلة
أوجلة
جالو
(جغبوب)
جبل السودة
براك
زويلة
جرمة
مرزوق
الكفرة
غدامس
وادي زمزم
درنة
طلرقة
برقة وطرابلس وفزان
مرتفعات
بحيرات (سبخات)
وديان
شكل (٣)

أفريقية وطرابلس

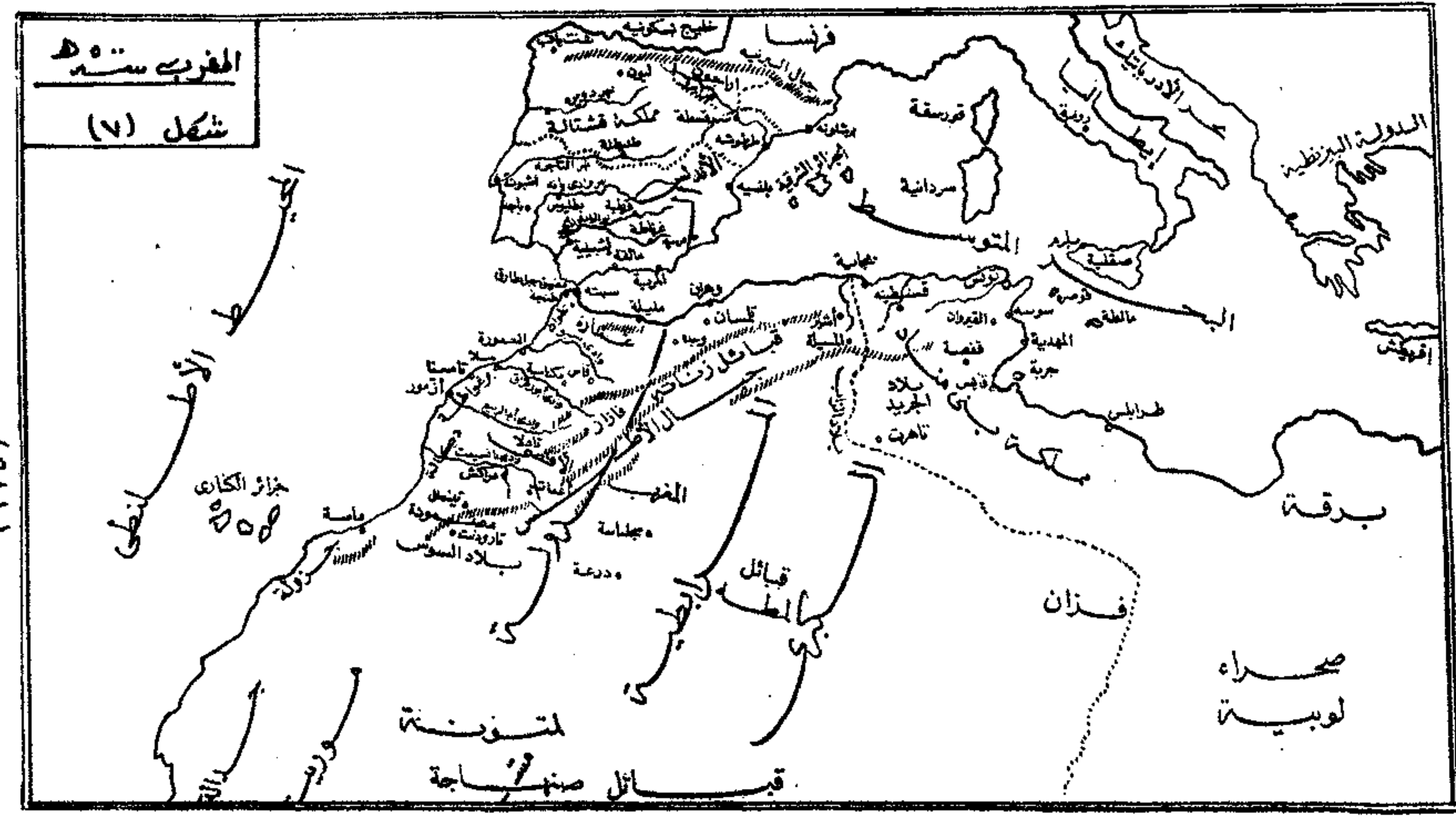
شكل (٤)

ودیان
مناطق جبلية (أكثر من ... متر ارتفاعا)
سباخ (شطوط)

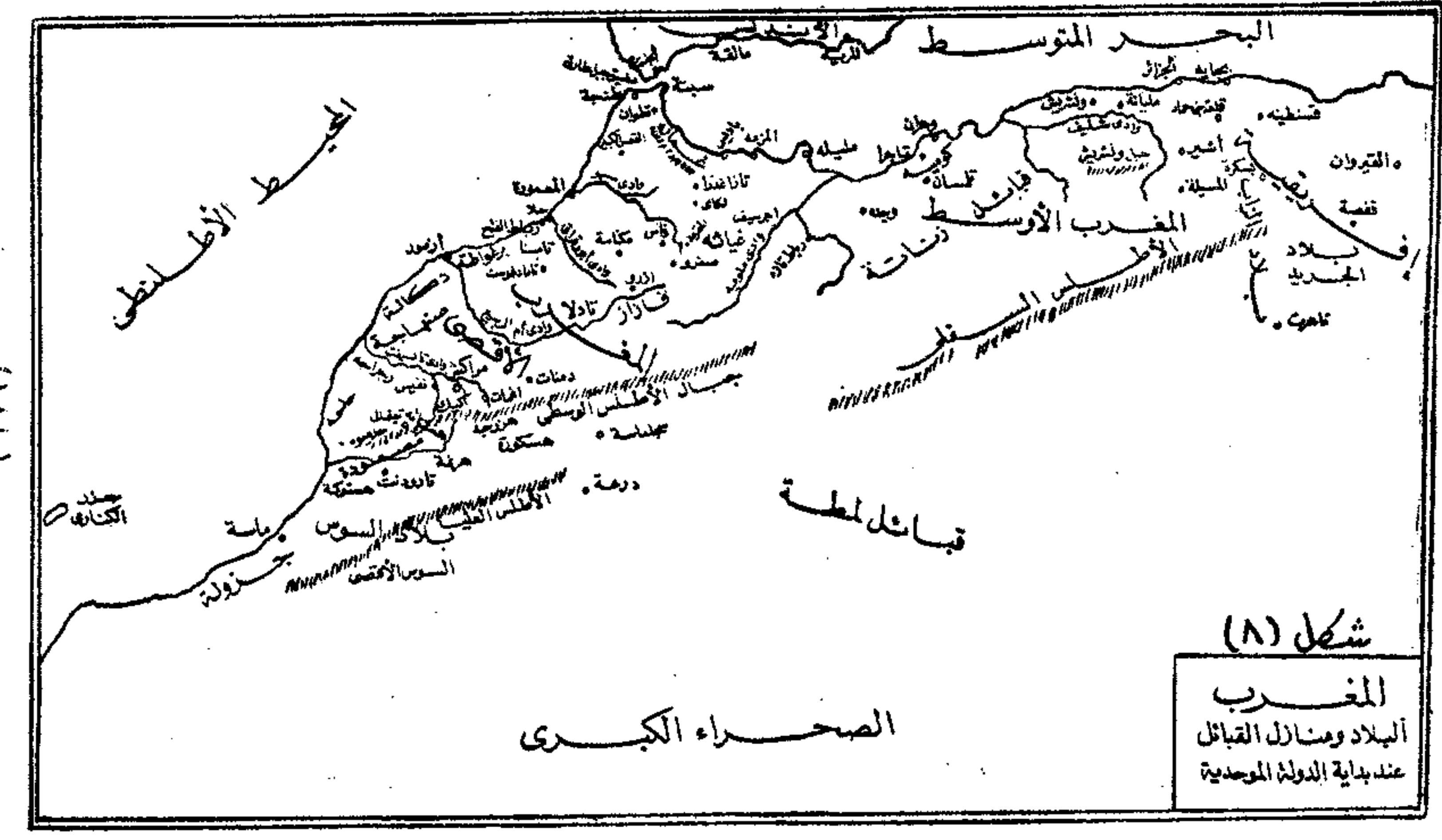
طبرقة
بونة (عنابة)
بنزرت
تونس
قسنطينة
القيروان
سوسة
المنستير
(المهدية)
سرزياد
سفاقس
قابس
قفصة
نفزاوه
سبخة تاكرت
باغاية
باديس
(Caput Vada)
جزيرة جربة
زوارة
زواغه (صبراته)
طرابلس
تاجورا
تاورغا
مسراته
الطرابلس
جبل نفوسة


المغرب الأوسط
شكل (٥)
بحر الروم
(البحر المتوسط)
بونه
بجاية
قسنطينة
سطيف
وادى مجرده
تنس
وهران
تلمسان
نهر شلف
تاهرت
بوسعادة
طبنه
بسكرة
بادس
تبسا
قفصة
مسعد
مناطق جبلية
شطوط (سباخ)
وديان

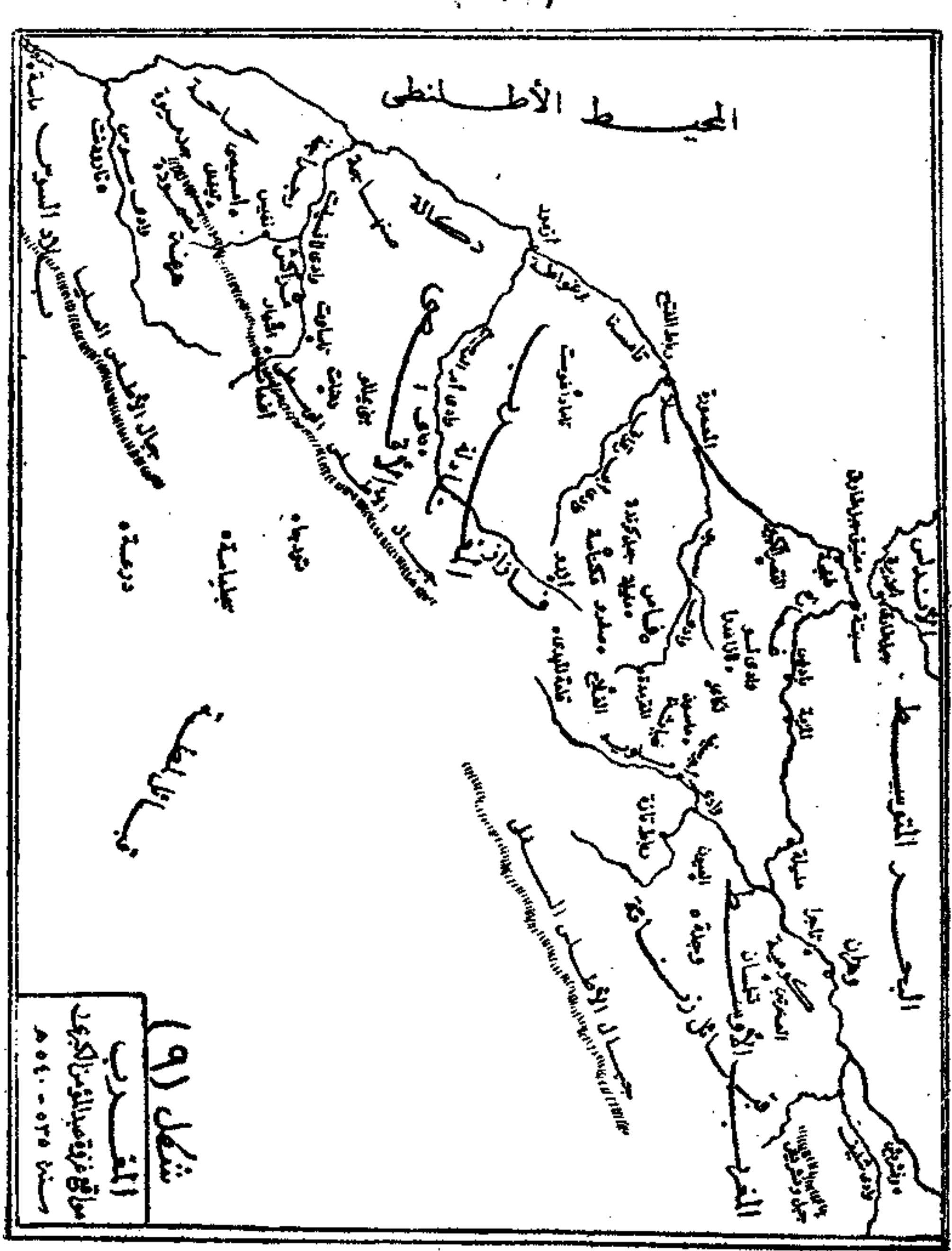
المغرب الأقصى
شكل (٦)



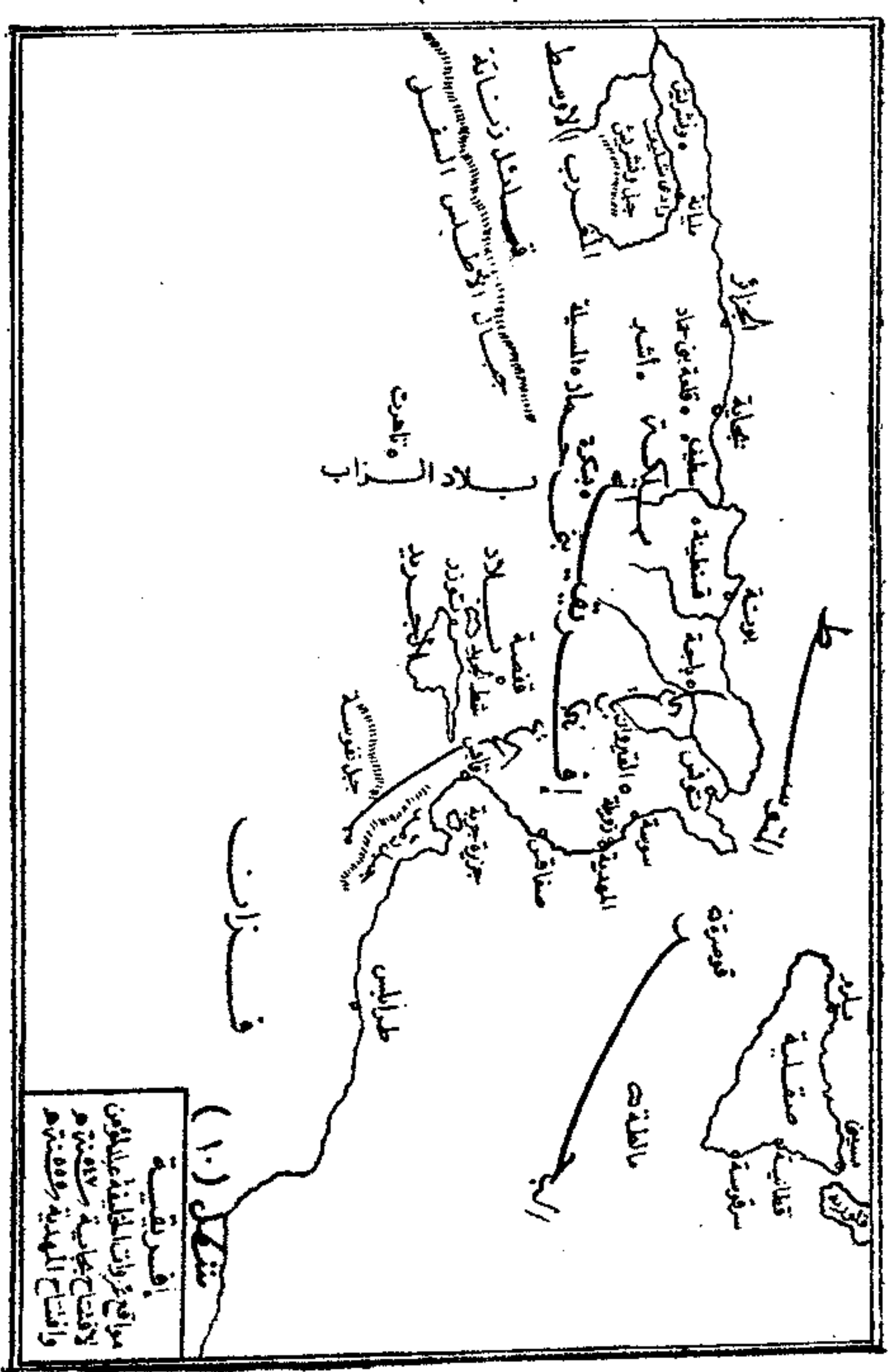
شكل (٧)
المغرب سنة ٥٠٠ هـ

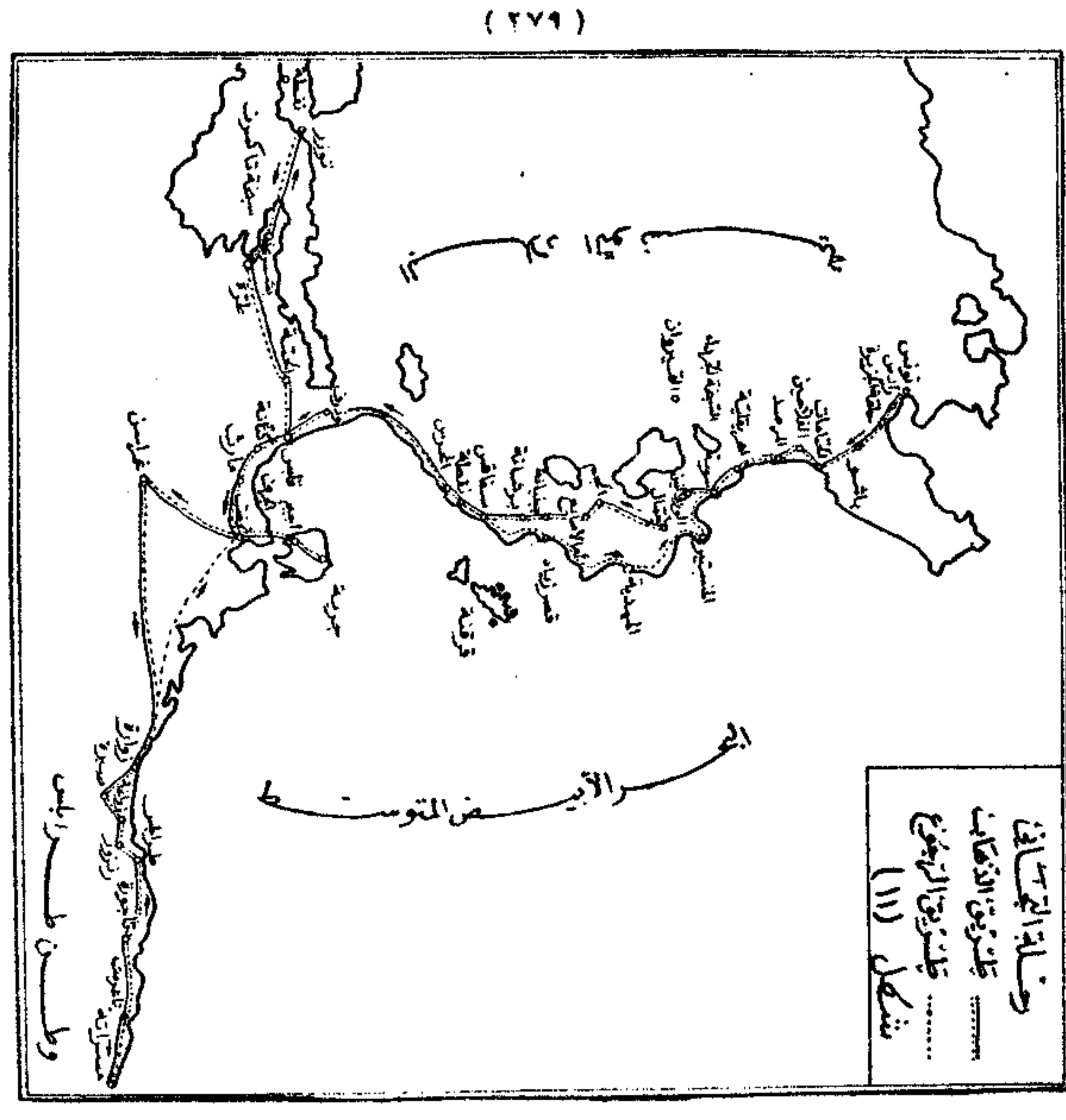


شكل (٨)
المغرب
البلاد ومنازل القبائل
عند بداية الدولة الموحدية



البحر المتوسط
المحيط الأطلنطي
الأندلس
سبتة
طنجة
القصر الكبير
وهران
تلمسان
المغرب الأوسط
وجدة
قبائل زناتة
جبال الأطلس السفلى
المعمورة
رباط الفتح
سلا
فاس
مكناسة
آزمور
دكالة
تادلة
المغرب الأقصى
صنهاجة
مراكش
أغمات
تادجاء
سجلماسة
درعة
قبائل لمطة
جبال الأطلس العليا
بلاد السوس
تارودنت
ماسة
شكل (٩)
المغرب
مواقع غزوة عبد المؤمن الكبرى
سنة ٥٣٥ - ٥٤٠ هـ


شكل (١٠)
إفريقية
مواقع غزوات الخليفة عبد المؤمن لافتتاح بجاية سنة ٥٤٧ هـ وافتتاح المهدية سنة ٥٥٥ هـ
البحر المتوسط
صقلية
قطانية
سرقوسة
قوصرة
مالطة
تونس
سوسة
المهدية
زويلة
القيروان
صفاقس
جزيرة جربة
قابس
طرابلس
فزان
جبل نفوسة
بونة
باجة
قسنطينة
سطيف
بجاية
الجزائر
مليانة
ونشريش
جبل ونشريش
قلعة بنى حماد
أشير
المسيلة
بسكرة
المغرب الأوسط
إفريقية
تاهرت
قفصة
شط الجريد
توزر
بلاد الجريد
قبائل زناتة
جبال الأطلس السفلى


رحلة التجاني
طريق الذهاب
طريق الرجوع
شكل (١)
البحر الأبيض المتوسط

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحــــــة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

فهرس الخرائط

• بيـان الخرائـــط •

ملحق الشّعر

تقـــــــــديم

هذا الملحق ، جمعت فيه ما أمكنني العثور عليه من أشعار تدور حول بني هلال وبني سليم ، سواء كانت هذه الأشعار قد قيلت فيهم أو لهم ، أو صدرت عن شعرائهم .

وهدفت من ذلك أمرين :ـ

الأول : محاولة ضم هذه الأشعار المبعثرة في أكثر من مصدر في مجموعة واحدة ، حتى يسهل الرجوع اليها لمن يريد . وهو عمل لم يسبقني اليه أحد على ما أظن .

الثاني : محاولة بيان الحدث التاريخي الذي دارت حوله هذه القصيدة أو تلك . فهذه الأشعار صدرت في مناسبات مختلفة . ولذلك حرصت ما أمكنني ـ على ألقاء الضوء على تلك الأحداث ، سواء عند التعريف بالمادح أو الممدوح أو بالاحالة الى صلب البحث نفسه . وأعتقد ـ دون غرور أن لهذا العمل أهميته الكبيرة ، بالنسبة للمؤرخ أو لرجل الأدب على السواء . وفي ذلك يصدق القول أن الشعر ديوان العـــــرب .

أما أهم المصادر التي جمعت منها هذه الأشعار فهي :ـ

العماد الاصفهاني : خريدة القصر .

التجاني : رحلة التجاني .

أبن الأثير : الكامل في التاريخ .

المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب .

أبن خلدون : المقدمة .

ويلاحظ أمران :ـ

الأول : أن هناك اختلافا في بعض القصائد التي أشترك العماد الأصفهاني والتجاني في أيرادها . وقد أوضحت هذا الأختلاف الذي يهم رجال الأدب في المقام الأول .

الثاني : أختلاف نوعية الشعر الذي أورده العماد والتجاني والمراكشي عن الشعر الذي أورده أبن خلدون في مقدمته ؛ من حيث الجزالة اللفظية وحسن السبك والألتزام بقواعد الأعراب . فالأشعار التي أوردها ابن خلدون تكاد تقرب من الشعر الشعبي وان كان ابن خلدون يدافع عن ذلك بشدة وبلاغة فيقول (١) : « فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٥١٠ .

فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ، ويأتون فيه المطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ويستطردون في الخروج من فن الى فن في الكلام ، وربما هجموا على المقصود لأول كلامهم وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ، ثم بعد ذلك ينسبون . فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالأصمعيات نسبة الى الأصمعي راوية العرب في أشعارهم ، وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي .... ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول ، والمتأخرون والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد وخصوصا علم اللسان يستنكر هذه الفنون التي لهم اذا سمعها ، ويمج نظمهم ، اذا أنشد ، ويعتقد أن ذوقه انما نبا عنها لأستهجانها وفقدان الأعراب منها ، وهذا انما أتى من فقدان الملكة في لغتهم ، فلو حصلت له الملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها ان كان سليما من الآفات في فطرته ونظره . والا فالإعراب لا مدخل له في البلاغة ، انما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولمقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالا على الفاعل ، والنصب دالا على المفعول أو العكس ، وانما

يدل على ذلك قرائن الكلام ، فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل المملكة ، فاذا عرف اصطلاح فى ملكه وأشتهر صحت الدلالة ، واذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ، ولا عبرة بقوانين النحاة فى ذلك وأساليب الشعر وفنونه موجودة فى أشعارهم ، هذا ماعدا حركات الأعراب فى أواخر الكلم ، فان أغلب كلماتهم موقوفة الآخر ، ويتميز عندهم الفاعل من المفعول ، والمبتدا من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الأعراب . »

وها أنا بدورى أورد هذه الأشعار ، دون الدخول فى محاولة نقدها لغويا ، فهذا أمر لا أدعى العلم به . ولكن همى أن أوضح دلالتها التاريخية .

القصيدة ((١))

الشاعر :-
الأمير أبو محمد جعفر بن الطيب الكلبي .

الغرض :- مدح
مدافع بن رشيد بن كامل صاحب قابس .

التعريف بالشاعر : -

من شعراء جزيرة صقلية وهو من أسرة الكلبيين التى حكمت صقلية نحو مئة عام بدأت سنة ٣٣٦هـ ، وكان أول حكام هذه الأسرة الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى الذى كان مواليا للفاطميين ويتلقى معوناتهم واستطاع أن يخمد الفتن القائمة فى جزيرة صقلية .

أثنى مصنف كتاب « الدرة الخطيرة والمختار من شعراء الجزيرة » وهو أبو القاسم على بن عبد الرحمن بن جعفر بن على السعدى المعروف بابن القطاع المتوفى بالقاهرة سنة ٥١٥هـ على شاعرنا هذا ووصفه بالفضائل الكثيرة وذكر أن بينهما مكاتبات ، وسرد منها طرفا وطرفا (١)

التعريف بالممدوح :-

مدافع بن رشيد بن مدافع بن كامل بن جامع الهلالى ، آخر من ملك

(١) أنظر العماد الاصفهانى ، خريدة القصر ، القسم الرابع الجزء الاول ، ص ، ٥١ ، ٩٢ ، ١٣٤ .

قابس من بني جامع ، ومن يده أخذها الموحدون سنة ٥٥٤هـ • وقد كان عبد المؤمن بن علي الخليفة الموحدي لاطفه واستدعاه بأشعار خاطبه بها ، وتلوم عليه فأمتنع من جوابه • فلما وصل عبد المؤمن لحصار المهدية سنة ٥٥٤هـ أنفذ اليه عسكرا قائده أبنه عبد الله ، فلما علم علم مدافع بأقباله جمع أهله وعشيرته ومن انحاش اليه وفر • ولقيه عسكر عبد الله فاتبعته شرذمة من جيش عبد الله فأنهزم مدافع وقتل جماعة من أهله وعشيرته ، وملك الموحدون قابس • وتوغل مدافع في الهرب فأستجار بأعراب طرابلس فأجاروه •

وكان مدافع شاعرا حافظا للسيرة والأخبار ، عالما بالأنساب وبعد أن مضى عليه عامان وهو طريد ، أستشار عشيرته في اللحاق بعبد المؤمن فأشاروا عليه بذلك فسار اليه فلقيه بمدينة قابس فرضى عنه وأسكنه هناك ، فتوفى بها وقد ناهز التسعين (١) •

القصيدة (٢) :ـ

أراها للرحيل مشوّرات	جمالا بالجمال محملات
تتيه على الركائب في سراها	بأقمار عليها طالعات

(١) أنظر التجاني ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ ـ ١٠١

(٢) نقلنا القصيدة عن العماد الاصفهاني ، المصدر السابق ، ص ١٣٤ وما بعدها •

ولو نظرت لمن تسرى اليه ⁂ لصدت عن وجوه الغانيات

وسارت والفلاة لها ركاب ⁂ كما كانت ركابا للفلاة

ولم تعلن بشيء غير شمر ⁂ منابتة بأفواه الرواة

تمر على المياه ولم تردها ⁂ كأن الرى فى زجر الحداة

أقول لها وقد علقت ذميلا ⁂ بأجفان لزجرى سامقات

سأنزل عنك فى مرعى خصيب ⁂ وماء بارد عذب فرات

بأرض مدافع مأوى الأمانى ⁂ وقتال السنين المجدبات

فيجمل عنك همى فوق طرف ⁂ سبوق من خيول سابقات

أغر تخاله ريحا أعيرت ⁂ قوائم باللجين محجلات

كساه الليل أثوابا ولكن ⁂ تراها بالصباح مرقعات

وحسبك ما تفرّق من نوال ⁂ بأيد للمكارم جامعات

فقد أطعمت فى جدواك حتى ⁂ سباع الطير من بعض العفاة

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

القصـــــيدة ((٢))

الشـــاعر : ـ
أبن فرحـــان القابســـى

الغـــرض : ـ مـــدح
مدافـع بن رشـــيد (السابق ذكـره)

التعريف بالشـــاعر :ـ

هو ســلام بن أبى بكر بن فرحـان ، من قابس مدينة من أعمـــال القـيروان ، فكان جليسـا ووزيـرا لأمـيرها مدافع بن رشيد ، وقتـــل أبن فرحان يوم خروج الأمير مدافع من قابس واسـتيلاء الموحدين عليها .

يقول التجانى أن أبن فرحان بذل نفسـه دون الأمير مدافع يـــوم خروجهم من قابـــس ، وقاتل عنـه الى أن قتـل .

وهذه القصيدة أنشدها أبن فرحان فى تهنئة الأمير مدافع بشهـــر رضان ســـنة ٥٥٣ هـ (١) .

---

(١) أنظر العماد الأصفهانى ، المصدر السـابق ، ص ١٤٥ ومابعدها .

القصـــــيدة : ـ

بربــع رامـــة رام الركب الـمــامــا ـــــ فقاضى صبرى وفاض الدمع تسجاما (١)

وقـــل للربــع منــا أن نلم بــه ـــــ وأن نحيى به رسمــــا وأعــلامــا (٢)

ســقيا لعصر الصبا لو كان متصلا ـــــ ما كان أطيب ذاك العيش لو داما

ولو كتمت الهوى جهدى لنم بــه ـــــ دمعى وما زال دمع العين نمامــــا

فاخلع عذارك فى راح وفى رشــأ ـــــ طاوى الوشاح ولا تحفل بمن لاما

للــه ريم رمى قلبى فأقصـــــده ـــــ وأضــرم النار فى الاحشاء اضرامـا

بخصره هيف أهدى النحول الى ـــــ جســمى وأهدى بسقم اللحظ أسقاما

ذرنــى أكف عن التطوف راحلتى ـــــ ملت جيادى اسراجا والجامــــــا

ما زلت أفرى أديم الأرض منفردا ـــــ أطوى المفاوز غيطانا وأعـــــــلاما (٣)

---

(١) تســجاما : يعـــنى مدرارا

(٢) جاء فى حاشية صفحة ١٤٥ : فى الأدب التونسى لحسن حســــــنى عبد الوهاب ورد البيــت كما يلــى :

وقل الى الركب منا أن يلم به ـــــ وأن يحيى به رسما وأعــــلاما

(٣) الغيطان : الاراضى المنخفضـــة ، والأعـــــلام : الجبــــال

حتى حططت رحالى فى ذرى ملك ... غمر المواهب للقصاد بساما

فى متن أدهم ما ينفك يقحمه ... على أعاديه يوم الروع اقحاما

ما أبصرت مقلتى من قبل صافنه ... طرفا غدا حاملا فى الحرب ضرغاما (١)

فى عصبة كأسود الغاب قد جعلت ... سمر الرماح وبيض الهند آجاما

يهنى المدافع أن الله خوله ... عزا ينال به كل الذى راما (٢)

اذا رآه العدا فى يوم ملحمة ... غشى عيونهم نورا واظلاما

وقبلوا الترب تعظيما لطلعته ... كما رات فارس كسرى وبهراما

يأيها الملك المرهوب جانبه ... شملت هذا الورى فضلا وانعاما

سمت الرعايا وصنت الملك فأمتعا ... بصارم ذكر تفرى به الهاما

قم فافتح الأرض فالاملاك كلهم ... سواك أضحوا عن العلياء نواما

فهاكها يا أبا الحملات نظم فتى ... مازال فى مدحكم للدر نظاما

يشدو بأفنان أغصان الثنا على ... علاك فى صوار المدح ترناما

---

(١) الصافنة : الجواد الواقف على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر كأنه متحفز للجرى •
الطرف : الكريم من الخيل •
(٢) جاء فى التجانى ، المصدر السابق ، ص ١٠١ البيت كما يلى :ــ

بشر مدافع أن الله خوله ... سعدا ينال به كل الذى راما

في بلدة بك مثل الخلد قد جمعت　　برا وبحرا وحيتانا وأراما

كما جمعت خلالا كلها حسن　　تقى وحلما ومعروفا واقداما

لا زلت تغنى زمانا بعده زمن　　مؤثل المجد وهابا وغناما

. . . .

قال الشاعر على ما يذكر التجاني (١) البيتين التاليين يوم قتله : ـ

أكذا أموت وما بلغت مرادى　　بين الصوارم والقنا المياد

حيث العيون لوامح وطوامح　　ما بين أحباب وبين أعادى

---

(١) التجاني ، المصدر السابق ، ص ١٠١ .
وأنظر العماد ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ حاشية (٣)

القصـــــــيدة ((٣))

الشـــاعر :ـ

.... يحيى بن التيفاشـي القفصـي

الغـــرض : ـ

.... مدح الأمـير مدافع (السابق ذكـره)

التعريف بالشـــاعر : ـ

من قفصـه مدينة بالقـيروان ، انتقل الى قابس وسكن بها ومـــدح بني هـلال ، وقتـله الأفرنج بصـقلية بعد سـنة ٥٥٠ هـ عند فتكهم بالمسلمين .(١)

القصـــيدة :ـ

رأى البرق فازدادت جوانحه جمـرا	وبات يراعي النجم يرتقب الفجرا .
ما البرق مما هاجـه غـير أنـــه	تذكر من يهوى فما ملك الصبرا
خليلي عوجا نندب الربـرب الـذي	غدا بعدهم من بعد سكانه قفرا
ديارا بها قد ما ملأن جوانحــي	عيـون المها جمرا كما ملئت سحرا

(١) العماد الاصفهاني ، المصدر السابق ، ص ١٥٠ .
وأنظر القصيدة بنفس المصدر ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

كأن لم أجل فيها بمعترك الصبا — ولم أرتشف ثغرا ولم أنتشق زهرا

ولم أدع فيها الفاتنات مجيبة — بكلة أغصان تميس بها خضرا

بأبي ذات الوشاح اذا بدت — كشمس الضحى وجها وجنح الدجا شطرا

تميس لنا غصنا وترنو غزالة — وتعبق كافورا وتبدو لنا بدرا

أتتني وقلب البرق ترعد غيرة — عليها وعين النجم تنظرها شذرا

وقد هجعت عنا الوشاة وأسبلت — علينا الدياجي من ملابسها سترا

فبتنا الى وجه الصباح كأننا — قضيبان لا صدا نخاف ولا هجرا

الى أن رأيت الفجر عند طلوعه — قد التاح فى اثر الدجنة وأفترا

كأن محياه مدافع قد بدا — بغرته فى النقع يسطو بها قهرا

رضيع الندى ثديا ء حليف العلا وفا — شقيق الحيا بذلا نقيب الورى طهرا

هو الغيث فى بذل النوال اذا طما — هو الليث فى يوم النزال اذا كرا

يريك الردى سخطا ووجه المنى رضا — وصوب الحيا بذلا وحكم القضا أمرا

ولولاك ما أوحشت أهلى ولا الحما — ولا أصبحت يوما يدى منهم صفرا

فلى مهجة تهفو يقابس لوعة — وقلب اذا فارقته يألف الضرا

***

القصـــــــيدة ((٤))

الشـــاعر :ـ
السـكدلي (١)

الغـرض :ـ
تهنئـة مدافع بن رشـيد بعيد النحـر .

القصـــيدة :ـ

خليـلي عوجا لي بتلك المرابـع	لنسفح بالسفحين درمدامعي
ولا تبخلا بالدمع الذي بفـا	يـبرد سح الدموع الهوامع
منازل ساداتي ومغنى أحبـتي	وموضع أطرابي وخير مواضعي
بها قد جنيت العيش غضا وملبسي	شبابي ، ومن أهواه غير ممانعي
ألا قاتل الله اللوى من محـلة	وقاتل دهرا باللوى غير راجع
يكاد فؤادي من تذكـره الحمى	وأهل الحمى ينقد بين الأضالع

(١) لـم يـزد العماد الأصـفهاني ، المصدر السابق ، ص ١٥٣ عن التعريف به بقـوله السكدلي من أهـل قفصـه .

لقد ملكت روحى كما ملك العلى   وحاز الندى جود المليك مدافع

فما أنت الا جوهر قام بذاتــه   بنور هدى من جوهر العدل ساطع

وراجيك موفـور وثانيك هالــك   وأيامك الدنيا بغــــير مضارع

القصـــــــيدة ((٥))

الشـــاعر : ـ

أبو الفضل بن الفقيه عبد الله بن نـــزار ٠

الفـرض : ـ

مدح الأمير محمد بـن رشـــيد الهـــلالى ٠

التعريف بالشـــاعر : ـ

أبو الفضل بن الفقيه عبد الله بن نزار الهوارى القابسى يقول العماد الأصفهانى : أنه حى الى الآن ٠ أى الى زمن العماد [(١)] ، علما أن العمـــاد توفـى مســتهل رمضـان ســـنة ٥٩٧ هـ ٠

التعريف بالممدوح : ـ

هو محمد بن رشيد من بنى جامع الهلاليين ملك قابس بعد خـروج رافع بن كامل منها ســـنة ٥١١ هـ [(٢)] ٠ وغلب على دولتـه مولاه يوسف وأتفق أن خرج محمد من قابس لحرب عدو له ، وترك أحد بنيه نائبا عنه ، فطرده يوسف مولـى أبيه منها وأستولى على المدينة ودخل فى طاعة رودجـر ملك صقلية

---

(١) أنظـر العماد الأصفهانى ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ ٠

(٢) " صـفحة ١٠٨/١٠٩ من البحـــث ٠

فقام عليه أهل قابس فمسوه الى الصرب فعذبوه عذابا شديدا (١) .

القصيدة : ـ

لم يبق لى بعد الرحيل عزاء	بان الخليط وشتت الأهواء
فاصرف عنان اللوم عن قلق الحشا	مغرى ، فان ملامه أغراء
فعلت به أحبابه يوم النوى	والبين ما لا تفعل الأعداء
ساروا ولما يسمحوا بوداعه	فكأن خالص وده شحناء
أتراهم خالوا الوداع محرما	أم أجمعوا ألا يكون لقاء
رقت مياه الحسن فوق خدودهم	وقست قلوبهم فبان جفاء
يا ويح من عبث الهوى بفؤاده	وتحكمت وقضت عليه ظباء
من كل من فى القلب من لحظاتها	نفثات سحر ما لهن دواء
للبدر سنة وجهها وقوامها	للغصن ، مخطفة الحشا هيفاء (٢)
ان امتداحى ما يلم من الورى	الا بمن دانت له العلياء (٣)

(١) التجانى ، المصدر السابق ، ص ١٠٠

(٢) للبدر سنة وجهها : صورته ، والسنه : الوجه

(٣) يلم : ينزل

والمعنى أن مدائحى لا تتجه لأحد من الورى الا هذا الأمير الذى خضعت له المعانى .

مثل المليك ابن الرشيد ، فانه … يهز الملوك وحل حيث يشاء

وتشابهت آراؤه وسيوفه … كل بما يهوى له ضمناء

ليس الجلالة حلة أعلامها … حلم يزين ثوبها وحياء

فهو القريب تطولا وتجملا … وهو البعيد محله الجوزاء

ولها المهابة فى النفوس — وان غدا … متواضعا — والعزة القعساء

يا من شكا جورالزمان وظلمه … وأصابه من مسه الضراء

لذ بالمليك محمد ، فجوده … يحيى السماح وتكشف الغماء

سله تفد ، واقصد تجد ، وأشرع ترد … عذب النمير ، وما به أقذاء

هذا العيان يريك من أوصافه … فوق الذى أهدت لك الأنباء

لو نظم الأملاك سلكا لاغتدى … — لسناه — وهو الدرة الغراء

القصـــــــــيدة ((٦))

الشـــاعر : ـ

التراب الســوسـى .

الغـــرض : ـ

مدح الأمير جباره بن الكامل صاحب سوســه

التعريف بالشـاعر : ـ

من أهل ســوسه وهى مدينة بالقرب من المهدية وتوفى بسوســه (١).

التعريف بالممدوح : ـ

هو أمير سوســه ، جباره بن كامل بن سرحان بن أبى المنســين القائد فى البعيد الصيت المشتهر بالجود . ومن يده أخذ النصارى ســوسه حين أخذوا المهدية من يد الحسن بن على بن يحيى من تميم بن المعـــز بن باديـس ، وأستولوا على سائر بلاد الساحل . ولما وصل عبد المؤمن الى أفريقيــة واستعاد المهدية سنة ٥٥٤هـ رحل اليه الامير جباره بن كامل (٢) .

---

(١) لم يذكر العماد الأصفهانى ، المصدر السابق ص ١٥٤ فى ترجمته غير ذلك كما لم يذكر تاريخ وفاتـــه .

(٢) التجانـى ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .

القصـــيدة (١) :ـ

ســـلم على ذى ســـلم	تفنى الهـوى المســتفنم (٢)
وقــف عليــه ســـائلا	عـن قاصـرات الخـــيم (٣)
وأســتمطر العــين بـه	صـوب دمـــوع ودم
فهــذه اطـــلاله	مندرســات الأرســم
وهـــذه عراصــه	مســتوحشــات المعلـم
كثيـــة فى حـالـــة ال	منفـــرد المتـــيم (٤)

---

(١) نقلنا القصـيدة عن العماد ، الصدر السابق ، ص ١٥٤ وما بعدها مع مطابقتها مع ما أورد التجانى ، الصدر الســابق ص ٤٤ وما بعدها ويقول التجانى أن هذه القصـيدة أولــع أعـراب زماننـا بأنشـادها وكثـرة تردادهـا ولأجل ذلـك ذكرناهـا بكمالهـا وان كان فيهـا بعض طول فـان الحسن غير مملـول ٠

(٢) ورد البيـت فى التجانـى :

سـلم على ذى سـلم مغنى الهـوى المسـتفنم

(٣) أورد التجانى البيت كما يلـى :ـ

وقف بها مســائلا عن ســاكن والخـــيم

(٤) لم يورد التجانى هذا البيت وأورد مكانـه البيت التالـى :ـ

كأنهــن أســطر فى كتـب لـم تفهـــم

لم يبق منهن الصبا ومفرقات الديم

سوى ثلاث صائمات قائمات جثم (١)

وأشعث معفر فى بونها المهدم (٢)

أضحت خلاء بلقعا بواليا كالرمم

لا تسمع الأذن بها الا نعيب الأسحم

الى صرير جندب الى عواء ديسم (٣)

وطال ما عهدتها خضر الربا والأكم

ما هولة فى زينة من نعم وأنعم

وللقيان حولها بمفصحات النغم

تفاتغ ما خلقت الا لقتل المغرم (٤)

---

(١) صائمات : صامتات • ومن معانى الصوم : الصمت •

(٢) البون : أعمدة الخباء — وقد أورد التجانى البيت :

وأشعث مطرح بربعها المهدم

(٣) هذا البيت والذى قبله أورد هما التجانى فقط

(٤) التفتفة : صوت الحلى أو صوت الضحك • والمعنى أن للقيان بأنغامها المفصحة ألحان جميلة كوسوسة الحلى وترديد الضحكات وهذه الألحان ما وجدت الا للتأثير على المحب المغرم •

والغانيات كالدمى نسجن كل معلم

من أبيض مفضض وأخضر منمنم

من كل خود كحلت مقلتها بالسقم (١)

جبينها من قمر وفرعها من ظلم

تريك في بنانها وكفها والمعصم

رقما من الوشي حكى رقم اهاب الأرقم (٢)

يفتر عن مفلج عذب الثنايا شبم (٣)

حلو اللمى وإنما لحظي جناه لا فمي

سقيا لأيامي (بها) وعيشنا المنصرم

أيام غصني أخضر ولمتي كالحمم (٤)

وقامتي قويمة شبابها لم يهرم

---

(١) الخود : الشابة الجميلة المنعمة .
(٢) الأهاب : الجلد . والأرقم : الحية التي فيها سواد وبياض .
وقد أورد التجاني البيت كما يلي :

رقم من الوشي سلخ أديم الأرقم

(٣) الفلج في الأسنان : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات وهو من علامات الجمال .
شبم : بارد .
(٤) معنى البيت شعري أسود لم يظهر فيه الشيب .

وللهوى فى خلدى ... سرائر لم تعلم

والدهر لم يخط الى ... ساءتى عن قدم

ولا لهانى صاحبى ... ولا نهانى لومى

ثم انقضت عن سرعة ... أيام ذاك الموسم

كأننى كنت أرى ... عيشى به فى الحلم

يارسم أحباب نأوا ... عن عاشق متيم

تناثرت دموعه ... عن مسلكه المنظم

أنعم صباحا وأسلم ... سقيت نوء المرزم (١)

ان لم أمت من أسف ... وحسرة عليهم

كذبت فى دعوى الهوى ... لست لهم بمغرم

كأننى بالوصل من ... نعمان لم أنعم

ولم أبت ريان من ... رشف عقار المبسم (٢)

فى فرش وثيرة ... لم تفترش لمحرم

حتى تولى الليل فى ... خميسة المنهزم

---

(١) النوء : المطر • ونوء المرزم : يطلق على مطر الشتاء البارد •
(٢) العقار : الخمر • ويعنى بها هنا الرضاب •

وأقبـل الصبـاح فـي	جحـفلة المـرمرم
كأنـه لمـا بـدا	يشـرق تحت الظلـم
وجـه الأمـير بـن الأمـير	الأكـرم بـن الأكـرم
جبـارة بـن كامـل	كهـف النهـى والكـرم (١)
المـارض الـذى اذا	أخلـف صـوب الديـم (٢)
وسـل كـل مرهـف	وسـل كـل لهـذم
وأضطـرمت نـار الوغـى	وفـر حامـى الحـرم
وأشـفق الأبطـال مـن	وقـع القنـا المقـوم
وحشـرجت نفـس الجبا	ن مـن كريـه المقـدم (٣)
وافـى على طـاوى الحشـى	عبـل الشـوى مسوم (٤)
مـن الهـلال مسـرج	مـن الثريـا ملجـم

(١) ورد البيت فى التجانى :ـ

جبارة بن كامـل ... سـيف الندى والكرم

(٢) ورد البيت فى التجانى :ـ

القارس الـذى اذا ... أسـرج كل شيظـم

(٣) هذا البيت والبيت قبله لم يردا فى العماد وأورد هما التجانى

(٤) عبل الشوى : ضخم الاطراف ـ مسوم : معلم

وقد أورد التجانى البيت كما يلـى :

وافى على ظامى الحشا ... عبل الشـواء لقـرم

تـــراه ان صـــــاح بهـــم　　تحت وطيـــس قـد حمـــــى

تراكبـــوا مـــن خوفـــــه　　بعضـــا علـــى بعضهـــــم

حـــتى اذا الليـــل د مـــا　　وأنهــــل صـــوب الد يـــم (١)

ووعــــــوع الســـــرحان من　　طــــول الطــوى المخـــيم

وجئـــت معـــترا الـــى　　مـــــنزلة فــــى العتم

ألفيــــته خـــير فـــتى　　طــــرقته فـــى الظلـــم

يلقـــــاك من قبــل الندى　　بالبشـــــر والتبســــــم

الـــى كريـــــم خيــــمه　　ســــمح وفـــى الذمـــم

آراؤه فـــى الحادثـــات　　نفـــذ كالأســــــــهم

وحلـــــمه أمنـــع مـــن　　رضـــوى لـــكل مجـــرم

وخلـــقه أحســــن مـــن　　بـــرء باشــــر الســـقم

غبـــــــة الـى الفما　　ل والمقـــــام الأعظــــم

صـــــيد من العوب الأولـى　　كانـوا ملـــــوك الأمـــم

---

(١) من هذا البيـــت حـــتى نهايـــة القصـــيدة لـم يورد هـا العماد ولكن ذكرهـــا التجانـــــى •

وكانت الأرض أرتوت ... منهم بجود ودم

من دير سمعان الى ... نجد بوادى اضم (١)

بجانبى وادى القرى ... فالدوح من ذى سلم

ثم انقضوا وذكرهم ... كالشهد فى كل فم

من بعد ما أوصوا نبيهم مكرما عن مكرم

بالصبر فى وقت الوفى ... والكف عند المغنم

فجاء يقفو مجدهم ... وحسن تلك الشيم

ياحاسديه انتبهوا ... من رقدة التوهم

أتطمعون فى علا ... قد حازها أو همم

كلا ولو رقيتم ... الى السما بسلم

أبا عنان زد علا ... على محل الأنجم

---

(١) دير سمعان : موضع بالشام • وفيه مات الخليفة عمر بن عبد العزيز ودفن به •
وادى أضم : لم أجد هذا الاسم فى معجم البلدان لياقوت أو صفة جزيرة العرب للهمدانى • ولكن وجدت أدم بضم الألف والدال وقد يكون ذلك هو الأصح • يقول ياقوت ، معجم البلدان أنها من قرى الطائف • ويعلق محمد بن عبد الله بلهيد فى صحيح الأخبار ج ٥ ص ٢٤٣ على ذلك قائلا لو أن ياقوت قال أنها هضبة فى الطائف لأصاب ، لأن هذا الاسم مختصة به هضبة لا قرية •

أقسمت بالبيت الحرا م والصفا وزمزم
لأنت من بعد النبى المصطفى المكرم
وآله وصحبه أهل الوفا والذمم
لو كنت يا بن الأكرمين فى الزمان الأقدم
لانزلت فى فضلك ال مكمل المتمم
مفصلات سور من الكتاب المحكم
أنت الذى لو لم أكن من عزه فى حرم
ما قلت للدهر الظلو م الجائر المحتكم
يا دهر ان شئت فصل حبلى أو شئت أصرم
وان تشأ لن وأستقم وان تشأ جروا ظلم
فما أبا ليك ولا ألقاك كالمستلم
أنى من ابن كامل ذى البأس والتكرم
فى ظل سيف مرهف ونائل منسجم
وعزة قد خيمت بين السهى والمرزم
قد رفعت من الثرى الى الثريا قدمى

فالنجم لى مجالس	كأنه من حرمى
والسعد لى مساعد	كأنه من خدمى
هو الذى لو أمه	كل الورى لم يسأم
ولو سخا بنفسه	لسائل لم يندم
علمنى الجود بما	قلدنى من أنعم
فرحت والدينار فى	يدى شل الدرهم
فان غدوت مادحا	لغيره من عدم
فجائز ضرورة	على حدود الحرم
كالماء إن عدمته	صليت بالتيمم
لأجعلن ما حييـ	ـت ذكره شغل فمى
وان أمت فشكره	فى القبر شغل أعظم
لازال طول عمره	مؤيدا بالعصم
مستمسكا من سعده	بعروة لم تفصم
ربوعه مأهولة	بسابغات النعم

وسمره محمرة ... من المداة بالدم

ما أومضت بوارق ... في جنح ليل مظلم

وما شدت حمائم ... على فروع السلم

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

القصـــيدة ((٧))

قصـــيدة أخرى للتراب السوسى فى مدح الأمير جباره أيضا .

القصـــيدة (١) : ــ

باتَ بالأبرق برق يتسامـــى فجفا الجفـــن لمـــرآه المناما

طلعـــت رايتـــه خافقـــه خفقان القلب أمسى مستهامـــا

يسحب الحب به فى أفقهـــا مصفات من جنـوب ونمامـــى

تحت ليل كسواد البين فى عين من ذاب من البين سـقاما

فأعارتـــه كراهـــا مقلـــتى واستعارت منه للدمع أنسجامـا

ثم بتنـــا نتبـــارى لوعـــه وبكاء ونـــرى النـــوم حـــراما

فاذا شب ضرام فى الدجـى قدح الشوق على قلبى ضـــراما

واذا حى بغيـــث دمنـــة جـــدت بالدمع فأسبلت الرهاما (٢)

---

(١) يقول العماد ، المصدر السابق ، ص ١٥٨ أن الشاعر يعارض فى هذه القصـــيدة قصيدة لمهيار الديلمى
بكر العارض يحدوه النعامى

(٢) الرهـــام : المطـــر الخفيف .

فتشابهنا بكاءً واضطراما ... وتخالفنا اهتماما وهياما

أيها البارق قد هجت الى ... ساكن الأبرق شوقا وغراما

وأذعت السر بالدمع الذى ... لم أطق ـ اذا فاض للحب اكتتاما

بذمام الحب يا برق عسى ... لك علم : حيهم أين أقاما (١)

وعسى فى الخب من ماء ثووا ... حوله من جرعة تبرى سقاما (٢)

أنسوا عاما فلما ملكوا ... رق قلبى أوحشوا عاما وعاما

واستمالونى بوصل فى الهوى ... فكما ملت رأو وصلى حراما

بعثوا المصرف فأذكى لوعتى ... وسنا البرق فأبكانى سجاما

فكأن البرق سيف ضارب ... وكأن الديم دمعى حين داما (٣)

واذا هبت صبا قلت لها ... بلغى ياريح من نهوى السلاما

صح سواحى الحب تحدوه الصبا ... مثل ما تحدو يد الحادى السواما (٤)

---

(١) ورد هذا البيت فى التجانسى : ـ

بذمام الحب يا برق عسى ... لك علم حيهم أعيا الأناما

(٢) الخب : الخابية

(٣) الديم : دوام المطر

(٤) يسأل السحب المالية التى يحملها ريح الصبا أن تسقى أوطان الأحباب
السوام : الماشية التى ترعى الكلأ .

واسق أوطاننا بعلياء الحمى — وابل الودق وجيراننا كراما (١)

د منا حررت أذيال الصبى — والتصابى فى مغانيها غلاما

وعليها قام لى عذر الهوى — فى عذارى كاليواقيت اليتامى

كبدور التم حسنا وبهاء — وغصون البان لينا وقواما

يتدللن فيورثن الضنا — ويواصلن فيشفين السقاما

خل أوصاف التصابى والصبى — والمغانى والغوانى والندامى

وأنقل الهزل الى الجد ولا — تله عن أوصاف من سار الأناما

من اذا أبصرته أكبرته — واذا خاطبت خاطبت هماما

واذا استصرخته فى حادث — فملس الحادث جردت حساما

مقبل القلب على سبل الهدى — معرض عن كل ما جر الأثاما

ليس يدرى ما المزامير — ولا يسمع الصنج ولا ذاق المداما (٢)

لا ولا تحمله الأطماع أن — ينقض العهد اذا أعطى الذماما

بيته كعبة بشر نصبت — يفصم العسر عن الناس انفصاما

---

(١) الوابل : المطر الشديد
الودق : المطر

(٢) الصنج : آلة نحاسية يضرب فيها صنجة على الأخرى ، أو آلة بأوتار يضرب بها

ركنهـــا يمنى يديه فأجعلوا ... بـدل الركـن بيمنـاه اسـتلاما

لـذوى الحاج زحـام حولها ... زحمـة الحجـاج قـد زاروا المقـام

كل ورد هكــذا مستعذ ب ... يكثر النـاس حواليـه الزحامـا

القصيدة ((٨))

الشاعر :ـ

أبو الحسين بن الصبان

الغرض :ـ

مدح الأمير جباره

التعريف بالشاعر :ـ

هو الشيخ أبو الحسين بن الصبان المهدوى ، يقول العماد الأصفهانى ، ورد الشام ، وأشتم بارق الفضل وشام ولقى دولة نور الدين محمود وتوفى بدمشق سنة ٥٦٠ هـ (١)

القصيدة :ـ

أرى دمع عينيك فاض انهمالا ... أظن الأحبة راموا زيالا

أعدوا الجمال ليوم الرحيل ... فزدت اشتياقا وزادت جمالا

وبين السجوف هلالية ... تحل النقاب فتبدى الهلالا

(١) أنظر العماد الأصفهانى ، المصدر السابق ، ص ١٦١ ـ ١٦٢ وقد نقلنا عنه القصيدة .

وتبدى أنامل مثل اللجين … كسين من الوشى سحرا حلالا

بعيدة مهوى مجال الشنوف … وفى الجيد أدمت بذى القرط خالا (١)

من البدويات تهوى البروق … اذا هبت الريح عنها شمالا

وتنتجع الغيث حيث استهل … فتطلب سهلا سقى أم تلالا

تشد سحيرا لغاراتها … فتلزم سرجا وتلقى حلالا

منازلنا بالحمى بحواشى الكثيب … سقيت الغوادى غزارا بلالا

فكيف عهدت الصبى ناسيا … تناجى غزالته والغزالا

ويا رب بيداء عند الهجير … قطعت سباسبها والرمالا (٢)

بعيرانة أجد عرمس … تجد فتجذب عنها الافالا (٣)

---

(١) الشنوف : جمع شنف هو القرط .
وبعيدة مهوى القرط ، كناية عن طول الجيد .
ذو القرط : هو سيف خالد بن الوليد .
والخال : علامة فى الخد . أو بمعنى الرجل الخلى من الحب .
وفى البيت تورية : والمعنى أن قرطها المتحرك جرح خدها ، أو جرح السيف المنسوب الى خالد الرجل الخلى .

(٢) السباسب : جمع سبسب وهى المفازه أو الأرض البعيدة .

(٣) العيرانة : الناقة الصلبة المتحركة فى نشاط .
الأجد : الناقة القوية .
العرمس : الناقة الشديدة السلسة القياد .
تجد : تقطع الجدد وهو الأرض الغليظة المستوية .
تجذب الفصيل : تقطعه عن الرضاع ، والأفال جمع أفل وهو الفصيل .

اذا ونيت قمت فى غرزها   أقول لها سوف تنسى الكلالا (١)

سألقى زمامك فى منزل   يشد الرجال اليه الرحالا

بحيث (جباره) مستمطرا   يجود على معتفيه نوالا

فتى للعشيرة عز لها   غدا لجميع البرايا ثمالا (٢)

اذا ما العشيرة فى حادث   شكت مرضا طب منها اعتدالا

---

(١) الغرز : ركاب من جلد يوضع فوق الناقة .
(٢) الثمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه .

القصـــــيدة ((٩))

الشــــاعر : ـ

.... أبو شــاكر عامـر بن محمد بـن عسـكر الهلالى .

الغـــرض : ـ

.... الحنـين الى وطنـه قابـس وهو مقـيم بدمشـق .

التعريف بالشاعر : ـ

ترجم له فى الخريـدة ، أبو شـاكر عامـر بن محمـد بن عســكر الهلالى . وذكـر أنـه بدوى وأمـير سـرى .

فى حين يذكر التجانى فى ترجمته أنه أبو سـاكن عامر بن محمـد بن مكـى بن كامـل بن جامـع . وأنـه كان من رجـال الأمـير مدافع بـن رشـيد صاحـب قابس (١) . وأنـه فر من قابس يوم دخلها الموحـدون سنة ٥٥٤ هـ وهرب الى دمشـق حيث أقـام بها (٢) .

---

(١) أنظـر ترجمـته فيما سـبق .
(٢) أنظـر العماد الأصفـهانى ، المصدر السابق ، ص ١٦٤
التجانى ، المصـدر السـابق ، ص ١٠٢ .

القصيدة (١) :ـ

ياحاد طرفي غير هاجع	والدمع من عيني هامع (٢)
ولقد أرقت مسامرا	نجما بدا في الشرق طالع
متذكرا لصروف دهر	أصبحت فينا قواطع
أني من الشم الألى	أهل الملى أبناء جامع (٣)
أهل المراتب والكتا	ئب والمواهب والصنائع
يتسابقون الى المملنا	لي كلهم فينا مسارع
ولقد أحلوا قابسا	بالمشرفيات القواطع (٤)
تسعين عاما لم يكن	خلق لنا فيها منازع (٥)
كم من عزيز كان يأ	تي نحونا بالرغم خاضع
كم قاصد أو طالب	لنوالنا يأتيه طامع (٦)
وجنابنا للمعتفين	بزهرة المعروف يانع

(١) نقلنا القصيدة من خريدة القصر ص ١٦٤ مع معارضتها مع ما أورده التجاني ص ١٠٢ .
(٢) وردت في التجاني : يا جار طرفي غير هاجع .
(٣) ورد الشطر الثاني في التجاني : شادوا الملى .
(٤) ورد الشطر الأول في التجاني : ولقد ملكنا قابسا .
(٥) ورد الشطر الثاني في التجاني : فيها لنا أحد منازع .
(٦) هذا البيت والبيت قبله لم يورد هما التجاني .

واذا شـــــهدنا مجمعـا　　يومـى الينـا بالأصــابـع

فى كل يـــوم عـــروبة　　تدعـو لنـا زمـر الجوامع (١)

جـشت بنـا أيدى الزمـا　　ن وأحـدثت فينـا البدائع

---

(١) لم يورد التجانى هذا البيت •

ويقصد بيوم العروبة يوم الجمعة •

القصـــيدة ((١٠))

الشـــاعر :ـ

ـــــــــ ابو عمران شاكر بن عامر الهلالي [١] .

الفـــرض :ـ

ـــــــــ الغـــزل .

التعريف بالشاعر :ـ

هو ابن الشاعر السابق عامر الهلالي . وقد ترجم له العماد الأصفهاني بقوله : أصله من عرب بني هلال بأفريقية وهو مغني الفضل ورد الى دمشق . وأن الشريف الادريسي [٢] ذكر له (أي للعماد) أنه مقيم بها في سنة ٥٧١ هـ [٣] ، وأنه هو الذي أنشد الأدريسي قصيدة أبن فرحان القابسي في مدح الأمير مدافع [٤]

---

(١) العماد الأصفهاني ، الصدر السابق ، ص ١٦٣ وقد أورد التجاني ، الصدر السابق ، ص ١٠٢ ساكن بن عامر .

(٢) الشريف الادريسي : هو المؤرخ الجغرافي المشهور صاحب نزهة المشتاق .

(٣) ذكر التجاني ، الصدر السابق ، سنة ٥٩١ هـ .

(٤) أنظر ترجمته فيما سبق .

القصـــــيدة :ـ

اذا مر من أهـوى أغض له طرفـى	وأخفى الذى بى من سقام ومن ضعف (١)
وأكـتم عن سرى هواه صـــــيانة	ولـو كان فـى كتمانـــه أبدأ حتفى
مخافـــة أن يشكو فؤادى تحرقى	الى مقلتى يوما فتهدى الذى أخفـى (٢)

---

(١) أورد التجانـى الشـطر الأول كما يـلى :ـ

اذا عـز من أهوى أغض له طرفى

(٢) ورد الشـــطر الأول فى التجانـى :ـ

مخافة أن يشكو فؤادى صبابتى

القصـــــيدة ((١١))

الشــاعر :ـ
الأمـير عبد الرحمن بن زيـرى الصنهاجـى ٠

الغــرض :ـ
كتب الى الأمير ساكن بدمشق وقد وعده بكتـاب ٠

التعريف بالشـاعر :ـ (١)

لـم يترجم لـه العمـاد ولـم يورد غـير أسـمه المذكور ٠

الامير ساكن :ـ
لم يترجم له العماد وان ورد فى حاشية رقم (١) ص ١٦٥
أنه مـن أسـرة بـنى جامـع الهلاليـين ٠

وغالبا أنها الأمـير ساكن بن عامر أو شـاكر بن عامر (٢) الذى ترجمنـا
لـه فيـما سـبق ٠

---

(١) لـم أجـد لـه ترجمـة فـى معجـم الأدبـاء لياقـوت ، ومعجـم الشـعراء للمرزبـانى ، وفـوات الوفيـات للكتـبى ، وفيـات الأعيـان لابن خلـكان ، الوافـى بالوفيـات للصـفدى ٠
(٢) أنظر العمـاد الاصفـهانى ، المصدر السـابق ص ١٦٥
التجانـى ، المصدر السـابق ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣

القصيدة :ـ

سرى البرق من عليا معالم قابس وفى القلب من لمع البروق كوامن

يذكرنى عهدى بها ومثارتى بساحتها والحادثات سواكن

فويحيى على تلك المواطن والصبا ظليل ووشك البين بالوصل بائن

أخادع عن سكانها الدهر وحده كأنى لما يأتى به الدهر ضامن

فمن لى بتبليغ السلام اليهم فكيف وقد شاقتك تلك المواطن

ولما سرى البرق الذى ذكر الصبى تأوهت شوقا والدموع هواتن

ونادیت من عليا هلال بن عامر فتى صادق الدعوى اذا مان مائن

نمته رياح من صيابة فادع لآل على وهو للمجد صائن

وحلت بنو دهمان منه بقوة وعزبه ثاو وناضل ظاعن (١)

فما هو الا فى ذرى عسكر (الملا) لمامرهم نجل وذلك ساكن

---

(١) معناه أن قبيلة بنى دهمان أعتزت بقوته فأعتز به المقيم وناضل باسمه المسافر . ودهمان من عرب رياح . يقول أن عذارى ، المصدر السابق ص ٣٠٧ أن شيوخ دهمان أقتسموا البلاد (أفريقية) بينهم ، وذلك فى عهد على بن يحيى بن تميم . (٥٠٩/٥١٥)

القصـــــيدة ((١٢))

الشـــاعر :ــ

أمية بن عبد العزيز بن أبى الصــلت •

الغــرض :ــ

قصيدة فى مدح حسن بن يحيى بن على بن تميم أبــن المعــز بن باديس وقد كثر الأرجاف بخروج أسطول صقلية النورمنـــدى الى أفريقية وقصده المهدية ســـنة ٥١٧ هـ ويذكر فيها مساندة العرب له[١] •

التعريف بالشـاعر :ــ

هو الأديب الحكيم أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت كان أوحــد زمانــه وأفضــل أقرانــه متبحــرا فى العلوم وأفضل فضائــله انشاء المنثــور والمنظوم ، وكان قدوة فى علم الأوائل ، ذا منطق فى المنطق بذ سحبـان وائل • من أهل المغرب وسكن الاسكندرية • ويستطرد العماد قائلا أنــه وقــع له ديــوان أبى الســلط فى دمشق فأنتخب منــه[٢] •

---

(١) يحــيى بن علــى آخــر ملــوك أســـرة بنى زيـــرى •

(٢) أنظـر العمـــاد الأصــــفهانى ، المصـــدر السـابق ، ص ٢٢٣ ومابعدهـــا •
والقصـــيدة ص ٢٤٥ وما بعــدها •

القصـــيدة :ـ

للفظـك يهجر الروض البهيـج ودون ثيابـك المسـك الأريـج

وأنت الشمس مطلعها ذراهـا وليس سوى الدسوت لها بـروج (١)

وان قدحت زناد الحرب يوما وكان لنار معـركة أجيـج

تركت برأيك الأبطـال فيهـا ومن تحت المجاج لها عجيـج (٢)

نماك بنو المعز فظلت فرعا كذى الخطى ينميـه الوشـيج (٣)

وأم جنابـك العافـون طـرا كما يتيمـم الركن الحجيـج

وأعداهم سماحك فأستميحوا ولولا البحر لم يفض الخليج

ولما أن توعـدك النصـارى كما يتوعد الأسـد المهيـج

أتتك غزاتها بالقـرب تـترى لينقض ما تعالجـه العلـوج

وحولك من حماتـك كل ذمر له فـى كل مشـتجر ولـوج (٤)

---

(١) الدسوت : جمع دست • وهى كلمة فارسية بمعنى الديوان •
(٢) المجاج : غبار الحرب ـ والعجيج الصياح • والمقصود هنا صياح الذعر
(٣) الخطى : الرمـح المنسوب الى البحريـن •
الوشيج : الشجر الذى يؤخذ منه الرمـاح •
(٤) معنى البيت والبيت السابق : توافدت القبائل العربية بالمغرب علـى المهدية من بنى هلال وأستماتوا مع جنود الحسن فى الدفاع حتى هزموا المغـيرين •
ـ أنظر ما ذكرناه عن ذلك فيما سـبق •

ومقـــــوية تفـــرج كل كـــربد   اذا ملئت من الركض الفـــروج (١)

اذا كسيت دم الأبطال عـــادت   ود ون لبوسها الذ هب النســيج (٢)

وقد ريمـت قلوب الشـرك حتى   كأن لهــــام أند لس ضجيج (٣)

فبلغهـم رسـولك كى يقــروا   فان الأمـــر بينهـم مريـــج

وانــا الداخلون الى (بلـرم)   اذا ما لـم يكـن منهم خــروج (٤)

لأنــا القـوم ترضيـنا المذاكى   اذا صهـلت وتؤ نســنا الرهوج (٥)

بقيت لنا وللاسـلام ركنـــا   تجافيــه الخطـوب ولا يهيــج (٦)

ولا غمـد ت لنصرتك المواضـــى   ولا حطت عن الخيـل السـروج

شأى الد ر القريض بكم ، وتاهت   على أد راجه هذ ى الـــد روج (٧)

= العلـج : أى العير أو حمار الوحش ثم أطلق على الرجل القوى الضخم من كفار العجم ــ الدمر : الشجاع

(١) مقـويـة : فرس فتية ــ الفروج : ما بين القوائـم .

(٢) اللبـوس : الثياب ــ والنسيج : المنســوج .

(٣) اللهـام : الجيش الكثير العدد . ولعله يقصد أن جيوش الكفر بالأندلس داخلها الرعب من أنتصار المسلمين فى أفريقية .

(٤) يهدد أن المسلمين سيستولون على بلرم عاصمة صـقلية .

(٥) المذاكى والمذكيات : الخيل التى تم سنها وكملت قوتها .
الرهـــــوج : سـحب الغبـار المثـار فى الحـــرب .

(٦) يهيــــج : يكـــترث أو يبالــى .

(٧) شــــأى : فـــاق .
الأدراج : الطـــرائق .
الـــد روج : الصحـــف .

القصـــــيدة ((١٣))

قصيدة كتبها على بن أسحق الميورقى قائد ثورة أبن غانيه الـــتى قامت ضد الموحدين الى عرب بنى سـليم يعيب عليهم أنضمامهم الـــى قراقـــوش الأرمنى ، ويستدعيهم لمناصـــرته •(١)

القصـــيدة :ـ(٢)

يا أيها الركـــب السارى لطيته	على عذافـرة تشـقى بها الأكـم
بلغ سليما على بعد المزار لها	بينى وبينكم الرحمن والرحـــم
ياقومنا لاتشبوا الحرب ان خمدت	واستمسكوا بعرى الايمان وأعتصموا
يقودهم أرمنى لا خلاق لـــه	كأنــه فيهم من جهلهـــم علـــم
اللـــه يعلم أنى ما دعوتكـــم	دعاء ذى تـرة يومـــا فينتقـــم
ولا لجأت لأمر يستعان بـــه	من الامـور وهذا الحق قد علمـوا
لكـن لأمـر رسول الله عن رحم	ينمى اليـه وترعى تلكم الذمـــم
فان أتيـتم فحبـل الود متصـل	وان أبيتم فمنـد السيف نحتكـم

(١) تعرضنا لهذه الثورة فى الفصل الثالـــث •
(٢) أنظر التجانى ، المصدر السـابق ، ص ١٣٥

القصـــــيدة ((١٤))

قصيدة تميم بن المعز يحرض العرب بعضهم على بعض :ــ

هو تميم بن المعز بن باديس (٤٥٤ ــ ٥٠١ هـ) الـــذى تولى الملك بعد وفاة والـــده المعز بن باديس ٠

وقد رأى تميم أن يقوم الخلاف بين القبائل العربية لأن هذا أجدى لسياســته ، وكان رجل من عدى قتل رجلا من رياح ، فخشى أن يتم الصلــح بين الجانبين ، فأرسل يحرض رياحــا قائـــلا ٠ (١)

متى كانت دماؤكم تطـــل	أما فيكــم بثـــأر مستقـــل
أغانم ثم سالم أن فشـــلتم	فما كانت أوائلكم تــــذل
ونمتم عن طلاب الثأر حــتى	كأن المـــز فيكـم مضمحــــل
وما كســرتم فيه العوالـــى	ولا بيـض تفـل ولا تســـل

(١) أبن الأثير ، المصدر الســابق جـ ١٠ ص ٤٥٠

القصـــيدة ((١٥))

القصـــيدة :ـ

أبيات أرسل بها الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على (٥٢٤ ـ ٥٥٨ هـ) الى العرب يستنفرهم الى الخروج معه للجهـــاد فى الأنـــدلس (١) •

أقيموا الى العلياء هوج الرواحـــل	وقودوا الى الهيجاء جرد الصواهل
وقومـوا لنصر الدين قومـــة ثائـــر	وشدوا على الأعداء شدة صائـــل
بنى العم من عليـا هلال بن عامـــر	وما جمعت من باسل وابن باســل
تعالوا فقد شدت الى الغزونيـــــة	عواقبهـــا منصـــورة بالأوائـــل

الكاتـــب :ـ

أبو عبد اللـــه محمـــد

الغـــرض :ـ

رسالة الى أمراء العرب ، كتبها عن السلطان يحيى بـــن عبد العزيز الحمادى عند فـراره من بجاية أمام جيوش عبد المؤمن بن علـــى الخليـفة الموحـدى ســـنة ٥٤١هـ •

---

(١) المراكشـى ، المصـدر السـابق ، ص ٢٩٤/٢٩٥
وقد نقلـنا القصـــيدة عنـــه •

التعريف بالكاتب :ـ

أبو عبد اللـه محمد الكاتب المعروف بابن د فريو أحد كتاب الدولة الحماد يـة وكان مختصا بالرسـائل السـلطانيـة .

الكتـــــــاب :ـ (١)

« كتابنا ونحن نحمد الله على ماساء وسرّ رضى بالقسم ، وتسـليما للقـدر ، وتمويلا على جزائه الذى يجـزى به من شـكر ، ونصلى على النبى محمد خير البشـر ، وعلى آلـه وصحبـه ما لاح نجم بسـحر ، وبعد : فانه لمـا أراد اللـه أن يقـع ما وقع ، بقبح آثـار من خان فـى دولتنا وضيع ، أسـتفز أهل موالاتنـا الشيطان وأغرى من أصطفينا وأنعمنـا عليه الكفران . فأتوا من حيث لا يحذرون ورموا من حيث لا ينصرون ، فكنـا فى الاستعانة بهم والتمويل عليهم كمن يستشفى من داء بداء ويفر من صـل خبيث الى حية صـماء . حتى بغت مكرهم (٢) وأعجل عن التلاقى أمرهـم ورد وبال أمرهم اليهم فعند ذلك اعتزلنا محلة الفتنة الى مظنة الأمنة ، وبعثنا فى أحياء هلال نستنجد منهم أهل النجدة ونستنفر من كنا نراه للمهـم عدة ، وأنتم فى هذا الأمـر أول من يليهم الخاطر ويثنى عليه الحاضر .

---

(١) أنظر العماد الأصفهانى ، المصدر السـابق ، ص ٢١١ .

(٢) أى ظهر مكرهم بغتـة .

القصيدة ((١٦))

الشاعر :ـ

الشريف أبن هاشم .

الغرض :ـ

يبكي فيها زوجته الجازية بنت سرحان ويذكر ظعنها مع قومها الى المغرب .

التعريف بالشاعر :ـ

هو شكر بن أبى الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن أبن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب . (١) من أمراء بنى موسى الذين حكموا مكة من سنة ٣٥٠ هـ الى سنة ٤٥٣ هـ (٢) وكان أبوه أبو الفتوح الحسن قد خرج على طاعة الحاكم بأمر الله الفاطمى سنة ٤٠١ هـ ، وتلقب بالراشد بالله ، وأيده عرب فلسطين من آل الجراح أمراء طيىء ، وأقيمت له

(١) ابن حزم ، الصدر السابق ، ص ٤٧ .
الفاسى ، " " ، جـ ٥ ص ١٤ .
ابن خلدون " " ، جـ ٦ ص ١٨ ـ وقد ترجم له ابن خلدون : شكر ابن أبى الفتوح الحسن بن أبى جعفر بن هاشم محمد بن موسى بن عبد الله أبى الكرم بن موسى الجون بن عبد الله ابن أدريس .

(٢) دكتور أحمد سعيد سليمان ، المرجع السابق ، جـ ١ ص ٢٦٣ .

الخطبة فى مكة والكثير من مدن الشام ، حتى قضى الحاكم على حركته سنة ٤١٤هـ (١)

وشكر هذا هو الذى يزعم بنو هلال أنه تزوج الجازية بنت سرحان أخت الأمير الحسن بن سرحان أمير الأثبج (٢) . ويذكر ابن خلدون أن شكر رزق من الجازية بولد اسمه محمد (٣) ، وأنه حدث بينهم وبين الشريف مفاضبة وفتنة ، وأجمعوا الرحلة عن نجد الى أفريقية ، وتحيلوا عليه فى استرجاع أختهم الجازية ، فطلبت اليه الجازية زيارة أهلها فصاحبها شكر الى مضارب أهلها ، ثم صحبوه للصيد فى الوقت الذى كانت فيه القبيلة قد أمعنت فى الرحلة حتى بعدت عن ديار شكر ، ولم يعد له من القوة عليها . ففارقوه ورجع هو الى مكة وبين جوانحه من حبها داء دخيل ، وبادلته الجازية نفس الشعور ، وكلفت به مثل كلفه الى أن ماتت من حبه على قول ابن خلدون (٤) . هذا مع العلم

---

(١) أنظر ابن خلدون ، المصدر السابق .
الفاسى ، المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٧٠ .
المناوى ، الوزارة والوزراء ، ص ١٩٨ — ١٩٩ .

(٢) ابن خلدون ، المصدر السابق .
الفاسى ، " " ، جـ ٥ ص ١٥ .

(٣) يذكر ابن حزم ، " " ، أن شكر مات ولم يعقب ، وأن أمر مكة صار الى عبيد له .
- يقول الفاسى ، المصدر السابق ، ص ١٦ ، ما ذكره ابن حزم فيه نظر لأن صاحب المرآة — يقصد سبط ابن الجوزى وكتابه مرآة الزمان وهو مخطوط — يذكر أن أبا جعفر محمد بن أبى هاشم الحسينى أمير مكة كان صهر شكر على أبنته . وكلام الفاسى الذى نقله عن صاحب المرآة وأن ذكر أن لشكر ابنة الا أنه لم يرد ذكر محمد الذى قيل أنه ابن شكر من الجازية .

(٤) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

أن الجازية تزوجت بعد ذلك من ماضى بن مقرب زعيم دريد ، ولكنها تركته مغاضبة الى أخيها حسن بن سرحان الذى أبى أن يعيدها اليه ، مما أوقع الخلاف بين بطون الأثبج (١) .

ويذكر ابن خلدون أن الناس يتناقلون من أخبار شكر والجازية ما يعفى عن خبر قيس وكثير ويروون كثيرا من أشعارها (٢) . ولكن ابن خلدون يستدرك فيقول « وفى هذه الأشعار كثير دخلته الصنعة وفقدت فيه صحة الرواية ، فلذلك لا يوثق به . ولكنهم مع ذلك متفقون على الخبر عن حال هذه الجازية والشريف خلفا عن سلف وجيلا عن جيل ، ويكاد القادح فيها والمستريب أمرها أن يرمى عندهم بالجنون والخلل المفرط لتواترها بينهم » .

وقد أورد ابن خلدون القصيدة التى نذكرها ، يبكى فيها فراق زوجته الجازية . ويبدو أن ابن خلدون يشك فى نسبة هذه القصيدة لشكر ، وان لم يصرح بذلك ، اذ يقول : « فمن أشعارهم على لسان الشريف ابن هاشم يبكى الجازية بنت سرحان (٣) » .

وأننى مع عدم ادعائى المقدرة على النقد الأدبى ، أشك فى صدور هذه القصيدة عن شكر ، وذلك اذا قسناها بأبيات

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٩ ، ٢٢
تعرضنا للصراع بين بطون الأثبج فى الفصل الثانى .
(٢) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ١٨ .
(٣) المصدر السابق ، ج ١ ص ٥١١

أخرى لشكر أوردها الفاسي (١) وربما كانت في الجازية .

وصلتني الهموم وصل هواك　　　وجفاني الرقاد مثل جفاك

وحكى لي الرسول انك غضبى　　　يا كفى الله شر ما هو حاك

---

(١) الفاسي ، المصدر السابق ج ٥ ص ١٥ .

القصـــــيدة :ـ [1]

قال الشـريف أبن هاشـم علـى	ترى كبدى حرا شكت من زفيرها
يمز للاعلام أين ما رأت خاطـــرى	يرد أعلام الجد و يلقى عصيرها
وماذا شكاة الروح مما طرا لهـــا	عذاب ودائع تلف الله خبيرهـا
بحسن قطاع عامرى ضـــميرهـا	طوى وهند جافى ذكـــبيرها
وعادت كما خوارة فى يد غاســـل	على مثل شوك الطلح عقدوا يميرها
تجابدوها أثنين والنزع بينهـــم	على شول لمة والممافى جريرها
وباتت دموع العين ذارفات لشأنهـا	شبيه دوار السوانى يديرهـــا
تدا رك منها الجم حذرا ورادهـــا	مروان يحيى متراكبا من صبيرها
لصب من اا يهلنمن جانب الصفـا	عيون ولمحان البرق فـى غديرها
ها أيقنى من سنابلت غـــدوه	بغــداد ناحت منى حتى فقيرها
ونادى المنادى بالرحيل وشـــدوا	وعرج غاربها علـى مستميرهـا
وشد لها الأدهم دياب بن غانـم	على يد ماضى وليد مقرب ميرهـا

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ج ١ ص ٥١١

وقال لهم حسن بن سرحان غربـــوا　　وسوقوا النجوع ان كان تاهو نميرها

ويد لص وسده ســـــها بالتسـامح　　وباليمين لا يجحـدوا فى صغيرها

غدرنى زمان السفح من عابس الوغـى　　وما كان يرعى من حمير وميرهـــــا

غدرنى وهو زعما صديقى وصاحـــبى　　وناليه ما من درمى ما يديرهـــــا

ورجع يقول لهم بلاد أبن هاشـــــم　　الخـير البـلاد الممطشة ما يخيرها

حرام على باب بغداد وأرضهـــــــا　　داخل ولا عائد لـه من بعيرهـــا

قصدق درى من بلاد بن هاشـــــم　　على الشمس أو حول القطا من هجيرها

وباتــت نيران المــذارى قـــوادح　　فجـروا بجرحان قيـبر وأســـــيرها

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

القصيدة ((١٧))

ومن قولهم على لسان الشريف بن هاشم يذكر عتابا وقع بينه وبين ماضي بن مقرب •

وماضي بن مقرب هو زعيم دريد أحد بطون الأثبج الهلالية ، وهو الذى تزوجته الجازية بنت سرحان بعد مفارقتها الأمير شكر • يقول ابن خلدون (١): « ومن مزاعمهم (أى الهلالية) أن الجازية لما صارت الى أفريقية وفارقت الشريف خلفه عليها منهم ماضي بن مقرب من رجالات دريد • ويقول ابن خلدون أيضا (٢) وهو يتكلم عن الحسن بن سرحان ، أن أخته الجازية غاضبت زوجها ماضي بن مقرب ولحقت بأخيها ، فمنعها منه • فكان ذلك من أسباب الفتن بين بطون الأثبج التى أستمرت حتى ضعف أمرهم •

القصيدة (٣) :ــ

تبدى لى ماضي الجياد وقال لى	أيا شكر ما أحناشى عليك رضاش
أيا شكر عدى ما بقى ود بيننا	ورانا عريب عربا لابسين نماش

---

(١) المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٩
(٢) " " ، ص ٢٢
(٣) " " ، ج ١ ص ٥١٢

نحن عدينا فصادفوا ما قضى لنا　　كما صادفت طعم الزناد طشاش

باعدنا يا شكر عدى لبر سلامة　　لنجد ومن عمر بلاده عاش

ان كانت بنت سيدهم بأرضهم　　هى العرب ما ردنا لهن طياش

القصـــــيدة ((١٨))

ومن قولهم فى رحلتهم الى الغرب وغلبهم زناتـه عليـه •

القصـــيدة : (١)

وأى جميل ضاع لى فى ابن هاشـم	وأى جميل ضاع قبـلى جميلهـا
أنا كنت أنا وأياه فى زهو بيتنـا	عنانى لحجـه ما عنانى دليلهـا
وعدت كأنى شـارب من مدامـة	من الخمر قهوه ما قدر من يميلهـا
أو مثل شمطا مات ضيون كبدهـا	غريبا وهى مدوخـة عن قبيلهـا
أتاها زمان السوء حتى أدوخـت	وهى بين عرب غافلا عن نزيلهـا
وكذلك أنا مما لحانى من الهـوى	شاكى بكبد باديا مـن عليلهـا
أمرت قومى بالرحيل وبكـروا	وقووا وشـداد الحوايا حميلهـا
قعدنا سـبع أيام محبـوس نجعنـا	والبدو ما ترفع عمـود يقيلهـا
تظـل على أحداث الثنايا سـوارى	يضل الحـر فوق التصاوى نصيلهـا

(١) أبن خلدون المصدر السـابق •

القصيدة ((١٩))

من قولهم في رثاء أمير زناته أبي سعدى اليفرني مقارعهم بأفريقيا وأرض الزاب ورثاءهم له على جهة التهكم .

تعريف :ـ

تعرضنا في الفصل الثالث عن الصراع بين بني هلال وزناته ا ومقتل أبي سعدى في الزاب .

القصيدة :ـ (١)

تقول فتاة الحي سعدى وهاضها	لها في ظعون الباكيين عويل
أيا سائلي عن قبر الزناتي خليفة	خذ النعت مني لا تكون هبيل
تراه العالي الواردات وفوقه	من الريط عيساوي بناه طويل
وله يميل الغور من سائر النقا	به الواد شرقا والبراع دليل
أيا لهف كبدي على الزناتي خليفة	قد كان لاعقاب الجياد سليل
قتيل فتى الهيجا دياب بن غانم	جراحه كأفواه الزاد تسيل
يا جارنا مات الزناتي خليفة	لا ترحل الا أن يريد رحيل
وبالأمس رحلناك ثلاثين مرة	وعشرا وستا في النهار قليل

---

(١) المصدر السابق .

القصـــــيدة ((٢٠))

الشـــــاعر :ـ

ـــــــــ سـلطان بن مظفـر بن يحيى .

الغـــــرض :ـ

ـــــــــ يذكر ابن خلدون أن سلطان من الزواوده أحد بطـون رياح وكان من أهل الرياســة فيهم . وقد أعتقـل بالمهدية وسجن فى عهــد الأمـير أبى زكريـا بن أبى حفـص أول ملوك الحفصـيين .

القصــــيدة (١) :ـ

يقول وفى نوح الدجا بعد ذهبــة	حرام على أجفان عينى منامهـــا
أيا من لقى حالف الوجد والأســى	وروحا عياض طال ما فى سقامهــا
حجــازية بدويــة عربيـــــة	عداويـة ولهـا بعيــدا مرامهــا
مولعة بالبدو لا تألف القــــرى	سواعا بل الوعسا بوالـى خيامهـا
عمان ومشتهيا بها كل ســـرية	محـونة بها ولهـى صحيح غرامها
ومرباعها عشب الاراضى من الحيــا	لو أنى من الحورالحلا يا حسـامها
تسوق بسـوق العين مما تداركــت	عليها من السحب السوارى غمامهـا

(١) المصــدر الســـابق .

وماذا بكت بالما وماذا تبلحطت ... عيون عذارى المزن عذبا جمامها

كأن عروس البكر لاحت ثيابها ... عليها ومن نور الأقاحى حزامها

فلاة ود عنا وأتساع ومنة ... ومرعى سوى ما فى مراعى نعامها

ومشروبها من مخض البان شولها ... عليهم ومن لحم الحوارى طعامها

تماتب على الأبواب والموقف الذى ... يشيب الفتى مما يقاسى زحامها

سقى الله ذا الوادى المشجر بالحيا ... وبلا ويحيى ما بلى من زمامها

فكافأتها بالود منى وليتنى ... ظفرت بأيام مضت فى ركامها

ليالى أقواس الصبا فى سواعدى ... اذا قمت لا تخطى من أيه يسهامها

وفرسى عديدا تحت سرجى مسافة ... زمان الصبا سرجا وبيدى لجامها

وكم من رداح أسهرتنى ولم أر ... من الخلق أنهى من نظام ابتسامها

وكم غيرها من كاعب مرجحنة ... مطرزة الأجفان باهى وشامها

وصفقت من وجدى عليها طريحة ... يكفى ولم يغنى جداها زمامها

ونار بحطب الوجد توهج فى الحشا ... وتوجج لا يطفى من الما دوامها

أيا من وعدتى الوعد هذا الى متى ... فنى العمر فى دار عمانى ظلامها

ولكن رأيت الشمس تكسف ساعة ... ويغمى عليها ثم يسرى غمامها

بنود ورايات من السعد أقبلـــت　　اليـنا بعون اللـه يهفـو علامهـــا

أرى فى الفلا بالعين أظعان عزوتى　　ورمحى على كتفى وسيرى أمامهـــا

بجزعا عناق النوق من عوذ شامـــس　　أحب بلاد اللـه عنـدى حشـامهـا

الى منزل بالجعفريـــة للـــذى　　مقيم بهـا ما لذ عندى مقامهـــا

وتلقى ســراة من هلال بن عامـــر　　يزيـل الصدى والغل عنى سلامهـا

بهم تضرب الأمثال شرقا ومغربـــا　　اذا قاتلوا قومـا سريع انهزامهـــا

عليهم ومن هو فى حماهـم تحيـــة　　من الدهـر ما غـنى بقبـــة حمامها

فدع ذا ولا تأسف على سالف مضـــى　　ترى الدنيا ما دامت لاحـد داومها

القصيدة ((٢١))

الشاعر :ـ
خالد بن حمزه بن عمر

الغرض :ـ
يجيب شبل بن مسكيانه بن مهلهل من أولاد مهلهل .

التعريف بالشاعر :ـ

خالد بن حمزه بن عمر شيخ الكعوب من أولاد بني الليل من بني سليم وكان بينهم وبين أولاد مهلهل من الكعوب أيضا عداء ، وكان شبل يفاخر بقومه .

ويقول ابن خلدون أن هذا من شعر المتأخرين من العرب .

والعداء بين أولاد أبي الليل وأولاد مهلهل تبدأ من أوائل القرن الثامن الهجرى ، وسبب العداء أن أولاد مهلهل نقموا على أحد أولاد أبي الليل ، وهو قاسم بن مرا علو منزلته ، ومحاولته تغيير المنكر والزام العرب الجادة ، حتى ذاع أمره وأصبح له أنصار يدعون دعوته يسمون الجنادة حتى ساد الأمن وأمنت السابلة بأفريقية ما بين تونس والقيروان وبلاد الجريد .

فعمد أولاد مهلهل الى قتله غيلة ، فقام أولاد أبي الليل

بطلب ثأره ، وعظمت الفتنة بين الحيين منذ سنة ٧٠٦ هـ ، فافترقت أحياء بني كعب من يومئذ بعد أن كانت جميعا . وانقسمت عليهم أحياء بني سليم وصاروا يتعاقبون الخلاف والطاعة على الدولة . يقول ابن خلدون وهم على ذلك لهذا العهد (١) .

القصيدة (٢) :

يقول وذا قول المصاب الذى نشا	قوارع قيعان يمانى صعابها
يريح بها حادى الصاب اذا انتقى	فنونا من انشاد القوافى عرابها
محبرة مختارة من نشادنا	تحدى بها تام الوشا ملتهابها
مغربلة عن ناقد فى غصونها	محكمة القيمان دابى ودابها
وهيض تذكارى لها يا ذوى الندى	قوارع من شبل وهذى جوابها
أشبل جنينا من حباك طرائفا	فراح يريح الموجعين الفنا بها
فخرت ولم نقصر ولا أنت عادم	سوى قلت فى جمهورها ما أعابها
لقولك فى أم المتين بن حمزه	وحامى حماها عاديا فى جرابها
أما تعلم أنه قامها بعد مالقى	وصاص بنى يحيى وعلاق دابها

(١) انظر ابن خلدون ، المصدر السابق جـ ٦ ص ٨١
(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ٥١٤

شهابا من أهل الأمر يا شل خـــارق وهل رأيت من جااللوفى وأصطلى بها
شواهد طفاها أضرمت بمد طفيـــه وأثنا طفا حاســر الا أهابهـــــا
وأضرم بمد الطفيتـين التى صحـــت نماســا الى بيت المنى يفتدى بهـا
كــسم كان هـــو يطلـب علـــى رجال كمــب الـذى يلتقى بهـا
وليـدا تماتبتوا أنا أغنى لأنـــنى غيـــت بمـلاق الثنا وأغتصابهـا
علـى ونـا ندفـع بهاكل مبضــع بالأسـياف ننتاش المدا من رقابها
فان كانت الأمـلاك بنت عرائـــس علينا باطراف القنــا اختضابهـا
ولا نقرها الأرهاف ود بــــــل وزرق الســـبايا والمطايـا ركابها
بنى عمنـا ما نرتضى الذل عـــلة تسـير كالسـنة الحناش انسلابهـا
وهى عالمـا بأن المنايا تقيلهـــا بلا شـك والدنها سريع انقلابهـا
يطمن قطوع البيد لا تختشى المداء فشـوق بحريات مخوف جنابهـــا
ترى العين فيها قل لشبل عرائـــف وكل مـــهاة محتظيهـا ربابهـا
ترى أهلهـا غب الصباح بفلهـــا بكل حـــلوب الجوف ما سد بابها
لها كل يـوم فى الأرامى قتائـــل ورا الفاجـر المموج غـــوا صبابها

القصـــــــيدة ((٢٢))

الشـــــاعر :ــ

.... شـــبل بن مسكيانـــه بن مهلهـــل •

الغـــــــرض :ــ

.... فى عتاب اخوانه لموالاتهم شيخ الموحدين أبى محمـــد بن تفراكين المستبد بحجابة السلطان بتونس على سلطانها مكفولة أبى أسحق بن الســلطان أبى يحـيى •

التعريـــف :ــ

ذكرنا فى الفصل الثالث من البحث (١) أن العرب عاونوا السـلطان أبا أسحق ابراهيم بن أبى يحيى بن أبى بكر (٧٥١ ــ ٧٧٠ هـ) ضـد الغزو المريـنى الذى قام به أبو عنان فارس بن على وأسـتولى على تونـس سـنة ٧٥٨ هـ • وتمكن العرب من هزيمة الجيش المرينى عند تبسـه وأضـطروه للعـــودة الـى المغـــرب •

وأبو أسحاق هذا ، غلب على دولتـه شيخ الموحدين أبو محمـد أبن تفراكين الذى أستعان على الوصول الى مكانته برؤساء العرب مـــن

(١) ص ١٤١ ــ ١٤٢ •

أولاد أبى الليل من الكعوب من بنى سليم • وأصبح أبن تفراكين وصيا على العرش ، ووضع أبا أسحق تحت كفالته ، وحكم البلاد حكما مطلقا •

ولكن ابن تفراكين حاول أن يضعف من قوة العرب بعد أن تمكن من الدولة ، وأستطاع أن يجعلهم يتخلون عن بعض البلاد كالقيروان وسوسه والأربس وباجه كما أخذ يحصن أرباض تونس خوفا من غارات العرب ، وأخذ بعد ذلك فى كبح جماحهم ومنعهم من التعدى (١) •

ويبدو أن قصيدة شبل هذه كانت السبب فى قصيدة خالد ابن حمزه والتى ذكرناها وربما كانت ردا على قصيدة شبل هذه • وربما كانت قصيدة شبل أيضا السبب فى تجمع العرب ضد ابن تفراكين ، مما شجع أبا عنان المرينى على حملته التى ذكرناها آنفا • ولكن بعد نجاح الحملة المرينية شعر العرب بالخطر المرينى على نفوذهم ، فأجتمعوا حول أبى أسحق وأبن تفراكين وهزموا المرينيين •

---

(١) العامرى ، المرجع السابق ، ص ١٠٧ ــ ١٠٨ •

القصـــــيدة (١) :ـ

يقـول بلا جهـل فـتى الجود خالد	مقالة قـوال وقـال صـواب
مقالة حيران بذ هن ولم يكـــــن	هريجا ولا فيما يقول ذ هـاب
تهجست ممنانا بها لا لحا جــــة	ولا هرج ينقاد منـه معـاب
ولبست بها كبد ى وهى نمم صاحبـة	حزينة فكـر والحزين يصـاب
تفوهت باد ى شرحها عن مـــآرب	جرت من رجال فى القبيل قراب
بنى كعب أدنى الاقربين لد ه نـــا	بنى عم منهـم شـايب وشباب
جرى عند فتح الوطن منا لبعضهـم	مصافاة ود وا أتسا ع جنابـى
وبعضهم ملنا له عن خصيـــــمة	كما يعلموا قولـى يقينه صـواب
وبعضهم موهوب من بعض ملكنــا	جزاءا وفى جو الضمير كتـاب
وبعضهم جانا جريحـا تسـمحت	خواطر منا للنزيل وهـاب
وبعضهموا نــزار فينـا بسوة	نقهناه حتى ما عنا بـه سـاب
رجع ينتهى مما سفهنا قبيحـــة	مرارا وفى بعـض المرار يهاب

(١) ابـن خـلدون ، المصـدر السـابق جـ ١ ص ٥١٥.

وبعضهم شاكى من أوغاد قـــادر غلق عنه فى أحكام السقائف بـاب

نصمناه عنه وأقتضى منه مـــورد على كره مولى البالقى ود ياب

ونحن على وافى المدا نطلب المـــلا لهم ما حططنا للفجـور نقـابا

وحزنا حمى وطن بترسيس بعـد ما نفقنا عليها سـيفا ورقـاب (١)

ومهد من الأملاك ما كـان خـارجا على أحـكام والى أمرها له ناب

يرد ع قـروم من قـروم قبيلنـا بنى كعب لا واها الفريم وطـاب

جرينا بهم عن كل تأليـف فى المدا وقمنا لهم عن كل قيـد مناب

الا أن عاد من لا كان فيهم بهمـة ربيها وخيراتـه عليـه نصـاب

وركبوا السبايا لشمناه من أهلهـا ولبسـوا من أنواع الحرير ثيـاب

وساقوا المطايا بالشرالا نسـوا لـه جماهير ما يفلـوا بها بجـلاب

وكسبوا من أصناف السمايا زخائـر صخـام لحزات الزمان تصـاب

وعادوا نظير البرمكيين قبل دا والا هـلال فى زمان ديـاب

وكانـوا لنا درعا لكل مهمـة الى أن بـان مـن نارالعدو شهاب

خلو الدار فى جنح الظلام ولا أتقـو ملامة ولا دارى الكرام عتـاب

---

(١) ترسيس : قد يقصد بها تونس،أنظر التجانى ، المصدر السابق ص ١٥٢ ، ص ٢٠٣ .

كسوا الحى جلباب البهيم لستره ‏ وهم لو دروا لبسوا قبيح جباب

كذلك منهم حابس ما درى النبا ‏ ذهل حلمى له ان كان عقله غا ب

يظن ظنونا ليس نحن بأهلها ‏ تمنى يكن له فى السماح شحاب

خطا هو ومن واتاه سو ظنه ‏ بالأثبات من ظن القبائح عاب

فسوا عزوتى أن الفتى بو محمد ‏ وهوب لآلاف بغير حساب

وبرحت الأوغاد منه ويحسبوا ‏ بروحه ما يحيا بروح سحاب

جروا يطلبوا تحت السحاب شرائع ‏ لقوا كل ما يستأملوه سرا ب

وهو لو عطى ما كان للرأى عارف ‏ ولكن قسى قلة عطاه صواب

وان نحن ما نستأملوا عنه راحة ‏ وأنه بأسهام التلاف مصاب

وان ما وطا ترسيس يضايق وسعها ‏ عليه ويمشى بالفزوع كراب

وأنه منها عن قريب مفاصل ‏ خنوج عناز هوا لها وقباب

وعن فاتنات الطرف بيض غوانج ‏ ربوا خلف أستار وخلف حجاب

يتيه اذا تاهوا ويصبو اذا صبوا ‏ بحسن قوانين وصوت رباب

يضلوه من عدم اليقين وربما ‏ يطا رح حتى ما كأنه شاب

بهم حاز له ذمة وطوع أوامر ‏ ولذة مأكول وطيب شراب

حرام على ابن تافراكسين ما مضى   من الود الا ما بدل بحراب

وان كان له عقل رجيح وفطنة   بلجج فى اليم الفريق غراب

واما لبدا لابد ها من فياعل   كبار الى أن تبقى الرجال كباب

ويحى بها سوق علينا علينا سلاعة   ويحمار موصوف القنا وجماب

ويمسى غلام طالب ربح ملكتا   ندوما ولا يمسى صحيح بناب

أيا واكلين الخبز تبغوا ادامه   غلطوا أد متوا فى السموم لباب

القصـــــيدة ((٢٣))

الشـــــاعـر :ـ
.... علي بن عمـر بن ابراهـــيم •

الغـــــرض :ـ
.... العتـــــاب •

تعريـــــف :ـ

يقول ابن خلـدون أن علي بن عمر من رؤسـاء بني عامر أحد بطون زغبـه على عهد أبن خلدون يعاتب بني عمـه المتطاولين الى رياستـه •

القصـــــيدة :ـ (١)

محـــبرة كالدر في يـــد صانـــــع	اذا كان فـي سـلك الحريـر نظام
أباحها منهـا فيـه أسـباب ما مضى	وشـاء تبارك والضمـون تسـام
غـدا منه لأم الحـى حيـين وأنشطت	عصـاها ولا صبـنا عليـه حـكام
ولكـن ضـميرى يوم بان بـه النيــا	تـبرم علـى شوك القتـاد بـرام

(١) ابن خـلدون ، المصـدر السـابق ، جـ ١ ص ٥١٦ •

والا كسا بسراص التهامى قوادح — ربون عواج الكانفات ضرام

والا لكان القلب فى يد قابض — أتاهم بمنشار القطيع غشام

لما قلت سماء من شقا البين زارنى — اذا كان ينادى بالفراق وخام

ألا يا ربوع كان بالأمس عامر — يحيى وحلة والقطين لمام

وغيد تدانى للخطا فى ملاعب — دجى الليل فيهم ساهر ونيام

ونعم يشوق الناظرين التحامها — لنا مابدا من مهرق وكظام

وعرود باسمها ليدعو لسربها — واطلاق من سرب المها ونغام

واليوم ما فيها سوى البوم حول بها — ينوح على أطلال لها وخيام

وقفنا بها طورا طويلا نسالها — بعين سخيفا والدموع سجام

ولا صح لى منها سوى وحش خاطرى — وسقمى من أسباب عرفت أوهام

ومن بعد ذا تدى لمنصور بو على — سلام ومن بعد السلام سلام

وقولوا له يا بو الوفا كلح رأيكم — دخلتم بحورا غامقات دهام

زواخر ما تتقاس بالعود انما — لها سيلان على الدفا واكام

ولا قستموا فيها قياسا يدلكم — وليس البحور الطاميات تمام

وعانوا على علاتكم فى ورودها — من الناس عدمان العقول لئام

أيا عزوة ركبوا الضلالة ولا لهم ... قرار ولا دنيا لهن دوام

الا عناهم لو ترى كيف رأيهم ... شيل سراب ما لهن تمام

خلوا القنا يبغون فى مرقب العلا ... مواضع ما هيا لهم بمقام

وحق النبى والبيت وأركانه العلا ... ومن زارها فى كل دهر وعام

لسيرى الليالى فيه أن طالت الحيا ... يذوقون من خمط الكساع مدام

ولا برها تبقى البوادى عواكف ... بكل ردينى مطرب وحسام

ولكل مسافة كالسد آياه عابر ... عليها من أولاد الكرام غلام

وكل كميت يكتمص عض نابه ... يظل يصارع فى العنان لجام

وتحمل بنا الأرض العقيمة مدة ... وتوالدنا من كل ضيق كظام

بالأبطال والقود الهجان وبالقنا ... لها وقت وجنات البدور زحام

تجحدنى وأنا عقيد نقودها ... وفى سن رمحى للحروب علام

ونحن كأضراس الموافى بنجمكم ... حتى يقاضوا من ديون غرام

متى كان يوم القحط يا مير أبو على ... يلقى سمايا صابرين قدام

كذلك بو حموا لى اليسر أبعثه ... وخيل الجياد العاليات تسام

وخلى رجالا لا يرى الضم جارهم ... ولا يجمعوا بدهى العدو زمام

ألا يقيمونها وعقد بؤسهم وهم عذر عنه دائما ودوام

وكم ثار طعنها على البدو سابق ما بين صحاصيح وبين حسام

فتى ثار قطار الصوى يوما على لنا أرض ترك الظاعنين زمام

وكم ذا يجيبوا أثرها من غنيمة حليف الثنا قشاع كل غيام

وان جاء خافوه الملوك ووسموا غدا طبعه يجدى عليه قيام

عليكم سلام الله من لسن فاهم ما غنت الورقا وناح حمام

القصـــــيدة ((٢٤))

ـــــــــــــــــــــــــ

الشـــــاعر :ـ

ـــــــــــــــ مجـــهول •

الغـــرض :ـ

ـــــــــــــــ مدح قبيـــلة د ريـد من بـنى هـلال

تعـــريف :ـ

لم يذكـر ابن خلـدون الـذى أورد القصـيدة اسم الشـــاعر ، بل اكتـفى بقـوله « فمـن قـول بعـض شـعرائهم »

أما د ريـد فكـما يقـول ابن خلـدون « كانوا أعـز الأثبـــج وأعـلاهم كعبـا بما كانـت الريـاسـة على الأثبـج كلهـم عند دخولهـم الى أفريقـــية لحســن بن سـرحان بن وبـره احـدى بطونهم » •

ود ريـد بطـون كثـيرة منهم أولاد عطـية بن د ريـد ، وأولاد سرور ابـن د ريـد ، وأولاد جار الله من ولد عبد الله بن د ريد ، وتوبة من ولـد عبد الله أيضـا وهو توبـة بن عطاف بن جبير بن عطاف بن عبد الله ، وكانـت لهم بـين هـلال ريـاسـة كبـــيرة •

ومدحهم شعرائهم ، فمن ذلك قول بعض شعرائهم[1] :

دريد ذات سراة البدو للجود منقح

كما كل أرض منقع الماء خيارها

تحن الى أوطان مرة يا فتى لكن معهما

جملة دريد كان مسوارها

وهم عربوا الأعراب حتى تعربت

بنوف المعالي ما ينفي قصارها

وتركوا طريق النار برهة وقد

كان ما تقوى المطايا حجارها

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٢٣ .

القصـــــيدة ((٢٥))

الشـــــاعر :ـ

أبو عبـد اللـه محمـد بن الحسـين

الغـــــرض :ـ

يعاتب عنان بن جابر شـيخ قبيـلة مـرداس

التعريـف :ـ

ابو عبـد الله محمد بن الحسين المتوفى سـنة ٦٧١ هـ ، كـــان حاجب (وزير) أبى زكريـا يحيى بن أبى حفـص عمـر مؤ سـس الدولـــة الحفصـية (٦٢٧ ـ ٦٤٧ هـ) .

أما عنـان بن جابـر فهـو شـيخ قبيـلة مرداس ، بطن مـــن عوف بن سـليم ، وقد فـر من أفريقيـة مغاضـبا لأبى زكريـا وملتجئا بحيه من مـرداس الى قبائـل هـلال بن عامـر بالمغرب الأقصى [١] . وأقام بـين بطون رياح . ولحق بالخليفة الموحدى السعيد على بن ادريـــــس (٦٤٠ ـ ٦٤٦) فى مراكش محرضا له على غزو الحفصيين . وتوفى فى المغرب الاقصى ودفن بســلا .[٢]

---

(١) أنظـر ما ذكرناه عن علاقة العرب بالدولة الحفصية ، الفصل الثالث .

(٢) أنظـر ابن خلدون ، المصدر السـابق جـ ٦ ص ٧٤ .
وســلا مدينة شـمال رباط الفتح (الرباط الحالية) .

القصيدة[1] : ـ

سلوا دمنة بين الفضا والسواجر
هل أستن فيها واكفات المواطر

ودونكم ـ يا للرجال ـ تحية
يخص بها عني عنان بن جابر

فتى ما دعته ذلة فأجابها
فكيف طوى كشحا على نفس غادر

وقد كان بيني يا عنان وبينكم
بواطن ضاها بحفظ الظواهر

عزيز علينا يا عنان ضلالة
حدتبك لا تلوى على زجر زاجر

تبصر ولا تحمل على النفس غيها
أعيذك من كرات دهر جواسر

---

(١) نقلا عن محمد المرزوقي ، الأدب الشعبي في تونس ، ص ٥٥ هامش/ ٢

القصيدة ((٢٦))

الشاعر : ـ

عنان بن جابر شيخ قبيلة مرداس .

الغرض : ـ

كتبها ردا على قصيدة أبي عبد الله محمد بن الحسين السابق ذكرها .

القصيدة[1] : ـ

خليلي عوجا بين سلع وحاجر
نموج عناجيج نواج ضوامر
قلاص خماص شازيات عرامس
مواض نواض مرقلات عوابر
طوال الهوادى عند كل تنوفة
مطمعة الأطراف هدل المشافر

---

(١) المرزوقى ، المرجع السابق . ص ٥٥ . هامش/ ٢

وعوجا على دار لنا في جنابها

أفانين لهو دائم غير دائر

ولما رأيت السود قد بان وانقضى

دعوت ونار الشوق تغزو ضمائري

ألا أيها الغادي على متن ضامر

سليم القرى عبل الذراعين فاطر

يزف زفيف الخاضبات وينثني

كحقف لحتها لافحات الهواجر

بعثت أبا عبد الآله بدائما

محبرة منظومة كالجواهر

رأيت رجالا من رياح ومالك

وعوف ودباب وزغب وماجر

لهم مرقب دوني وقد كنت قبلهم

بسيفي ورمحي في الوغى وعشائري

تبينت حالا لا أطيق احتمالها

فحدت بنفسي عن عدو وجائر

وسلمت أرض الشرق لا عن مذلة

ويممت أرض الغرب لا عن تخاير

الى بلد لا يعرف الذل أهله

كرام المشايا من هلال ابن عامر

القصيدة ((٢٧))

الشاعر :ـ
محمد بن بشير .

الغرض :ـ
ذم رافع بن مكى .

التعريف بالشاعر :ـ

الشاعر أبو عبد الله محمد بن عبد الصمد بن بشير التنوخى المهدوى ، من شعراء الأمير على بن يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس .

يقول العماد الأصفهانى أنه يجمع بين رقة المعنى وجودة السبك وأنه من معاصرى أبى الصلت أمية . ويذكر العماد " وكان أبو الصلت يرى فى المنام كثيرا أبا عبد الله بن بشير ، وتجرى بينهما محاورات فى فنون الآداب وملح الأشعار ويجد هو أيضا من نفسه مثل ذلك فى المنام " .(١)

أما رافع بن مكى بن كامل بن جامع صاحب قابس ، من بنى جامع

---

(١) العماد الأصفهانى ، المصدر السابق ، ص ٣٥٣ .

الهلاليين • والقصيدة ذكرها ابن رشيد يذم رافعا الذى استجار بروجر النورمندى ضد الأمير على بن يحيى • ثم هروبه بعد ذلك الى القيروان (١) •

القصيدة (٢) :ـ

سل رافعا ما الذى أجرى تنصره | وهل نفى الذل عنه من به وثقا
لو لم ير الروم أهلا والصليب أبا | لم يشك من عيشه فى قابس رنقا
انفاقك المال فى الملياء الحقة | بالقيروان التى يعتدها نفقا
أبدت له عزة للجاهلين به | وكان ستر عليه قبل فانخرقا

---

(١) راجع ما ذكرناه عن هذه الحادثة فى الفصل الثالث ص ١٠٨ •

(٢) نقلنا القصيدة من التجانى ، المصدر السابق ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ •

لله فملك لا للمال تجمعه
وكيف ذاك وقد شتته مزقا

وكل مال تشاد المكرمات به
أشد ما هو توفيرا اذا محقا

رسـالة :ـ

.... من رسالة أرسلها لسان الدين بن الخطيب الى أبى زيد عبد الرحمن بن خلدون ، لما أرتحل من بحر المرية وأستقر فى بسكرة عند رئيسها أبى العباس بن مزنى :

التعريف :

لسان الدين بن الخطيب هو أبو عبد الله محمد السلمانى ، مؤرخ عظيم ووزير مشهور ببلاط غرناطة . واصل أجداده من عرب اليمن الذين وفدوا الى الأندلس عقب الفتح ، وأشتهرت عائلته ببنى الخطيب نسبة الى أحد أجداده الذى كان يلقى دروسه ومواعظه فى مدينة لوشة قرب غرناطة فغلب عليه اسم الخطيب وقد ولد لسان الدين فى مدينة لوشة سنة ٧١٣هـ ، وتثقف ثقافة واسعة حتى أصبح عالما أديبا ، كتب مؤلفات وبحوثا عديدة فى مختلف النواحى العلمية المعروفة فى عصره كالأدب والتاريخ والطب والتصوف وغيرها ، أربت على الستين مؤلفا ضاع أغلبها ، ومن أجل ما وصلنا منها كتابه " الأحاطة فى أخبار غرناطة " و " أعمال الأعلام " .

وقد عمل ابن الخطيب وزيرا لبنى الأحمر فى غرناطة ، وقد عرضه منصبه هذا لتقلبات الظروف السياسية وما تبعها من نفى وتشريد الى بلاد المغرب ، حتى قتل سنة ٧٧٦هـ .

أما ابن خلدون المؤرخ المشهور ، فكان معاصرا وصديقا لابن الخطيب ، وهو مع ابن الخطيب يتوجان الحركة الثقافية الأندلسية ، ويمتازان بسعة الأطلاع وكثرة العلم وتنوعه .

وكان ابن خلدون قد ترك الأندلس الى المغرب ، وظل ببجاية مدة حيث عمل حاجبا لسلطانها ، ثم سئم أخطار السياسة وتقلباتها فرحل الى بسكره وأتخذها مقر اقامته ولعائلته وذلك بسبب الصداقة التي كانت توطدت بينه وبين صاحبها ابن مزنى وأقام هناك نحو ست سنوات من سنة ٧٦٨ – ٧٧٤ هـ (١) .

وبسكره واحة ومدينة فى المغرب الأوسط ، جنوبى أقليم قسنطينة فى الجزائر حاليا وقد تمكن بنو مزنى وهم من قبيلة لطيف من الأثبج الهلاليين ، من حكم بسكره من القرن السابع الهجرى . وقد ظلت امارة بنى مزنى ببسكره من سنة ٦٧٨ – سنة ٨٠٤ هـ حيث قضى عليها السلطان الحفصى أبو فارس عزوز (عبد العزيز) ابن أبى العباس أحمد (٧٩٦ – ٨٣٧ هـ) (٢) .

وما نورده هنا ، جزء من رسالة ابن الخطيب التى أرسلها الى ابن خلدون ، والتى أوردها المقرى (٣) . وقد أقتطعنا منها ما يخص بنى مزنى فقط .

---

(١) الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ٨١ – ٨٢
(٢) عن بنى مزنى أمراء بسكره ، أنظر ابن خلدون ، المصدر السابق ج ٦ ص ٤٠٥ ومابعدها وأنظر الميلى ، تاريخ الجزائر ج ٢ ص ٢٩١ – ٢٩٥ .
(٣) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٦ ص ٣٨٩ وما بعدها .

النص : ـ

" فلولا عسى الرجاء ولعله ، لا بل شفاعة المحل الذى حله ، لمزجت الحنين بالمتب[1] ، وبثثت كتائبه كمناء فى شعاب الكتب ، تهز من الألفات رماحا خزر الأسنة ، وتوتر من النونات أشال القسى المرنة ، وتقود من بياض الطرس وسواد النفس بلقا تردى[2] فى الأعنة ، ولكنه أوى الى الحرم الأمين ، وتفيأ ظلال الجوار المؤمن من معرة العوار عن الشمال واليمين ، حرم الخلال المزنية ، والظلال اليزنية ، والهمم السنية ، والشيم التى لا ترضى بالدون ولا بالدنية ، حيث الرفد الممنوح ، والطير الميامن يزجر لها السنوح ، والمثوى الذى اليه ، مهما تقارع الكرام على الضيفان ، حول جوابى الجفان ـ الميل والجنوح :

نسب كأن عليه من شمس الضحى

نورا ، ومن فلق الصباح عمودا[3]

ومن حل بتلك المثابة فقد أطمأن جنبه ، وتغمد بالعفو ذنبه ، ولله در القائل حيث يقول :

نوحقه لقد أنتدبت لوصفه

بالبخل لولا أن حمصا داره

---

(١) يعنى لنشرت ألوية المتب .

(٢) تردى : تمشى الرديان ، وهو نوع من المشى دون العدو .

(٣) جاء فى حاشية / ٧ ص ٩ من الصدر ، أن هذا البيت لابى تمام .

بلـــد أذكـــره تهـــتج لوعـــــتى

واذا قدحت الزنـــد طـــار شــــراره

اللهم غفرا ، لا كفرا ، وأين قراره النخيل ، من مثوى الأقلف البخيـــل ، ومكـذبة المخيـل ؟ وأيين ثانية هجر ، من متبوا من ألحد وفجر ؟

مـن أنكـر غيثـا منشـــؤه في الأرض وليس بمخلفهـــا

فبنان بني مزنـى مـــــزن تنهـل بلطـف مصرفهـــا

مـزن مـذ حـل ببســـكره يومـا نطقـت بمصحفهـــا (١)

شـكرت حـتى بعبارتهـــا وبمعناهـــا وبأحرفهـــا

ضحكت بأبى العباس مـن الـ أيـام ثنايـــا زخرفهـــا

وتنكـــرت الدنيـا حـــتى عرفـت منـــه بمعرفهـــا

(١) صحف بسـكره : بشـكره أو تشـكره .

فهرس الشعر

الفهـــــرس

****
****
******
**
*